

نثر الجواهر المضيئة
على كتاب
أمالى فى السيرة النبوية

للعلامة

حافظ بن أحمد الحكيم رحمته الله

المتوفى (١٣٧٧هـ)

تأليف

أبى همام

محمد بن على الصومعى البىضانى

عفا الله عنه بمنه وإحسانه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد له محلي محاسن السنة المحمدية بدرر أخبارها، ومجلي ميامن السيرة النبوية عن غرر آثارها، ومؤيد من اقتبس نور هدايته من مشكاة أنوارها، ومسهل طريق الجنة لمن اتبع مستقيم صراطها، واهتدى بضياء منارها، ومذل سبيل الهداية لمن اقتفى سرائر سيرها، أحمده على ما أولى من نعم قعد لسان الشكر عن القيام بمقدارها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبليغنا من ميادين القبول غاية مضمارها، وتسوغنا من مشارع الرحمة أصفى مواردنا، وأعذب أنهارها.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي ابتعثه وقد طمّت بحار الكفر بتيارها، وطغت شياطين الضلال بعنادها وإصرارها، وعتت طائفة الأوثان وعبدة الأصنام على خالقها وجبارها، فقام بأمره حتى تجلت غياهب ظلماتها عن سنا أبدارها، وجاهد في الله حق جهاده حتى أسفر ليل جهلها عن صباح نهارها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حازت نفوسهم الأيية من مرضيه غاية أوطارها، وفازت من سماع مقالهِ ورواية أحواله ورؤية جلاله بملء مسامعها وأفواهها وأبصارها، وسلم تسليمًا كثيرًا.^(١)

(١) «عيون الأثر» (٩ / ١) بتصرف يسير جداً.

فإن خير ما يتدارسه المسلمون ولاسيما الناشئون والمتعلمون، ويُعنى به الباحثون والكتابون: دراسة السيرة المحمدية؛ إذ هي خير معلّم، ومُثَقِّفٍ، ومَهْدَبٍ، ومؤدّبٍ، وأصل مدرسةٍ تخرّج منها الرعيّل الأوّل من المسلمين والمسلمات.

ففيها ما ينشده المسلمُ وطالبُ الكمالِ من دينٍ ودنيا، وإيمانٍ، واعتقادٍ، وعلمٍ، وعملٍ، وآدابٍ، وأخلاقٍ، وسياسةٍ، وكياسةٍ، وإمامةٍ، وقيادةٍ، وعدلٍ، ورحمةٍ، وبطولةٍ، وكفاحٍ، وجهادٍ، واستشهادٍ في سبيلِ العقيدة والشريعة، فما أجدَرَ المسلمين في حاضرهم رجالاً ونساءً، وشباباً وشيباً أن يتعلّموها، ويعلموها غيرهم، ويتخذوا منها نبراساً يسيرون على ضوئه في تربية الأبناء والبنات، وتنشئة جيل يؤمن بالله ورسوله، ويؤمن بالإسلام وصلاحيته لكلّ زمانٍ ومكانٍ، والتضحية بكلّ شيء في سبيل سيادته وانتشاره، لا يثنيهم عن هذه الغاية الشريفة بلاءً، وإيذاءً، أو أطماعٍ وإغراءً.

لسنا نريد من دراسة السيرة العطرة: سيرة النبي ﷺ، وسير الرعيّل الأوّل وهم الصحابة الكرام أن تكون مادةً علميةً يجوز بها طلابُ العلم في المعاهد والمدارس والجامعات الامتحانَ، أو الحصول على الإجازات العلمية، أو أن تكون حصيلةً علميةً نتفهيّق ونتشدّق في المحافل والنوادي، وقاعات البحثِ والدّرسِ وفي المساجدِ والمجامعِ؛ كي نحظى بالذّكر والشّناء، ونتنرّع من السّامعينَ مظاهر الرضا والإعجاب.

ولكننا نريد من هذه الدراسة أن تكون مدرسةً نتخرّج فيها كما تخرّج السادة

الأولون، وأن نكون مُثلاً صادقة لصاحب الرسالة ﷺ، وصحابته الكرام -عليهم
الرضوان- في إيمانهم وعقيدتهم، وفي علمهم وعملهم، وأخلاقهم، وسلوكهم،
وسياستهم، وقيادتهم؛ حتى يعتز بنا الإسلام كما اعتز بهم، ونكون في حاضرنا كما
كانوا خير أمة أخرجت للناس. (١)

وقد كتَبَ علماؤنا -رحمهم الله- في سيرة نبينا الأعظم ﷺ جيلاً بعد جيلٍ ما
بين متوسع ومختصر، وشارح، وناظم، وممن شارك في ذلك شيخ مشايخنا
العلامة حافظ بن أحمد حكيمي رحمته الله، فكتب سيرةً مختصرةً كان يملئها على تلامذته
على صيغة السؤال والجواب كما فعل في بعض كتبه مثل "دليل أرباب الفلاح" (٢)،
و"مختصر دليل أرباب الفلاح" (٣)، وغيرهما من كتبه، وله كذلك "منظومة في
السيرة" ضمن منظومته "نيل السؤل من تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ".

فلما وقفت عليهما أُعجبتُ بهما كثيراً، وحيثُ عزمت على العمل فيهما؛
فاستعنت بالله على ذلك، فكان كما يلي:

(١) عَمَدْتُ إلى السيرة النبوية ذات السؤال والجواب، وقمت بنسخها، وما
أشكل علي في المخطوط رجعت إلى المنظومة أتأمل فيها؛ فإن ظهر لي
ذلك قَيَّدْتُه؛ فإن لم يظهر سألت عنه فضيلة شيخنا علي بن قاسم الفيضي
رحمته الله تعالى؛ لأنه هو الذي خطَّ المخطوط وقد أفادني -جزاه الله خيراً- وهو من

(١) "السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة" لأبي شهبه (١٩/١) بتصرف يسير جداً.

(٢) وهو مطبوع بتحقيقي.

(٣) وهو مطبوع بتحقيقي.

تلامذة المؤلف.

- (٢) أذكر الأدلة على الإجابة التي يذكرها **رَحِمَهُ اللهُ**؛ لأنَّ طريقته أنه يذكر السؤال ثم يذكر الجواب، ويكون الجواب مجرداً عن ذكر الدليل؛ فأذكر الأدلة التي هي مستندة في هذا الجواب.
- (٣) إن كانت هذه الأدلة في "الصحيحين" ذكرتها، أو أذكر الشاهد منها، ثم أعزوها إليهما، أو إلى أحدهما، كأن تكون عند واحدٍ منهما دون الآخر.
- (٤) إن كانت خارج "الصحيحين" أذكرها، أو الشاهد منها، ثم أحكم عليها بالصحة، أو الحسن، أو الضعف حسبما تقتضي قواعد علم مصطلح الحديث، وقد يكون ما استدللَّ به مذكوراً في كتب السَّيْرِ بدون سندٍ، فأذكره أو أذكر الشاهد منه، ثم أذكر أنه عند فلان بدون سند.
- (٥) بعد أن أذكر ما تقدم أذكر الشاهد على ما تقدم من تلك المنظومة؛ فأكون جمعتُ بين النثر والنظم.
- (٦) وقد أزيد شيئاً على ما ذكره **رَحِمَهُ اللهُ** في السيرة؛ ومناسبة ذلك إما للفائدة، وإما أنه ذكره في المنظومة ولم يذكره في الأخرى، أعني: النثر.
- (٧) ترجمت للمؤلف ترجمةً مختصرةً.

هذا بالنسبة للعمل في الكتاب.

توثيق الكتاب وتحقيق اسمه

أما بالنسبة لكتاب "أمالي في السيرة النبوية" فقد ذكره تلميذ المؤلف شيخنا العلامة زيد بن محمد المدخلي رحمته الله تعالى عندما ترجم للمؤلف في مقدمة كتابه "الأفنان الندية"، فقال: وللشيخ حافظ رحمته الله مؤلفات مخطوطة لَمَّا تُطَبَع بعد... نَمَى إلى علمي منها ما يلي:

"أمالي في السيرة النبوية"، وكانت تُملَى علينا أيام دراستنا في المعهد العلمي كمادة من المواد المقررة نثرًا... إلخ.

وأثبت ذلك شيخنا علي بن قاسم الفيافي رحمته الله تعالى بخط يده.

وأما بالنسبة لـ"منظومة السيرة" فهي ضمن منظومته رحمته الله "نيل السؤل في تاريخ الأمم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم"، وقد أثبتها شيخنا زيد رحمته الله تعالى في مقدمة كتابه الأنف الذكر، فقال: "نيل السؤل من تاريخ الأمم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم" نظمًا بدأ هذه المنظومة المباركة بذكر بدء الخلق والحكمة من خلقهم، ثم بذكر إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء العظام، والرسل الكرام، ومقاماتهم الرفيعة، وبجانب ذلك تحدّث عن أحوال الجاهلية الشنيعة، وأتبعها بذكر بزوغ فجر الحياة الجديدة حياة العزّ والسعادة، حياة السيادة والقيادة في ظل تلك الشريعة التي جاء

بها محمد بن عبد الله من عند الله بيضاء نقية، عالية مضيئة.

وفصل القول في هذه المنظومة في الحوادث والأخبار التي تمت بقيادة رسول الله ﷺ ومعه أصحابه من المهاجرين والأنصار وما في ذلك من العظات والدروس والاعتبار.

إلى أن ختمها بذكر المصيبة العظيمة والفاجرة الكبرى: مرض رسولنا الكريم محمد الناصح الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى التحية والتسليم، ثم انتقاله إلى الرفيق الأعلى بجوار الرب الرؤوف الرحيم؛ فإن الله وإنا إليه راجعون... إلخ.

وكذلك أثبتنا شيخنا علي الفيافي رحمته الله تعالى كما تقدم.

وصف المخطوط

أما بالنسبة لمخطوطتي الكتابين فهما مصورتان عن نسختين موجودتين بمكتبة صامطة السلفية.^(١)

فأما مخطوطة "أمالي في السيرة النبوية" فهي في اثني عشرة ورقة في كل ورقة لوحتان في كل لوحة (٢١-٣٢) سطرًا، كُتِبَتْ بخط نسخي جيد، كتبها شيخنا علي الفيضي رحمته الله تعالى، وكان ذلك سنة (١٣٦٦هـ) كما جاء ذلك في آخر المخطوط.

وأما بالنسبة لـ"منظومة السيرة النبوية" فهي مصورة أيضًا عن نسخة موجودة بمكتبة صامطة السلفية، وعدد أوراقها ثلاث وعشرون ورقة في كل ورقة لوحتان في اللوحة الواحدة (١٧) سطرًا عدا الورقة الأولى فإن عدد الأسطر التي فيها (١٢) سطرًا كُتِبَتْ بخط نسخي جيد، كتبها شيخنا علي الفيضي رحمته الله تعالى، وقد طُبعت سنة (١٣٧٤هـ) في حياة المؤلف بمطابع البلاد بمكة مع منظومة "نيل السؤل".

وقد سميت عملي هذا: "نشر الجواهر المضوية على أمالي السيرة النبوية".
أسأل الله العليّ القدير أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأتوسل به إليه أن يُشَفِّعَ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فيّ؛ إنه جواد كريم.

(١) مؤسس هذه المكتبة هو شيخنا زيد بن محمد المدخلي رحمته الله تعالى، وكان ذلك سنة (١٤١٦هـ).

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

كتبه

الفقير إلى رحمة ربّه القدير

أبوهمام محمد بن علي الصومعي البيضانبي

اليمني الأصل المكي مجاورة بمكة المكرمة البلد الأمين

زادها الله تشريفًا

البريد الإلكتروني

abohammam999@hotmail.com

كلمة شكر وتقدير

عملاً بقول نبينا ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس» رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح؛ فإني أتقدم بالشكر الجزيل بعد شكر الله عز وجل لكل من: فضيلة شيخنا علي بن قاسم الفيافي عضو تمييز الأحكام الشرعية بالمنطقة الغربية بالمملكة السعودية سابقاً؛ فقد فرغ من وقته كثيراً كي أعرض عليه مخطوطة الكتاب النثر والنظم، مع صبره على كثرة الأسئلة وسعة صدره.

كذا أشكر لولده الأستاذ الفاضل: فهد - جزاه الله خيراً - جهده؛ فقد ساعدني كثيراً لاسيما في البحث عن بعض أجزاء المخطوط؛ فإن بعضه كان فيه طمس، فبحث جاهداً بين أوراق والده بكل صبر حتى يجده ويصوره.

كذلك أشكر أخانا، وصديقنا المفضل الشيخ: أبا سليمان ماجد بن سليمان الرسي حفظه الله؛ فإنه ما من كتاب نحتاجه في هذا العمل أو غيره إلا ويقوم بتوفيره؛ حرصاً منه على خدمة العلم كما عهدناه.

وكذلك أشكر أخانا المفضل الأستاذ: أبا أنس عصام بن عثمان القباطي على اهتمامه بالكتاب بجودة الصنف والتنسيق.

فجزى الله الجميع خيراً، وثبتنا وإياهم على الحق حتى نلقاه؛ إن ربي لسميع الدعاء.

كلمة فضيلة شيخنا علي بن قاسم الفيضي^(١)

بإثبات المخطوط

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

وبعد:

فقد سألتني الشيخ أبو همام محمد بن علي البيضاني عن مدى صحة مخطوط
"أمالي في السيرة النبوية"، و"منظومة السيرة النبوية" لشيخنا العلامة حافظ بن أحمد
الحكمي رحمته الله تعالى.

والجواب:

أمنهما ثابتان لشيخنا حافظ بن أحمد الحكمي، وقد كتبتهما بخطي كما هو
مُدَوَّنٌ في آخر المخطوط عام (١٣٦٦هـ)، وبالله التوفيق.

علي قاسم الفيضي

(١٤٢٩/١/٢٤هـ)

(١) عضو تمييز في هيئة تمييز الأحكام الشرعية بالمنطقة الغربية بالمملكة السعودية سابقاً.

صورة لكلمة فضيلة شيخنا علي بن قاسم الفيافي

بإثبات المخطوط

رقم: ٤١٨٩
التاريخ: ١١ ١٢ ١٤٠١ هـ
للمطبعة: ...

بسم الله الرحمن الرحيم
قصدت في شيخنا أبو محمد محمد بن علي بن قاسم الفيافي عن مدحه صفة مخطوط
أما في سيرة النبوة ومنظومة سيرة النبوة شيخنا العلامة
حافظنا محمد بن علي بن قاسم الفيافي: والجواب أنها ثابتة
حافظنا محمد بن علي بن قاسم الفيافي: وقد كتبتها بخطي كما هو مذكور في آخر
المخطوط عام ١٢٣٢ هـ والله المستوفى
علي بن قاسم الفيافي
١٢٣٢ هـ

التعريف بصاحب الكتاب

بقلم شيخنا العلامة زيد بن محمد مدخلي رحمته الله تعالى

نسبه، ولادته، نشأته:

هو الشيخ الفاضل، علامة عصره، وفريد دهره: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي؛ نسبة إلى ابن سعد العشيرة بطن من مذحج.

ولد شيخنا حافظ لأربع وعشرين ليلة من شهر رمضان المبارك من عام (١٣٤٢هـ) بقرية السلام التابعة لمدينة المضايا الكائنة في جنوب مدينة جازان، وانتقلت أسرته إلى قرية الجاضع التابعة لمدينة صامطة التي تبعد عنها مسافة ستة كيلو مترات تقريباً من الناحية الشرقية، وكان الشيخ أحد أفراد تلك الأسرة المباركة.

نشأ مبارك العمر -حافظ بن أحمد- كغيره من أبناء المنطقة، غير أنه لما شب بدأ يتطلع إلى حياة العز في الدارين، حياة القيادة في الخير والبر والصلاح، فحقق الله له ما تطلع إليه، وعزم عليه، وأعطاه ربه ما نواه وتمناه.

فبدأ في سن مبكرة بالعناية بالقرآن الكريم، تلاوة وحفظاً، فأحسن تلاوته، وحفظ الكثير منه، وقد أوتي سرعة في الحفظ، وقوة في الفهم، وجودة في الخط

بالقلم، وذكاءً خارقاً امتاز به عن أقرانه آنذاك.

تلك المحاولة الشريفة كانت كالتمهيد والتوطئة للدخول في باب طلب العلم الشريف بصورة جادة ومنتظمة بعد أن كان يشتغل برعي غنيمات لوالديه الكريمين اللذين قد رسما له خير قدوة فيهما من صحة العقيدة، والالتزام بالشعائر التعبدية، وعلى العموم: صدق التعامل مع الله، وحسنه مع عباد الله؛ ممّا جعله وإخوانه يتميزون عن كثير من أسر مجتمعهم وأفراده، وسبحان الله الذي يعلم حيث يجعل فضله، ويودع خيره، وبره، وإحسانه.

استمر الشيخ حافظ -أسكنه الله فسيح جناته- على تلك الحال العجيبة من رعي الغنم، وحمل المصحف، وبر الوالدين حتى قدم من بلاد نجد إلى منطقة الجنوب الإمام المجدد العالم العامل الفذ، التقى، السخي، نبيل الخلق، عالي الهمة، حسن النية، سلفي العقيدة، سوي القصد، أعني شيخنا عبد الله بن محمد القرعاوي^(١)، الذي اختار طلب العلم ونشره له منهجاً، وجعل الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة له سبيلاً، غايته منها رضا الله وجنة عرضها كعرض السماء والأرض، قدم هذا الداعية المجاهد المخلص إلى هذه المنطقة بمشورة من العالم الجليل، والناصح المخلص الأمين، الشيخ: محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمة الله علينا وعليه- مفتي الديار السعودية في أيام حياته الطيبة المباركة، حياة العلم والجهاد والإصلاح، والدعوة إلى الله، ونصرة الحق وذويه في أرض الله.

لقد حدثني من أثق به: أن أول موعظة قام بها الشيخ عبد الله بن محمد

(١) تنظر ترجمته في كتاب "المسيرة لداعية جنوب الجزيرة" تأليف بندر بن فهد الأيداء.

القرعاوي في المسجد الجامع في مدينة جازان استهلها بقول الله الحق المبين:

﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾

﴿الذاريات: ٥٠-٥١﴾.

وشرحها شرحاً بيّن فيه المراد من هاتين الآيتين الكريمتين ونظائرهما من آيات تصحيح العقيدة، وإخلاص العبادة لله المستحق لكل عبادة مالية وبدنية، قولية، وفعلية، وقلبية، شأنه شأن كل داعية إلى الله يعلم أنه ورث علم الأنبياء، فيجب أن يسلك مسلكهم، وينهج نهجهم في الدعوة إلى الله، مبتدئاً بتوضيح العقيدة السلفية التي تعتبر شرطاً أساسياً لقبول الأعمال، ورجاء ثوابها من عند الله، والتي اتفقت عليها دعوة الرسل أجمعين، ومن تأسى بهم من أهل العلم والفقهاء في الدين.

وفي عام (١٣٥٩هـ) شاء الله وأراد أن يلتقي هذا الداعية المخلص بعلمنا المترجم له، فتعرف عليه وتحبب إليه، ورغبه في صحبته لطلب العلم الشريف؛ لما رأى فيه الذكاء وصراحة القول، وحسن السمات، والأدب، وملامح النجابة والرجولة المقتضية للصبر والثبات، ففرح الشيخ حافظ بذلك العرض المحبوب إلى أصحاب الفطر السليمة إلا أنه شرط موافقة الوالدين على ذلك.

فاتجه الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي بالعرض على الوالدين بلطف، وحكمة، وترغيب، ووعد كريم، ولكن لشدة حاجة الوالدين إلى ابنهما لم يسمحا له بالذهاب إلى صامطة كما طلب شيخه ذلك ورغب فيه، غير أنه كان يتعاهده

بالدروس والتوجيه، والترغيب في التوسع في علوم الشريعة، ويعدّه خيراً.

فلما حل عام (١٣٦٠هـ) توفيت والدته الشيخ حافظ، وفي نفس العام توفي والده -رحم الله الجميع برحمته التي كتبها لأوليائه، ونسأل الله أن يجعلنا من أوليائه- وفي هذا العام تفرغ الشيخ حافظ لمواصلة السير الحثيث في طلب العلم الذي تذوق لذته، وطعم حلاوته، وحث عليه فيما بعد في "ميميته" بقوله:

يا طالب العلم لا تبغي به بدلاً	فقد ظفرت ورب اللوح والقلم
وقدس العلم واعرف قدر حرمة	في القول والفعل والآداب فالتزم
واجهد بعزم قوي لا اثناء له	لو يعلم المرء قدر العلم لم يتمم

ولقد خص بجل أوقات التحصيل علوم القرآن والحديث ووسائلها التي قال فيها:

ما العلم إلا كتاب الله أو أثر	يجلو بنور هداه كل منهم
ما ثم علم سوى الوحي المبين وما	منه استمدد الأَطوبى لمغتنم

كانت ملازمة هذا الطالب العجيب -الذي صار بحق أعجوبة زمانه تفوقه على الكبار من أقرانه- لشيخه الداعية المحتسب لا نظير لها في الاستمرارية المتعاقبة في جلساتها كتعاقب الليل والنهار، وتتابع المطر السح المدرار، مما جعل تلك الشجرة تفوق جميع الأشجار في إيتاء ثمارها المرغوبة الشهية في أقصر وقت وأغلاه في ميدان السباق في كسب العلم الشريف ونشره بين محتاجيه ومحبيه، فما هي إلا سنوات قليلة حتى ظهر واشتهر مستوى الشيخ حافظ

العلمي، وكان حديثاً حسناً في المجالس والمنتديات بين داعٍ له بزيادة العلم والفقهِ في الدين، والتوفيق لما يرضي رب العالمين، وبين غابط يتمنى أن ينال من العلم مثله كي ينفع الناس ويحشر في زمرة العلماء الربانيين، وبين مادم له بما هو فيه غير مبالغ في الثناء عليه.

وكان الشيخ كما عرفته لا يرغب أن يسمع مدح من يمدحه، أو ثناء من يثني عليه؛ لعظم خوفه من الله، ومدى خشيته واستحيائه منه.

وأذكر أن بعض الإخوان المعجبين بالشيخ وبما وصل إليه من العلم النافع الغزير أرسل إليه قصيدة فيها ثناء عليه بما هو فيه، حيث قال صاحب القصيدة:

أهدي السلام دواماً لا انتهاء له	مد الدهور بلا حد يدانيه
ما دامت الأرض أرض والسماء	والخلق خلق وباري الخلق ينميه
يكون أضعاف ما قد خط في ورق	من العلوم ومن بالجد يتليه
قال الأحباء ما يهدى السلام كذا	بين لنا أي شخص أنت تعنيه
فقلت حاء وفاء ثم يتبعها	ظاء لمن يريد التبيان يحكيه
هذا الذي ذكره نعلو به شرفاً	من شا يخوض بحور العلم يأتيه
يقذف له الحق من أنوار حكمته	فصارت أولو النهي تشكر مساعيه
طلابه العلم قد فاقت مراتبهم	لكنه عنهم علت مراقبه
هم النجوم وهو كالبدر مكتمل	في عشر وأربع فما نور يضاهيه
هذا من الرب قد أعطاه مكرمة	فنسأل الله يمنحنا معاطيه
يا طالب العلم وجه نحو صامطة	تجد بها الفخر فاسكن حيث تلفيه

من آل قرعا وعبد الله متخب
هب تلاميذه في كل ناحية
أحيوا البلاد بذكر الله واجتهدوا
غرسوا العلوم فقد طابت
من يعمل الخير يطلب من يعلمه
العلم نورٌ ومصباحٌ لصاحبه
متى قام يطلبه بالجد مجتهدًا
يكون في الرتبة العليا مجلسه
آيات حق من الرحمن منزلة
ثم الصلاة على المُختار من حضر
والآل والصحب والأتباع قاطبة
وباجتهاد لدين الله يحييه
فاللهم ارض عنهم ثم رضيه
هم الهداة لمن شاء الله يهديه
وأينع الثمر الحالي لجانيه
لا عامل إلا بنور الله العلم يكسيه
حصنٌ منيعٌ لمن بالذهن يوعيه
لا بد يبلغ إلى ما كان يبغيه
بما حكى عن رسول الله يرويه
دلت عليه بما يخفي ويبيديه
ما لاح نجمٌ وما جنت دياجيه
ومن على السنة الغرأ يواليه

فأجاب الشيخ حافظ بالأبيات التالية بعد كتابة بسم الله الرحمن الرحيم:

عادت عليكم تحيات مضاعفة
ولست أَرْضَاهُ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنِ
إذ يورث العبد إعجابًا يسر به
ما لي وللمدح والأملاك قد كتبوا
ولست أدري بما هم فيه قد سَطَرُوا
وما مضى لست أدري ما عملت
أما المَدِيحُ فَمَا لِي حَاجَةٌ فِيهِ
ولست أصغي إلى من قام ينشيه
وما جناه من الزلات ينسيه
سعيي جميعًا ورب العرش تُحْصِيهِ
وما أنا في مقام الحشر لاقيه
وما بقي أي شيء صانع فيه

نثر الجواهر المضئية على أمالي في السيرة النبوية

وما اغتراري بأهل الأرض لو
 إياكمو أن تعيدوا مثلها أبدًا
 لكن على خير من هذا أدلكمو
 دعاكمو لي بظهر الغيب لاسيما
 والنصح للمسلمين ابذله مبتغيًا
 والعرف فأمر به والمُنكر انه وكن
 بدون ذا لم تنل قط ولايته
 والحمد لله مع أركى الصلاة على
 وفي السموات ذكري لست أدريه
 فاستقبل النصح مني حيث أمله
 أن تقبلوه فما شيء يساويه
 وقت الإجابة بالأسحار تلفيه
 وجه الإله به للدين تحييه
 لله حبك والبغض اجعلن فيه
 فإن ربك مولى من يواليه
 خير الأنام وصحب ثم تاليه

أسباب نبوغه وتفوقه في العلم على جميع أقرانه

بل وعلى سائر علماء زمانه

أذكر بأنه وُجّه إلى سؤال في هذا الموضوع من بعض الإخوة المحبين للشيخ حافظ، والمتطوعين إلى فهم أسباب علو منزلته العلمية رغم صغر سنه، فأجبتة قائلاً:

إن أسباب نبوغ شيخنا في العلم ووصوله إلى ما وصل إليه تكاد تنحصر فيما يأتي:

① عناية ربانية رحيمة، وكرامة من كرامات الله لأوليائه، وهو ولي من أولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون، والزهد، والورع، والتضحية التي لا نظير لها في عصره في سبيل تحصيل العلم الشريف في مختلف فنونه الطيبة المباركة.

② توجيهات تلقاها من عالم فذٍّ، مجرب، ماهر بطرق تحصيل العلم وكيفية قطف ثمراته، ألا وهو الشيخ: عبد الله بن محمد القرعاوي، الذي تتلمذ على يديه مدة وجيزة المقدار، بيد أنها مليئة بالخير والبركة، والفضل والإحسان، من صاحب الخير العظيم، والفضل والإحسان الله الكريم المنان.

نثر الجواهر المضوية على أمالي في السيرة النبوية

ما أمده به شيخه من الدعم المعنوي والمادي حيث كان مسكن الشيخ حافظ مأوى لطلاب العلم المغتربين من داخل البلاد وخارجها أيام كان في بيش وبعد مغادرته لها، يشبه السكن الجامعي الذي أنشأته جامعاتنا في مملكتنا المحبة للعلم والعلماء.

٣٣

استثمار جميع الوقت في القراءة ذات التأمل والتدبر على سبيل الدوام بلا ملل ولا فتور، ولا سيما في كتب علوم الشريعة على اختلاف فنونها من توحيد، وتفسير، وحديث، وفقه، وأصول، وتاريخ، وأدب سلوك، وأدب معارف، مع العناية بوسائلها ذات العلاقة المتينة بها كالنحو والصرف، والبلاغة، وقواميس اللغة، ونحوها، والدليل على ذلك مؤلفاته الكثيرة المثورة والمنظومة.

٤٤

ما كان يتصف به شيخنا رحمته الله كما أسلفت من زهد، وورع، وإيثار للأجلة على العاجلة، وتقديم لمراضى الله على متطلبات النفس الأمارة بالسوء، فلقد نصر الله في نفسه؛ فنصره الله على كل عدو داخلي وخارجي كما وعد، ووعد الحق: ﴿إِنْ نَصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

٥٥

قوة الذاكرة، وسرعة الفهم، وعمقه، وتحديد الفكر والاتجاه، وحفظ المتون المفيدة نظماً ونثراً، وفي مقدمة محفوظاته كتاب الله الذي هو مصدر كل خير وعلم وفضيلة، ولشدة حرصه على حفظ المتون أنه كان يستخرج المتن من الكتاب الذي يشرح ذلك المتن، هكذا رأيتُه يفعل.

٦٦

٧ إخلاص النية في الطلب مقرونة بالعمل بالعلم ونشره في كل مناسبة من المناسبات الخاصة والعامة، وهذا الصنيع له أثر عظيم في زيادة العلم ونمائه المطرد السريع.

نظرته إلى المجتمع الإسلامي ونظرة المجتمع إليه :

أما نظرته إلى المجتمع الإسلامي الكبير فقد كان حريصاً على ثباته على الحق، والتزامه به، وتمسكه بما جاء به نبي الإسلام ﷺ من عقيدة، وعبادة، ومعاملة، وسلوك، وأدب، وكان مجاهداً في سبيل الله بلسانه، وقلمه، شأنه شأن كل داعية وإعٍ مخلص يحب لإخوانه من الخير ما يُحبه لنفسه، ويكره وصول الشر إليهم كما يكره وصوله إليه؛ عملاً بالحديث الوارد في هذا المعنى^(١).

وأما نظرة المجتمع الذي كان يعيش فيه ومن حوله إليه، فقد كان له في نفوسهم غاية التقدير، وفائق الاحترام، وأعلى المحبة والقبول ما لا أستطيع وصفه، فقد كانوا يستمعون لتوجيهاته السديدة، ويصغون إلى نصائحه الغالية المفيدة، ويقبلون وصاياه عن قناعة، ومحبة، وتصديق، وكانوا يوقرونه بما لا مزيد عليه، وكنا نستدل بذلك التقدير والاحترام والمحبة على أن الله قد وضع له القبول في الأرض بعد أن أحبه وأحبه ملائكة السماء، وجعل له لسان صدق أيام حياته وبعد مماته؛ إذ هو بحق قدوة حسنة، ومثال يُحتذى في صدق التعامل مع الله، وحسن التعامل مع عباد الله.

(١) الحديث الوارد في ذلك هو ما رواه الإمام أحمد في "مسنده" بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». (ج ٣/ ص ١٧٦، ٢٧٢، ٢٧٨).

كذا خرجه شيخنا زيدٌ حفظه الله، وهو في "الصحيحين".

أعماله

تولّى شيخنا التدريس في المدرسة السلفية في كلِّ من صامطة، ويش، وكان يعطي كل مستوى ما يناسبه، وقد حضرت وأنا صغير أعقل وأفهم في إحدى الحلقات وهو يدرس فيها السنن الأربع، وفي كل من صامطة ويش هو مدير المدرسة، وأستاذها، والقائم المباشر بالنفقة على طلابها، غير أنه في صامطة كان مشرفاً على بعض المدارس المجاورة لصامطة، وموجّهاً في معظم المدارس التي تمّ فتحها على يد الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي في منطقة الجنوب: تهامة، وعسير. (١)

وفي عام (١٣٧٣هـ) تمّ تعيينه مديراً لمدرسة ثانوية بمدينة تابعة لوزارة المعارف، فاستمر في إدارتها وتربية طلابها بكل جد ونشاط وإصلاح، حتى هيا الله فتح المعهد العلمي في صامطة في عام (١٣٧٤هـ)، فتولّى إدارة المعهد والقيام بالتدريس فيه، وتألّف الكثير من مقرراته، وإملائها على الطلاب بكل عناية وكفاية، وبقي مديراً إلى أن وافاه الأجل المسمى عام (١٣٧٧هـ).

(١) ولمعرفة هذه المدارس وتاريخ تأسيسها ينظر كتاب "المسيرة لداعية جنوب الجزيرة" (ص ١٥٧-١٦٠).

مؤلفاته

مؤلفات شيخنا كثيرة، منها المنظوم، ومنها المنشور، ومنها المطبوع، ومنها المخطوط، وكلها تدل القارئ الواعي على ما كان له من جهد كبير في القراءة لمراجعتها، نظمًا ونثرًا، وإليك بعض مؤلفاته:

❶ "سلم الوصول إلى علم الأصول" في التوحيد نظمًا.

وقد تجلّى قدر هذه المنظومة وشمولها لأصول الدين، وكافة فضائله من خلال شرحها المسمى "معارج القبول".

❷ "معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول".

في مجلدين كبيرين، وهو من المراجع المهمة لأهل الدراسات العليا في العقائد؛ إذ إنه كتاب جامع في موضوعه لا نظير له من مؤلفات معاصريه، أو ممن جاء بعده.

❸ "أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة".

وهي على طريقة السؤال والجواب، وقد دون فيها من العلوم ما يستغني عنه مسلم، أو مسلمة.

❹ "الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة" نظمًا.

وهي في إيضاح عقيدة أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً، والرد على أهل الزيغ والضلال من أصحاب العقائد الباطلة، والنحل المنحرفة، والمبادئ الهدامة الباطلة.

﴿٥﴾ "دليل أرباب الفلاح في تحقيق فن الاصطلاح".

وهو من خير ما كتب في هذا الفن من مصطلح الحديث؛ حيث استوعب فيه جوانب هذا العلم الذي يعتبر من أشرف العلوم بعد علوم القرآن الكريم؛ ذلك لأن سنة المصطفى ﷺ لا تتضح تمام الاتضاح إلا بتحقيق علم المصطلح الذي يُعنى بأسانيد السنة ومتونها؛ فيتبين صحيحها من سقيمها، وقويها من ضعيفها، والكتاب على طريقة السؤال والجواب.

﴿٦﴾ "اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون".^(١)

وهو نظم فريد في فن المصطلح؛ لما اشتمل عليه من قواعد، وضوابط تتعلق بالسند والمتن، ومراتب التعديل والجرح، وصيغ الأداء، وغير ذلك من مباحث هذا الفن.

﴿٧﴾ "متن لامية المنسوخ".^(٢)

منظومة أورد فيها أمثلة كثيرة من النصوص الناسخة والمنسوخة، بحيث يذكر المنسوخ ويشير إلى ناسخه بدقة في التعبير ووضوح في التمثيل.

﴿٨﴾ "السبل السوية لفقهاء السنن المروية" نظماً.

(١) وهو مطبوع بتحقيقي ضمن "مجموع الرسائل والمنظومات العلمية" للشيخ حافظ ﷺ.

(٢) قمت بتحقيقها ضمن مجموع فيه عشر رسائل للشيخ حافظ ﷺ.

وهذه المنظومة المباركة تعتبر قاموساً من قواميس السنة المحمدية حيث تعرّض الشيخ فيها لبحث العبادات والمعاملات، والأخلاق والآداب، والسلوك والرفائق، ترغيباً وترهيباً، وأبياتها (٢٣٥٩) بيتاً، وقد أعانني الله على إتمام الجزء الأول من شرحها، وها هو ذا بين يدي القراء الكرام من المسلمين والمسلمات، أرجو من الله أن ينفعني به، وينفع به من شاء من عباده؛ إنه جواد كريم، كما أسأله -وهو أعظم مسئول، ومالك الإجابة وحده- أن يعينني على إتمام شرح هذه المنظومة المباركة^(١) التي قد احتوت على جميع مباحث فقه الدين الإسلامي القويم، وأن يجعل القصد حسناً والعمل صالحاً، خالصاً متقبلاً.

﴿٩﴾ "وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول" نظماً.^(٢)

فَصَّلَ فِيهَا التَّعْرِيفَاتِ بِأَصُولِ الْأَحْكَامِ التَّكْلِفِيَّةِ وَالْأَحْكَامِ الْوَضْعِيَّةِ، كَذَا الْأَدْوَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَعَانِي، وَأَصُولِ أَدَلَّةِ الْأَحْكَامِ الَّتِي هِيَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ، وَأَسْهَبَ فِي ذَلِكَ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ.

كما أوضح فيها وجوه الخطاب من أمرٍ ونهي، ومنطوق ومفهوم، وعموم وخصوص، وإطلاق وتقييد، ومُجْمَلٌ ومبِينٌ، ومُحْكَمٌ ومُتَشَابِهٌ، وناسخ ومنسوخ، وراجح ومرجوح، وختمها بمبحث القياس والاجتهاد والفتيا بأسلوبه المنظوم السهل الميسر ﷺ.

(١) وقد أكمل شرحها فجاء ذلك في تسعة مجلدات، وسماه "الأفنان الندية شرح منظومة السبل السَّوِيَّةَ لفقهِ السننِ المروية" طبع بدار المنهاج بمصر.

(٢) وقد شرحها شيخنا زيد -وفقه المولى- وسمى ذلك الشرح "الجهد المبذول في تنوير العقول بشرح منظومة وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول" طبع بدار المنهاج بمصر.

”نيل السُّؤل من تأريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ نظمًا.“

بدأ هذه المنظومة المباركة بذكر بدء الخلق، والحكمة من خلقهم، ثم بذكر إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء العظام، والرسل الكرام، ومقاماتهم الرفيعة، وبجانب ذلك تحدث عن أحوال الجاهلية الشنيعة.

وأتبعها بذكر بزوغ فجر الحياة الجديدة: حياة العز والسعادة، حياة السيادة والقيادة، في ظل تلك الشريعة التي جاء بها محمد بن عبد الله من عند الله بيبضاء نقية، عالية مضيئة.

وفصّل القول في هذه المنظومة في الحوادث والأخبار التي تمت بقيادة رسول الله ﷺ ومعه أصحابه من المهاجرين والأنصار، وما في ذلك من العظات والدروس والاعتبار.

إلى أن ختمها بذكر المصيبة العظمى والفاجعة الكبرى: مرض رسولنا الكريم محمد الناصح الأمين -عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى التحية والتسليم- ثم انتقاله إلى الرفيق الأعلى بجوار الرب الرؤوف الرحيم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.^(١)

”المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية“.^(٢)

وهي قصيدة عظيمة النفع جمّة الفوائد تحث على طلب العلم وترغب فيه، وتدعو إلى الإخلاص فيه والدعوة إليه، وقد دلل فيها ﷺ على صحة ما قال

(١) وقد قمت بتحقيق جزء منها وهو ما يتعلق بسيرة نبينا محمد ﷺ، وطبعت ضمن مجموع فيه عشر رسائل للشيخ حافظ ﷺ.

(٢) وقد قمت بتحقيقها، وطبعت ضمن مجموع فيه عشر رسائل للشيخ حافظ ﷺ.

ببراهين قاطعة، وأدلة قائمة وواضحة.

﴿١٢﴾ "نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والشمة والدخان".

وقد تجلّى في هذه القصيدة النصح الخالص من الشيخ لقوم طالما فتنهم تلك القاذورات المسمومة المنتنات من قات وشمة ودخان، التي لا يلتذ بها إلا من مُحِقَّتْ فطرته، وتغير طبعه عن الإنسان العاقل المفكر، وبالأحرى لا يدافع عن ذمها ويشك في خبثها إلا أشباه عباد الهوى الذين غرهم الشيطان، وزين لهم ما كانوا يعملون.

ومن قرأ هذه القصيدة والرد عليها من بعض المفتونين بهذه القاذورات تبين له ما كان عليه الشيخ من حق مؤيد بالأدلة الصحيحة الصريحة.

ومما كان يتفوه به الخصم المفتون من باطل أرسله استجابة لهواه، وانتصاراً لمن كان على شاكلته ممن أضلهم الشيطان عن طريق الحق وسناه، وحقاً إن للحق أنصاراً ودعاةً وحماةً، وللباطل أنصاراً، ومروجين ودعاة، فاللهم اجعلنا حرباً على أنصاره ودعائه، ومروجيه. ^(١)

﴿١٣﴾ قصيدة في الترغيب والترهيب والحث على تقديم الآجلة على العاجلة، والاستعداد للقاء الله بمجاهدة النفس الأمارة بالسوء والهوى والشيطان، حتى تلتزم بالطاعة مصدر العزة والسعادة، وتبتعد عن المعصية مصدر الذل والهوان، والردى والشقاوة.

(١) وقد ناولني شيخنا ربيع المدخلي حفظه الله نسخة قديمة لهذه المنظومة، طلب مني أن أحققها وأضيف عليها بعض التعليقات، وتم ذلك بحمد الله وطبعت ضمن مجموع فيه عشر رسائل للشيخ حافظ رحمته الله.

كما تناول فيها التحذير من الاغترار بالدنيا وإيثارها على الآخرة، وبيان ما سيؤول إليه المغرورون الذين استعذبوا هذه الحياة الدنيا واطمأنوا بها، وغفلوا عمًا من أجله خلقوا، وبه على لسان نبيه ﷺ استخلفوا.

وشوق النفوس المطمئنة بأوصاف الجنة دار الكمال والجمال والبقاء والدوام، على ضوء وصف خالقها لها في كتابه الكريم، وعلى لسان عبده ورسوله محمد سيد الأولين والآخرين الذي بوأه ربه الرفيق الأعلى في عليين.

وأحمد الله الذي أعانني على التعليق على هذه القصيدة بشرح موجز يتضمن نشر منظومها، وإبراز ما تضمنته من آيات الكتاب الكريم، وسنة النبي الهادي الأمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

وتمَّ طبعها على حساب نادي حطين بمدينة صامطة، جزى الله كل من كان ويكون سببًا في نشر العلم ومفتاحًا لأبوابه.

رسالة "النور الفاضل من شمس الوحي في علم الفرائض".^(١)

وهي رسالة مختصرة بالنسبة إلى المطولات في هذا الفن؛ بيد أنها وافية بمسائله، وجامعة لما تفرق من مقرراته، أكثر فيها إيراد الضوابط التي تعرف بها كفاءات قسمة الموارث، كما أكثر فيها من ضرب الأمثلة التي توضح قواعد هذا الفن الجليل الذي تولى الله قسمة موارثه ولم يكله إلى أحد من خلقه، فجزاه الله خير الجزاء، ورفع درجته عاليةً مع الصالحين والشهداء.

(١) وعندي لهذه الرسالة مخطوطة أسأل الله أن يعينني على تحقيقها وإخراجها.

المخطوط من مؤلفاته

وللشيخ حافظ رحمته الله مؤلفات مخطوطة لَمَّا تطبع بَعْدُ، نَمَى إلى علمي منها ما

يلي:

﴿١٥﴾ «أمالي في السيرة النبوية»^(١)، وكانت تُملئ علينا أيام دراستنا في المعهد العلمي كمادة من المواد المقررة نثرًا، وكانت مخطوطة عندي في كراريس، وعندما طلبها مني الأستاذ: أحمد بن حافظ سلمتها له، وهي محفوظة لديه.

﴿١٦﴾ «مفتاح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام» نثرًا.

﴿١٧﴾ «شرح الورقات في أصول الفقه» نثرًا.

﴿١٨﴾ «همزية الإصلاح في تشجيع الإسلام وأهله» نظمًا، بلغت أبياتها مائتين وأربعة عشر بيتًا، ركز فيها على التمسك بالعروة الوثقى التي اتفقت عليها دعوة الرسل وأتباعهم، ثم بين معتقد أهل السنة والجماعة، وموقفهم الحق من نصوص الكتاب والسنة في باب الأسماء والصفات، وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع ذكر محبتهم لهم والترضي عنهم،

(١) وقمت بتحقيقها والتعليق عليها، وطبعت ضمن مجموع فيه عشر رسائل للشيخ حافظ رحمته الله، ثم شرحتها في مجلد وسميت ذلك الشرح «نثر الجواهر المضوية على كتاب أمالي في السيرة النبوية»، وهو هذا الذي بين أيدينا.

والسكوت عما شجر بينهم، ومحبتهم جميعاً؛ لأنهم صفوة أولياء الله بعد أنبياء الله ورسله.

ثم أشار إلى تضحياته الجهادية، وحنكتهم القيادية، حيث فتحوا الدنيا من أجل أن يُعبد الله، وتحكَّم شريعته بين العباد في جميع البلاد، وقد أثنى فيها على العلماء الربانيين، والفقهاء المحققين، قادة الأمة إلى هدى الله، وفي طريق الحق ليصلوا بهم إلى مقر الأمن والأمان، إلى رحاب الكريم المنان، في جنة وصفت بكل كمال وجمال وإحسان في معظم نصوص السنة والقرآن.

وقد قيل: من أراد أن يطلع على وصف الجنان فليقرأ سورة الرحمن.

ثم دعا فيها المسلمين أجمعين -وبالأخص علماءهم- إلى دعوة الخلق إلى سبيل الحق، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ براءةً للذمة، ونصحاً للأمة، ثم ختمها بدعوات مباركة له ولكافة المسلمين، نسأل الله أن يستجيب له، وأن يجزيه عنا نحن المسلمين خير الجزاء.

﴿١٩﴾ "مجموعة خطب للجمع والمناسبات"، التي تستدعي خطابةً وتوجيهًا.

وكنت قد جمعت الكثير منها، واستعنت على كتابتها بأحد طلابي آنذاك، ثم طلبها مني فضيلة الشيخ: محمد بن أحمد الحكمي كي يطلع عليها ويعيدها إليّ، وأعطيته ولمّا تعد إليّ؛ حيث اعتذر مني بأنها قد فقدت منه، وهو صادق في اعتذاره، والحمد لله على وجود أصلها عند أبناء الشيخ الكرام، وفقنا الله وإياهم

للعلم النافع، والعمل به، ونشره. (١)

(١) وهناك بعض المخطوطات التي لم تطبع، قمت بتحقيقها، منها:

(١) "مجملة تاريخ الأندلس في الإسلام".

(٢) "لمع حافلة في الفقه والتفقه والفقهاء في عصر الصحابة والتابعين".

(٣) "تعريفات في علم مصطلح الحديث"، وجمعتها هي وغيرها في المجموع السابق ذكره.

إسهام شيخنا - علينا وعليه رحمة الله -

في الدعوة إلى الله وبذل النصح لعباد الله

كان الشيخ حافظ رحمته الله يؤمن بأن الدعوة إلى الله فريضة من فرائض دين الإسلام، وعلى مثله يتعين القيام بها، فالزم نفسه بالقيام بها بأساليب شتى، وطرق مختلفة بحسب حال المدعويين وحاجتهم ومستوياتهم، فكان يؤدي هذه الفريضة تارة بالخطب في الجمع والأعياد، والمناسبات الأخرى المشروعة، وتارة بألقاء المحاضرات العامة، ومرة بتعليم العوام وتلقينهم أمر دينهم، وإما بالتدريس الذي هو أعظم طريق لتربية الأجيال؛ فهو سبيله من بداية تتلمذه على شيخه عبد الله بن محمد القرعاوي إلى أن توفاه الله، وهكذا الفتوى في المنطقة وإقامة فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الدعوة إلى الله بذاتها.

وقصارى القول: فتأليف الشيخ حافظ دعوة إلى الله، وإرادته دعوة، وإدارته دعوة، وتدريسه دعوة، ومحاضراته دعوة، وزياراته للأعيان وطلاب العلم دعوة، وسلوكه دعوة، فالرجل داعية إلى الله في إدارته، وفي حلقة تدريسه، وفي محراب صلاته، وفي جلساته التعليمية والعادية، وفي محل إقامته، وأثناء سفره، وإن أردت مصدراً لما قلتُ وشاهدًا على ما وصفت فاجمع مؤلفاته من منظوم الكلام ومنثور، وستلفيها خير شاهد على ما ذكرت، وأعظم برهان على ما وصفت.

ظل شيخنا على تلك الحياة الطيبة المباركة: حياة التحصيل العلمي، والتعليم، والتأليف، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإحياء السنة، وقمع البدع، والرد الوافي الكافي على أهل الانحراف، حتى توفاه الله، الذي قال في محكم تنزيله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة (١٣٧٧هـ) في مكة المكرمة على إثر مرض ألمَّ به وهو في حسن الشباب وتمام القوة و﴿أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، وكان عمره حين الوفاة (٣٥ عامًا) خمسة وثلاثين عامًا وثلاثة أشهر، ودفن بخير البقاع عند الله: البلد الحرام، مكة المكرمة، فرحمه الله رحمة الأبرار الأتقياء، وغفر له مغفرة المجاهدين الشهداء، ورفع درجته بحشره يوم القيامة في زمرة الرسل والأنبياء.

ونحن يا ربنا، نمد أكف الضراعة إليك، ونطمع في الفضل والإحسان الذي في يديك، نسألك اللهم أن تجعلنا من حزبك المفلحين، وأوليائك المتقين، وأن تحسن إلينا بمغفرة الذنوب وستر العيوب، وأن تحشرنا في موكب الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، إنك أكرم مسؤل، وخير مرجؤ ومأمول.

وقد رثاه شعراء المنطقة منهم الكبير الدكتور زاهر بن عواض الألمعي بقصيدة تدل على مدى تأثره عندما سمع نبأ وفاة العالم الهمام الشيخ حافظ، حيث

قال:

لقد دَوَّى على المخلاف موت
تفجعت الجنوب وساكنوها
وذاعت في الدُّنا صيحات خطب
فكففت الدموع على فقيد
وأحيا في الربوع بيوت علم
أحافظ كنت للعلياء قطبًا
وبحراً في العلوم بعيد غور
وقد خلفت آثاراً جساماً
نشرت العلم فانتعشت بلاد
ونورت الدجى بثثار فكر
ألا صبراً بنبي جازان إننا
ولكن ذاك دولا ب المنايا
فقيد الفضل فضلك سوف يبقى
حباك الله رضواناً وخليداً

نعى النحرير عالمها الهاما
على بدر بها يمحو الظلاما
فهزت من فجائعها الأناما
على الإسلام شمر واستقاما
وواسى مقعداً ورعى يتاما
وللإسلام طوداً لا يسامام
كثير النفع قواماً إماماً
فرائد خرداً عظمت مقاماً
ونالت في مطالبها المراما
وهل الفكر ما يجلو الظلاما
لنبيكي مثلكم هذا الهاما
يدور وليس يستثني العظاما
مناراً في الزمان وإن ترامى
وأهمننا على الصبر اعتصاماً^(١)

(١) نقلاً من مقدمة «الأفنان الندية» لشيخنا زيد بن محمد المدخلي حفظه الله.

السنة التي ولد فيها محمد صلى الله عليه وسلم
 سن كيف نسب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه
 ج هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
 بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن
 مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس
 بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وعونه ولد له
 بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
 سن كيف نسب من جهة أمه
 ج أمه آمن بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن نوف
 وقدر ولد له صلى الله عليه وسلم وكان من نسله من سباع حلال
 من ذلك جميع أباؤه وأمهاته
 سن متى توفي أبوه
 ج توفي أبوه بالمدينة وهو صليل ولم يزل
 سن متى كان مولده
 ج كان مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل في الاثنين ثاني عشر من
 شهر ربيع الأول
 سن من حواضن غير أمه
 ج أرضه مولدة إبراهيم الخليل وثوبية مولدة أبي لهب ثم
 لم ترضع في بني سعد بن بكر أرضه حنيفة بنت أبي ذؤيب
 سن متى كان حادثه شق الصدر
 ج كان ذلك وهو غلام في أربع سنين برعى بها في الوادي
 من الرضاعة ثم بعد ذلك وهو الخامسة
 سن متى توفيت أمه ومن كفلها بعدها
 ج

صورة للورقة الأولى من المخطوط

نثر الجواهر المضوية على أمالي في السيرة النبوية

ج توفي في شهر من السنة الحادية عشرة من الهجرة، ولين الثلثون وسبعمائة
 سن متى اشتد به وجع مودة صلاته وسلم
 ج اشتد به يوم الخميس في يوم الاثنين وجره من القلائد
 سن من استخلف على الصلاة في مرضه وت
 ج استخلف على الصلاة بالناس صاحب الغار، ووقف في الزحف والخضار وأولاه
 برسالة منقاد الجاهل، واليك في يومه في أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه
 سن عن أم توفى من زوجاته صلاته وسلم
 ج توفي يوم الأربعاء عن تسع وتسعين سنة، وعاش بنتان، وأربع عشرة بنتاً، وبنات
 حبيب بنتان، صفوان وأهله بنت أولاده، وسودة بنت أبي بكر بن عبد
 زيد بنت جحش، وهي بنت الحارث، وسيرة بنت الحارث، و
 صفيرة بنت يحيى، ومات قبله من زوجاته خديجة بنت أبي لهب، والهجرة وت
 بنت خديجة قبل وفاته، وكان يقال إمام المساكين]
 سن تم له من ولد
 B أصله من النول ثلاثه من الذكور القاسم ويقال للطير واللام
 ويرى كان يكنى وعبد الله بن ابراهيم، وأربع من النساء فاطمة وزينب
 ورقية، ولم يكلمه وكان ولده صلاته وسلم من خديجة الابراهيمية
 مات قبل الإفاط، رضي الله عنه بعد بستة أشهر]
 سن هل ورت النبي صلاته وسلم شيئاً
 ج قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة، ورت
 ورت صلاته وسلم العالم من أخذه أخذ بحظ وافر، و
 والحمد لله رب العالمين، صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين، والحمد لله رب العالمين،
 المرحوم الدين، وترجمته، شهر الامين
 تم تعلم تاريخه مؤلفه علي بن قاسم الغنوي، من شهر شوال، العام ١٣٦٦ هـ، في دار
 المطبعة، في
 السنة ١٣٦٦ هـ

صورة للورقة الأخيرة من المخطوط

﴿ كتاب سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴾

﴿ ذكر نسب الشريف المطهر ﴾

هو الرسول الهاشمي المصطفى	خير الانام محمد وشرفنا
ابو عبد الله عبد المطلب	فهاشم عبد مناف ينسب
ابن قصي بن كلاب وانسب	مرة كعب بن لؤي غالب
عوان بن فهر بن مالك الى	نضر كنانة خزيمة عار
بدرية الياسر وهو ابن مضر	ابن نزار بن معد اشهر
موان عدنان الى النجاشي	ينسب قطعا وهو في الصحيح
وامه آمنه بنت تميم	لوهب من عبد مناف نسوا
الزهرية ابن كلاب اتصلا	بالنسب الذي ذكرنا اولاً
زيد حمي الله اصول المصطفى	من السيفاح الجاهل حتى صفا
﴿ ذكر مولد نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴾	

وكان دفعه بلا سراة
 وعمره ثلاث مع ستين
 ثم ثلاث بعدها يوم على النبي
 وقام بالتبليغ عشرين سنة
 ولم يورث درهما كلاً ولا
 بلورث الوحيين ^{بوصفها}
 صاب عليهم زينا وسلمما
 وتم بالأجمال نظم السيرة
 وبعده يتلوه بأذن الله -
 نظم شمائل النبي الأواص
 والله ارجو العون والتوفيقا
 وودفع المانع والتعويقا
 على اختصار قاصداً تيسيره

صورة للصفحة الأخيرة من منظومة السيرة النبوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

س١ / كَيْفَ نَسَبُ نَبِينَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ؟

ج١ / هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مِرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ عَلَابِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ ابْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسِ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِرَارِ ابْنِ مَعَدٍ بْنِ عَدْنَانَ، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. ﴿١﴾

﴿١﴾ قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في "السيرة" (١/٢٤٦): وهذا النسب بهذه الصفة لا خلاف فيه بين العلماء؛ فجميع قبائل عرب الحجاز ينتهون إلى هذا النسب؛ ولهذا قال ابن عباس وغيره - في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٣٣]-: لم يكن بطنٌ من بطون قريش إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نسبٌ يتصل بهم. اهـ. (١)

قال الشيخ حافظ رحمته الله في منظومته "نيل السؤل من تاريخ الأمم وسيرة الرسول":

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٠٦).

خَيْرُ الْأَنْامِ مُحْتَدًا ^(١) وَشَرَفًا	هُوَ الرَّسُولُ الْهَاشِمِيُّ الْمُصْطَفَى
فَهَاشِمٌ عَبْدٌ مَنَافٍ يَنْتَسِبُ	أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ
مُرَّةَ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ غَالِبِ	ابْنُ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ وَأَنْسِبِ
نَضْرٍ كِنَانَةَ خُرَيْمَةَ عَلَا	هُوَ ابْنُ فَهْرٍ بْنِ مَالِكِ إِلَى
ابْنُ نِزَارٍ بِنِ مَعَدٍّ اشْتَهَرَ	مُدْرِكَةَ إِيَّاسَ وَهُوَ بِنُ مِضْرَ
يُنْسَبُ قَطْعًا وَهُوَ فِي الصَّحِيحِ	هُوَ ابْنُ عَدْنَانَ إِلَى الدَّبِيحِ

(١) في الأصل: [محتد]، والمحتد هو الأصل. "تهذيب اللغة" (٤/٤٠٤) للأزهري.

س٢ / كَيْفَ نَسَبُهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ؟

ج / أُمُّهُ: أَمْنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ ① ، وَقَدْ
وُلِدَ ﷺ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ يُوَلَدْ مِنْ سِفَاحٍ ② ؛ حَمَى اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ جَمِيعَ
أَبَائِهِ وَأُمَّهَاتِهِ.

① قال الشيخ حافظ رحمه الله:

وَأُمُّهُ أَمْنَةُ تُنْسَبُ لَوْهَبٍ مِنْ عَبْدِ مَنَافٍ نَسَبُوا
لِزُهْرَةَ ابْنِ كِلَابٍ اتَّصَلَا بِالنَّسَبِ الَّذِي ذَكَرْنَا أَوْلَا

② ورد من حديث أبي هريرة، وعلي، وعائشة رضي الله عنهم مرفوعاً: «وُلِدْتُ مِنْ نِكَاحٍ
لَا سِفَاحٍ»، وفيه ضعف، وتكلم الألباني على أسانيده في «إرواء الغليل» (٦/٣٢٩-
٣٣٤)، وخرَجَ بتحسينه، وانظر «السيرة» لابن كثير (١/٢٤٨-٢٤٩)،
و«صحيحها» للألباني (ص ١٠-١١).

قال الشيخ حافظ رحمه الله في منظومته «السيرة»:

وَقَدْ حَمَى اللَّهُ أَصُولَ الْمُصْطَفَى مِنْ السَّفَاحِ الْجَاهِلِيِّ حَتَّى صَفَا

س٣ / متى تُوفِّي أبوه؟

ج / تُوفِّي أبوه بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمْلٌ. ^(١)

س٤ / متى كَانَ مَوْلِدُهُ؟

ج / كَانَ مَوْلِدُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفِيلِ ^(٢)

^(١) ينظر لذلك "السيرة" لابن إسحاق (١/٤٥)، و"الطبقات" لابن سعد (١/٩٩-١٠٠).

^(٢) لِمَا رَوَى الْحَاكِمُ (٢/٦٠٣) مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: وُلِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْفِيلِ. قَالَ الْحَاكِمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخِينَ.

قلتُ: وأبو إسحاق هو السبيعي، مدلس، وقد عنعن؛ بيد أن له شاهداً أخرجه ابن إسحاق في "السيرة" (١/١٦٧)، والحاكم (٢/٦٠٠) بإسناده إلى قيس بن مخزومة، قال: ولدت أنا ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفيل؛ فنحن لدان.

ولكن فيه: المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخزومة، وهو كما قال الحافظ: مقبول. أي: عند المتابعة، وإلا فلين، وبمجموع الطريقين يكون حسناً، والله أعلم.

فِي الْإِثْنَيْنِ ① ثَانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَيْبِعِ الْأَوَّلِ. ②

لِمَا رَوَى مُسْلِمٌ بِرَقْمِ (١١٦٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ عَنْ صَوْمِ الْإِثْنَيْنِ فَقَالَ: «فِيهِ وُلِدْتُ، وَفِيهِ أُنزِلَ عَلَيَّ».

لَمْ أَقِفْ عَلَى شَيْءٍ صَحِيحٍ يَثْبُتُ أَنَّ مَوْلِدَهُ ﷺ فِي الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَيْبِعِ الْأَوَّلِ.

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

مَوْلِدُهُ كَانَ بِعَامِ الْفَيْلِ	وَنُقِلَ الْخِلَافُ عَنْ قَلِيلِ
ثَانِي عَشَرَ مِنْ رَيْبِعِ الْأَوَّلِ	فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ بِلَا تَحْوُلِ
مَاتَ أَبُوهُ فِي زَمَانِ حَمْلِهِ	عَلَى أَصْحَ مَا أَتَى فِي نَقْلِهِ

س٥ / مَن حَوَاضِنُهُ غَيْرُ أُمَّهِ؟

ج / أَرْضَعْتُهُ مَوْلَاةً أَبِيهِ أُمَّ أَيْمَنَ ، وَتُوَيْبَةُ مَوْلَاةً لِأَبِي لَهَبٍ ، ثُمَّ اسْتَرْضَعَ فِي بَيْتِي سَعْدُ بْنُ بَكْرٍ، أَرْضَعْتُهُ حَلِيمَةَ بِنْتُ أَبِي ذُوَيْبٍ.

فكانت أم أيمن^(١) تحضنه حتى كبر رسول الله ﷺ فأعتقها، ثم أنكحها زيد ابن حارثة.

لما صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «أرضعتني وأبا سلمة ثوية»^(٢).

هذه القصة - أعني قصة إرضاع حليلة السعدية لبنينا ﷺ مشهورة، كما في كتب السيرة، كالسيرة لابن هشام (١/ ٢١٤) وغيرها، لكنها غير ثابتة سندًا، انظر «السيرة النبوية» للعمري (١/ ١٠٢-١٠٣) في الحاشية.

قال الشيخ حافظ رحمة الله عليه:

لَهُ تُوَيْبَةُ مِنَ الْحَوَاضِنِ مَوْلَاةٌ عَمَّهُ وَأُمَّ أَيْمَنٍ
وَوَظَّيْرُهُ بَعْدُ بَدُونِ رَيْبٍ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُوَيْبٍ

(١) رواه مسلم برقم (١٧٧١).

(٢) رواه البخاري برقم (٥١٠١)، ومسلم برقم (١٤٤٩).

س٦ / مَتَى كَانَتْ حَادِثَةٌ شَقَّ الصَّدْرُ؟

ج / كَانَ ذَلِكَ وَهُوَ غَلَامٌ قَرِيبَ أَرْبَعِ سِنِينَ يَرَعَى بِهِمَا لِأَبَوَيْهِ مِنَ الرَّضَاعِ،

ثُمَّ بَعْدَهَا رَدُّوهُ إِلَى أُمَّهِ.

وهذه الحادثة وهي شق صدره صلى الله عليه وسلم حصلت مرتين: الأولى وهو صغير كما

في "صحيح مسلم" ^(١) من حديث أنس رضي الله عنه، والثانية: ليلة الإسراء، روى ذلك البخاري ^(٢) ومسلم ^(٣) عن أنس رضي الله عنه.

قال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (١/٥٩٧): ورجح عياض أن شق الصدر كان وهو صغير عند مرضعته حليلة، وتعقبه السهيلي بأن ذلك وقع مرتين وهو الصواب...، ومحصله أن الشق الأول كان لاستعداده لنزع العلقة التي قيل له عندها: «هذا حظ الشيطان منك»، والشق الثاني كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة. اهـ ^(٤)

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَشَقَّ صَدْرُهُ هُنَاكَ وَغُسِلَ
ثُمَّ لِأُمَّهِ أُعِيدَ آمِنًا
ثُمَّ مُلِيَ بِحِكْمَةٍ نَصًّا نُقِلَ
يُنْبِئُهُ اللَّهُ نَبَاتًا حَسَنًا

(١) برقم (١٦٢) و(٤٢٦١).

(٢) برقم (٣٤٩).

(٣) برقم (١٦٣)، وينظر "صحيح السيرة النبوية" (ص ١٨-١٩) مع الحاشية للألباني.

(٤) وينظر "دلائل النبوة" (١/١١٨) لأبي نعيم، و"شرح الزرقاني على المواهب اللدنية" (١/١٥٠).

س٧/ مَتَى تُوفِّيتْ أُمُّهُ وَمَنْ كَفَلَهُ بَعْدَهَا؟

ج/ تُوَفِّيتْ أُمُّهُ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ بِالْأَبْوَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَهِيَ رَاجِعَةٌ

بِهِ مِنْ عِنْدِ أَسْوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ ، وَكَفَلَهُ بَعْدَهَا جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ .

س٨/ مَتَى تُوفِّيَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَمَنْ كَفَلَهُ بَعْدَهُ؟

ج/ تُوَفِّيَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَمَانِ سِنِينَ، وَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو

طَالِبٍ^(١)، وَكَانَ بِهِ حَفِيًّا.

ذكر أهل السير أن وفاتها كانت بالأبواء بين مكة والمدينة، وكانت قدِمَتْ به على أخواله من بني النجار فماتت وهي راجعة إلى مكة، كذا يذكر أهل السير، أما صحة الأسانيد فلم تثبت.^(٢)

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَقُبِضَتْ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ وَنَقَلَ
ثُمَّ رُبِّي فِي حِجْرِ جَدِّهِ إِلَى
لَمَّا قَضَى أَوْصَى أَبَا طَالِبٍ بِهِ
ابْنَ ثَمَانَ الْأَمْوِيِّ وَهُوَ مَعَلٌ
أَنْ مَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ كَمَلًا
فَلَمْ يَزَلْ أَحْنَى عَلَيْهِ مِنْ أَبِيهِ

(١) انظر "عيون الأثر" (١/ ٥٠).

(٢) انظر "السيرة" لابن هشام (١/ ١٩٣)، و"عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير" لابن سيد الناس (١/ ٤٧)، و"دلائل النبوة" للبيهقي (١/ ١٨٨).

س٩ / مَتَى سَافَرَمَعَ عَمَّهُ إِلَى الشَّامِ؟

ج / وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ اثْنَا عَشَرَ سَنَةً، وَفِيهَا رَأَهُ بَحِيرًا الرَّاهِبُ، وَرَأَى فِيهِ أَعْلَامَ

النَّبُوَّةِ، وَأَمَرَ عَمَّهُ بِرَدِّهِ. ﴿١﴾

﴿١﴾ قصة سفره مع عمه إلى الشام رواها الترمذي ^(١)، والحاكم ^(٢) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وبعد أن ساقها الحاكم بطولها قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاها. وتعقبه الذهبي بقوله: أظنه موضوعاً؛ فبعضه باطل. ^(٣)

وفي "السيرة" (ص ٥٧) من "تاريخ الإسلام" قال: وهو حديث منكر جداً.

وقال كذلك: وفي الحديث ألفاظ منكرة تشبه ألفاظ الطُّرُقِيَّةِ.

وصحح القصة الألباني في "صحيح سنن الترمذي" ^(٤)، وأعلَّ بعض الألفاظ.

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

حَتَّى إِذَا جَاءَ بَحِيرًا الرَّاهِبُ حَارَ لِمَا رَأَى مِنَ الْمَوَاهِبِ
إِذْ نَزَلُوا مَالَ إِلَيْهِ الظُّلُّ كَذَلِكَ غَمَامَةٌ تُظِلُّ

(١) برقم (٣٦٢٠).

(٢) (٢/٦١٥-٦١٦).

(٣) انظر "سنن الترمذي" برقم (٣٦٢٠)، و"مستدرک الحاكم" (٢/٦١٥-٦١٦)، و"صحيح سنن الترمذي" للألباني رحمته الله (٣/١٩١)، وأعلَّ بعض الألفاظ.

(٤) (٣/١٩١).

وَقَدْ رَأَى فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ
وَقَدْ خَشَى عَلَيْهِ مِنْ حُسْنِهِ
وَمَا جَاءَ فِي الْإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَةِ
وَلَمْ يَزَلْ مُنَاشِدًا بِرَدِّهِ
وَمَا كَانَ سِوَهُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ فِي
سَفَرَتِهِ تِلْكَ بِأَلَا تَوَقَّفِ

س١٠ / مَتَى كَانَ حَرْبُ الْفَجَارِ؟

ج / كَانَ حَرْبُ الْفَجَارِ وَلَهُ ﷺ أَرْبَعُ عَشْرَةَ سَنَةً أَوْ خَمْسَ عَشْرَةَ، وَكَانَ يَنْبُلُ ① عَلَى أَعْمَامِهِ.

س١١ / مَتَى كَانَ سَفَرُهُ الثَّانِي إِلَى الشَّامِ؟

ج / كَانَ سَفَرُهُ الثَّانِي إِلَى الشَّامِ فِي تِجَارَةِ لِحْدِيحَةَ وَمَعَهُ غُلَامُهَا مَيْسِرَةَ، وَفِي رُجُوعِهِ تَزَوَّجَهَا وَلَهُ إِذْ ذَاكَ مِنَ الْعُمْرِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً. ②

① أي: يناولهم النبل ليرموا بها (١)، يقال: نبّلت الرجل -بالتشديد- إذا ناولته النبل، والنبل: السّهام العربية ولا واحد لها من لفظها، فلا يقال: نبلة، وإنما يقال: سَهْمٌ وَنُشَابَةٌ. (٢)

② تشير روايات ضعيفة -بل معظمها واه- إلى تفاصيل تتعلق بزواج الرسول ﷺ من أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وهي تحدد بداية التعارف بينهما عن طريق عمل الرسول ﷺ في تجارة خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا التي كانت ثرية تضارب بأموالها، وقد ذهب بتجارتها... إلى الشام، فربح بتجارتها، وحكى لها غلامها ميسرة الذي صحبه ما رأى من أخلاقه وطباعه؛ فأعجبت به، وتزوجها بعد رجوعه، وبالرغم أن ذلك لم يثبت سنداً، لكنه مشهور عند الأخباريين. (٣)

(١) ذكر هذه القصة ابن هشام في "السيرة" ولم يذكر سنداً لها. انظر "السيرة" لابن هشام (١/٢٤٣)، و"السيرة" لابن كثير (١/٣٠٦).

(٢) انظر "النهاية" (٢/٧٥) مادة: نبّل.

(٣) "السيرة النبوية" (١/١١٣-١١٤) للعمري.

ومما اتفق أهل العلم عليه أن خديجة أُولَى أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أنجبت منه ذكرين هما: القاسم، وعبد الله، وأربع بنات هن: زينب، وأم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، فأما القاسم وعبد الله فماتا قبل الإسلام، وأدركت البنات الإسلام فأسلمن، وقد توفيت خديجة قبل الهجرة إلى المدينة. ^(١)

قال الشيخ حافظ رَحِمَهُ اللهُ:

وَأَنْيَّاسَ سَفْرُهُ مُتَجَرًّا	وَأَنْيَّاسَ سَفْرُهُ مُتَجَرًّا
وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ وَخَمْسِ عُمُرُهُ	وَهُوَ ابْنُ عَشْرِينَ وَخَمْسِ عُمُرُهُ
وَقَدْ رَأَى ^[٢] لَهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا	وَقَدْ رَأَى ^[٢] لَهُ مِنَ الْآيَاتِ مَا
وَبَعْدَ أَنْ قَدَّ أَبَ إِيَّاهَا خَطَبُ	وَبَعْدَ أَنْ قَدَّ أَبَ إِيَّاهَا خَطَبُ
وَهِيَ الَّتِي قَدَّ بَادَرَتْ تَصَدِيقَهُ	وَهِيَ الَّتِي قَدَّ بَادَرَتْ تَصَدِيقَهُ
وَهِيَ الَّتِي مِنْهَا جَمِيعُ مَنْ وَلَدَ	وَهِيَ الَّتِي مِنْهَا جَمِيعُ مَنْ وَلَدَ

(١) انظر "فتح الباري" (١٧١ / ٧) شرح حديث رقم (٣٨٢١)، و"السيرة النبوية" (١١٤ / ١) للعمري.

[٢] في المخطوط: [رؤي]، والصواب ما أثبت؛ لأن الذي رأى هذه الآيات هو ميسرة كما تقدم قريباً على جواب السؤال رقم (١١)، فقد رأى فيه من النجاة والأمانة وغير ذلك من الأمور التي جعلت خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تطمع بأن يكون زوجها لها، وينظر جواب السؤال رقم (١١) من "الأمالي" مع التعليق عليه.

(٣) وقع في المخطوط: (أوساط) بدل: (أوسط).

س١٢ / متى بنت قريش الكعبة؟

ج / بنت قريش الكعبة وعمره خمس وثلاثون سنة، وحكموه في: من يضع الحجر؟ فوضعه في ثوب وأمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف من الثوب، وكانوا أربع قبائل، فلما رفعوه إلى موضعه وضعه بيده

ﷺ

هذه القصة وهي وضعه ﷺ الحجر الأسود بيده الشريفة في موضعه رواها لنا السائب بن عبد الله، وأنه كان فيمن بيني الكعبة في الجاهلية، قال: ولي حجر أنا نحتته بيدي، أعبدته من دون الله تبارك وتعالى، فأجيت باللبن الخاثر الذي أنفسه على نفسي، فأصبه عليه، فيجيت الكلب فيلحسه، ثم يشغر فيبول، فبيننا حتى بلغنا موضع الحجر، وما يرى الحجر أحد، فإذا هو وسط حجارتنا مثل رأس الرجل يكاد يتراءى منه وجه الرجل. فقال بطن من قريش: نحن نضعه. وقال آخرون: نحن نضعه. فقالوا: اجعلوا بينكم حكماً. قالوا: أول رجل يطلع من الفج. فجاء النبي ﷺ فقالوا: أتاكم الأمين. فقالوا له. فوضعه في ثوب، ثم دعا بطونهم، فأخذوا بنواحيه معه، فوضعه ﷺ. (١)

(١) رواه أحمد (٤٢٥/٣)، والحاكم (٤٥٨/٣)، وصححه، وهو حديث حسن رجاله كلهم ثقات سوى: هلال بن خباب فهو حسن الحديث، وله شاهد عند الطيالسي برقم (١١٥) من حديث علي بن أبي طالب بإسناد حسن، وحسنه الألباني رحمه الله في تحقيق "فقه السيرة" (ص ٨٠)، و"صحيح السيرة" (ص ٤٥).

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَقَدَبَتْ قُرَيْشُ الْبَيْتَ وَلَهُ
وَاخْتَلَفُوا فِي شَأْنِ وَضْعِ الْحَجَرِ
بِحَيْثُ فِي رِدَائِهِ قَدْ وَضَعَهُ
وَيَيْنُهُمْ كَانَ اسْمُهُ الْأَمِينَا
إِذَا ثَلَاثُونَ وَخَمْسٌ كَامِلَةٌ
فَحَكَّمُوهُ فِيهِ نَصَّ الْأَنْبَرِ
وَكُلُّهُمْ بِطَرْفٍ قَدْ رَفَعَهُ
لِخُلُقٍ قَدْ حَازَهُ مُبِينَا

س١٣ / کَمَ عُمُرُهُ ﷺ یَوْمَ بُعِثَ وَآلَى مَنْ بُعِثَ؟

ج / بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ① إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا.

① لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. ①

قال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٧ / ٢٨٧): هذا أصح مما أخرجه أحمد عن يحيى بن سعيد عن هشام بن حسان بهذا الإسناد -يعني إسناد حديث ابن عباس- قال: أنزل على النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين ومكث بمكة عشرًا، وأصح مما أخرجه مسلم من وجه آخر عن ابن عباس أن إقامة النبي ﷺ بمكة كانت خمس عشرة سنة. اهـ

وقال النووي رحمته الله في "شرح صحيح مسلم" (١٥ / ١٠٠): وهذا الذي ذكرناه أنه بعث على رأس أربعين سنة هو الصواب المشهور الذي أطبق عليه العلماء، وحكى القاضي عياض عن ابن عباس وسعيد بن المسيب رواية شاذة أنه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة، والصواب: أربعون كما سبق. اهـ

① انظر "صحيح البخاري" برقم (٣٩٠٢)، و"فتح الباري" (٧ / ٢٨٧) ط / دار الكتب العلمية.

س١٤ / مَا أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ؟

ج / أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَاقِ الصُّبْحِ. ①

س١٥ / كَيْفَ كَانَ حَالُهُ ^[١] قَبْلَ الْوَحْيِ، وَمَا أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ؟

ج / كَانَ ﷺ يَتَعَبَّدُ فِي غَارِ حِرَاءِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ ^[٢] الْعَدَدِ، وَيَتَزَوَّدُ لِدَلِكْ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ وَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءِ. ②

① لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ ^(٣) وَمُسْلِمٌ ^(٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَاقِ الصُّبْحِ... الْحَدِيثِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

② لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ ^(٥) وَمُسْلِمٌ ^(٦) مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَفِيهِ: ...، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارَ حِرَاءِ ^(٧)، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، - وَهُوَ التَّعْبُدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ - قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ

[١] فِي الْمَخْطُوطِ: [حَالَتِهِ] بَدَل: حَالِهِ.

[٢] فِي الْمَخْطُوطِ: [ذَوَاتِي]، وَمَا أَثْبَتَهُ هُوَ الْمَوْافِقُ لِنَصِّ الْحَدِيثِ.

(٣) بِرَقْمِ (٣).

(٤) بِرَقْمِ (١٦٠).

(٥) بِرَقْمِ (٣).

(٦) بِرَقْمِ (١٦٠).

(٧) وَغَارِ حِرَاءِ عَلَى قِمَّةِ جَبَلِ النُّورِ شِمَالِ شَرْقِي مَكَّةَ عَلَى يَسَارِ الذَّاهِبِ إِلَى الشَّرَائِعِ وَالزَّيْمَةِ مِنَ الطَّرِيقِ =

إلى أهله و يتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق... الحديث.

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَكَانَ فِي غَارِ حِرَاءٍ يَعْبُدُ مَوْلَاهُ مُدَّةً لَهَا يَزْوَدُ
حَتَّى أَتَاهُ الْحَقُّ فِي غَارِ حِرَاءٍ وَهُوَ عَلَى ذَاكَ وَكَانَ لَا يَرَى
رُؤْيَا لَدَى الْمَنَامِ إِلَّا تَأْتِي كَفَلَّقِ الصُّبْحِ عَلَى اسْتِثْبَاتِ

= القديم، ويبعد عن مكة أربع كيلومترات، وارتفاعه يبلغ حوالي (٢٠٠) متر، ويبعد الغار عن قمة الجبل نحو (٥٠) متراً. انظر "تاريخ مكة" للأزرقى (ص ٥٩٣)، و"تراث مكة" (١/ ٨٦).

س١٦ / مَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ؟

ج / أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]، ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيَ.

لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (٣) مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ ...

وفيه: ثم حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءَ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارٍ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ...، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلِكُ فَقَالَ: «اقْرَأْ» قَالَ «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣].

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

ثُمَّ أَتَى جِبْرِيلُ بِالتَّنْزِيلِ	إِلَيْهِ تَبْلِيغًا عَنِ الْجَلِيلِ
أَوَّلَ مَا أَنْزَلَ صَدْرَ الْقَلَمِ	إِلَى انْتِهَاءِ آيَةٍ (مَا لَمْ يَعْلَمْ)
فَعَادَ رَاجِفًا فُوَادَهُ بِهَا	إِلَى حَدِيحَةٍ فَاذْ أَنْبَاهَا
فَصَدَّقَتْ بِأَدْيٍ بِدءٍ خَبْرَهُ	وَلَا بِنِ تَوْفَلٍ غَدَتْ مُبَشَّرَهُ
ثُمَّ دَعَا بِهِ فَلَمَّا أَنْ تَلَا	قَالَ ابْشِرَنَّ هَذَا الَّذِي قَدْ أَنْزَلَا
عَلَى الْكَلِيمِ وَالَّذِي نَجَزِمُ بِهِ	إِيمَانُهُ بِالْوَحْيِ حَقًّا فَانْتَبَهَ
وَبَعْدَ ذَلِكَ الْوَحْيُ عَنْهُ فَتَرَا	فِي سَتَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ اثْرَا

س١٧ / كَمْ كَانَ فَتْرَةُ الْوَحْيِ، وَمَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ فَتْرَتِهِ؟

ج / كَانَتْ فَتْرَةُ الْوَحْيِ ثَلَاثَ سِنِينَ فِيمَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ ^(١)، وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ بَعْدَهَا: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ﴾ [المدثر: ١]، ثُمَّ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، ثُمَّ حَمِي الْوَحْيِ، وَتَتَابَعَ.

الذي في "السيرة" هو قوله: (ثم فتر الوحي عن النبي ﷺ فترة من ذلك). ^(١)
 لكن الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (١ / ٣٧) قال: وقع في تاريخ أحمد بن حنبل عن الشعبي أن مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين. وبه جزم ابن إسحاق. اهـ
 أي: أول ما نزل بعد انقطاع الوحي؛ فتكون أولية مخصوصة بما بعد انقطاع الوحي، وأما نزول سورة اقرأ فهي أولية مطلقة، وبهذا يزول الإشكال فيما روى البخاري برقم (٤٩٢٤)، ومسلم برقم (١٦١) من طريق أبي سلمة بن عبدالرحمن أنه سأل جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ﴾ [المدثر: ١]، فقلت: أنبت أنه ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]؟ فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «جاورت في حراء، فلما قضيت جوارِي هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس على العرش بين السماء والأرض، فأتيت خديجة فقلت: دثروني، وصبوا علي ماءً بارداً، وأنزل علي: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَرُ* فَوَافِدِر* وَرَبِّكَ فَكَبِير*﴾» [المدثر: ١-٣].

(١) انظر "السيرة" له (ص ١٧٩).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في "تفسيره" (١٤/١٧٥): ثبت في "صحيح البخاري" عن جابر أنه كان يقول: أول شيء نزل من القرآن: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾ [المدثر:١]، وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]، ووجه الجمع: أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة. اهـ.

يعني: سورة المدثر.

وقال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٨/٨٧٦-٨٧٧): أول ما نزل سورة المدثر أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي، أو مخصوصة بالأمر بالإنذار لا أن المراد أنها أولية مطلقة، فكان من قال: أول ما أنزل اقرأ. أراد أولية مطلقة، ومن قال: إنها المدثر. أراد بقيد التصريح بالإرسال. قال الكرمانى: استخرج جابر: أول ما نزل: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾ باجتهاد وليس هو من روايته.

والصحيح ما وقع من حديث عائشة، ويحتمل أن يكون قوله في هذه الرواية: «فأريت شيئاً -أي: جبريل بحراء- فقال لي: اقرأ. فأتيت خديجة فقلت: دثروني، دثروني، فنزلت: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾» قلت -الحافظ-: ويحتمل أن تكون الأولية في نزول ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾ بقيد السبب، أي: هي أول ما نزل من القرآن بسبب متقدم وهو ما وقع من التدرج الناشئ عن الرعب، وأما ﴿أَقْرَأْ﴾ فنزلت ابتداءً بغير سبب متقدم، ولا يخفى بُعد هذا الاحتمال. اهـ.

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَبَعْدَ ذَا فَالْوَحْيُ عَنْهُ فَتَرَا
وَبَعْدَهَا أُرْسِلَ بِالْمَدَّثِرِ
فَقَامَ بِالتَّبْلِيغِ لِلرَّسَالَةِ
مُبَشِّرًا لِمَنْ أَطَاعَهُ بِأَنْ
فِي سَتَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثِ أَثْرَا
لِلنَّاسِ كُفْلًا جِنِّهِمْ وَالبَشْرِ
بِالحَقِّ مُنْذِرًا أُولِي الضَّالَّةِ
يَسْعَدُ فِي الدَّارَيْنِ فَضْلُ (ذِي المِنْنِ) [١]

[١] غير واضحة في المخطوط.

س١٨ / مَنْ أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِرِسَالَتِهِ ﷺ؟

ج / أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ النِّسَاءِ: خَدِيجَةُ، وَمِنَ الرَّجَالِ الشُّيُوخُ [١]: وَرَقَةُ بْنُ نُوفَلٍ، وَمِنَ الْمُكْتَهَلِينَ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَمِنَ الصَّبِيَّانِ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمِنَ الْمَوَالِيِّ: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَمِنَ الْأَرْقَاءِ: بِلَالٌ، وَآمَنَ بِدَعْوَةِ أَبِي بَكْرٍ: عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ، وَسَعِيدُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَغَيْرُهُمْ. ﴿١﴾

قال الشيخ حافظ رحمه الله: ﴿١﴾

أَوَّلُ مُؤْمِنٍ مِنَ الرَّجَالِ	بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَمِنْ مَوَالِي
زَيْدٌ وَمِنْ غُلَمَانِهِمْ عَلِيُّ	بِلَالٌ مِنْ رَقِيقِهِمْ وَلِيُّ
كَذَا خَدِيجَةُ مِنَ النِّسَاءِ	أَوَّلَ مَنْ حَازَ ذُرَى الْعَلِيَاءِ
وَأَمَّنُوا بِدَعْوَةِ الصِّدِّيقِ	لِلَّهِ قَوْمٌ مِنْ أَوْلِي التَّوْفِيقِ
كَسَعْدٍ وَالزُّبَيْرِ طَلْحَةَ كَذَا	عَثْمَانَ وَابْنَ عَوْفٍ ثُمَّ بَعْدُ ذَا
أَبُو عُبَيْدَةَ وَغَيْرَهُمْ إِلَى	أَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ جَمْعٌ دَخَلَا (٢)

[١] في المخطوط: [الشيوخ].

(٢) انظر "السيرة" (١/ ٣٠٥-٣٠٦) لابن هشام، و"صحيح السيرة" (ص ١١٥-١٢٤) للألباني.

١٩س / كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ؟

ج / كَانَتِ الدَّعْوَةُ أَوَّلًا سِرًّا ① نَحْوَ ثَلَاثِ سِنِينَ، ثُمَّ أَمَرَ ﷺ بِالصَّدْعِ بِهَا جَهْرًا.

① ومما يدل على سريتها في بدء أمرها ما رواه مسلم برقم (٨٣٢) من حديث عمرو بن عبسة في قصة إسلامه وفيه: فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا فقعدت على راحلتي فقدمت عليه فإذا رسول الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرْءَاءَ عَلَيْهِ قَوْمِهِ، فَتَلَطَّفَتْ حَتَّى دَخَلَتْ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ... الحديث. (١)

فقوله: (مستخفيًا) دليل على سرية الدعوة في بدء أمرها؛ خوفًا من الأعداء الكفرة.

قال ابن القيم **رحمته** في "زاد المعاد" (١/٨٦): وأقام ﷺ ثلاث سنين يدعو إلى الله مستخفيًا ثم نزل عليه: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

أقول: وبما أن السرية كانت في بداية دعوته **رحمته**، فهل يكون هذا دليلًا لمن يتكتمون في دعوتهم في عصرنا هذا، ويعقدون الجلسات السرية؟

الجواب: أن هذا لا يصلح أن يكون دليلًا لهم؛ لأمر منها:

□ أنا لسنا في جاهلية، فالحمد لله الإسلام منتشر وظاهر، فنحن في اليمن على

(١) وانظر "السيرة" لابن هشام (١/٣٢٥)، و"السنة" لابن أبي عاصم (٢/٤٩٤-٤٩٥) برقم (١٠٧٠)، و"زاد المعاد" (١/٨٦)، و"المورد العذب الزلال" (ص ٢١٦) لشيخنا النجمي **رحمته**.

سبيل المثال دعوة السلفيين قائمة على قدم وساق، يدعون إلى الله، ويعلمون كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

□ ولا يجدون مضايقات أبداً، وإن وجدوا فإنما يحصل ذلك من أصحاب هذه السرية لا من الدولة، فالفارق واضح جلي بين السرية التي كانت في عهده ﷺ، والسرية التي في عصرنا، ومع هذا فالسرية في عهد النبوة كانت لوقتٍ محددٍ كما تقدم، ثم أمر ﷺ بالصدع بالدعوة فهي كانت عبارة عن توطئة وتهية للصدع بذلك، ونحن في عصرنا نصدع بالدعوة إلى الكتاب والسنة بكل يُسرٍ، فلماذا السرية؟!

وإننا لو نظرنا بعين الإنصاف إلى السرية عند أهلها في هذا العصر نجدها مباينةً تماماً للسرية التي كانت في عصر النبوة؛ لأن السرية في عصرنا ليست من أجل الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإنما هي من أجل:

□ إزالة حاكم من منصبه، وقلب الحكم وإعطائه لشخص آخر، وعلى إثر ذلك تسفك الدماء، ويقتل الرجال، وترمل النساء، ويؤتَمُّ الأطفال.

فهذه آثار السرية، فهي إذن من خلال عواقبها ضد الإسلام وأهله، أما السرية في عهده ﷺ فهي لمصلحة الإسلام، وفي عصر جاهلي، ومع هذا فقد حذر ﷺ عن السرية في هذا الباب كما جاء ذلك عند ابن أبي عاصم في "السنة" (٢/٤٩٤ - ٤٩٥) برقم (١٠٧٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ

فقال: يا رسول الله، أوصني. قال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم رمضان، وحج البيت، واعتمر، واسمع، وأطع، وعليك بالعلانية وإيائك والسِّر»، وهو حديث حسن، وجوّد إسناده العلامة الألباني رحمته الله في تحقيقه لكتاب «السنة».

وعلماءنا يحذرون من هذه السريات؛ لأنهم يدركون مخاطرها.

قال شيخنا العلامة أحمد بن يحيى النجمي مفتي عام جنوب المملكة السعودية رحمته الله في كتابه الماتع «المورد العذب الزلال» (ص ٢١٦): السرية، والتكتم في دعوتهم -يعني الحزبيين- بدون حاجة إليه، فالدولة مسلمة تؤيد الدعوة وتعين عليها، وتضع مرتبات لأهلها، والمجتمع مسلم يؤيد كل دعوة إصلاحية، ويتظاهر معها، فما هو الداعي للسرية؛ إلا أن في دعوتهم أموراً غير تعليم الأحكام الشرعية يريدون التكتم عليها حتى يصلوا إلى مآربهم. اهـ

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَكَانَتْ الدَّعْوَةُ سِرًّا أَوَّلًا
نَحْوَ ثَلَاثٍ مِنْ سِنِينَ كَمَّالًا

س٢٠ / بِمَنْ بَدَأَ ﷺ حِينَ جَهَرَ بِالدَّعْوَةِ؟

ج / لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] رَقِيَ جَبَلَ أَبِي قُبَيْسٍ ①، فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَيَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَيَا بَنِي هَاشِمٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِّينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ؛ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا». (١)

الحديث عند البخاري برقم (٤٧٧١)، ومسلم برقم (٢٠٤).

① ولم أقف على شيء من الروايات فيها رقيه ﷺ لهذا الإنذار على جبل أبي قبيس، وإنما الذي ورد هو صعوده ﷺ على الصفا، وجبل أبي قبيس هو المطل على الصفا، وهو سبق قلم منه ﷺ، ومما يؤيد ذلك أنه ﷺ في المنظومة ذكر الصفا فقال:

حتى إذا جاء الصفا وصعدا
أعلاه ناداهم بأبلغ النداء

والسر في إنذار الأقربين أولاً: أن الحجّة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علةً للأبعدين في الامتناع وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة، فيحاييهم في الدعوة والتخويف؛ فلذلك نص له على إنذارهم. "فتح الباري" (٨ / ٦٣٩).

(١) وهذا الإنذار عام فيمن آمن منهم ومن لم يؤمن. "فتح الباري" (٨ / ٦٣٩).

فائدة:

قال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٨/ ٦٤٤): استدل بعض المالكية بقوله في هذا الحديث: «يا فاطمة بنت محمد، سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً»، أن النيابة لا تدخل في أعمال البر؛ إذ لو جاز ذلك لكان يتحمل عنها صلى الله عليه وسلم بما يخلصها، فإذا كان عمله لا يقع نيابة عن ابنته؛ فغيره أولى بالمنع. وتُعقَّب بأنَّ هذا كان قبل أن يعلمه الله تعالى بأنه يشفع فيمن أراد وتقبل شفاعته؛ حتى يدخل قومًا الجنة بغير حساب، ويرفع درجات قوم آخرين، ويخرج من النار من دخلها بذنوبه، أو كان المقام مقام التخويف والتحذير، أو أنه أراد المبالغة في الحُصِّ على العمل، ويكون في قوله: «لا أغني شيئاً» إضمار: إلا إن أذن الله لي بالشفاعة. اهـ

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَبَعْدَهَا ^(١) بِالصَّدْعِ جَهْرًا أَمْرًا
حَتَّى إِذَا جَاءَ الصَّافَا وَصَعْدَا
فَعَمَّ ثُمَّ خَصَّ بِالتَّحْذِيرِ
وَلَمْ يَكُنْ أَسْوَأَ مِنْ أَبِي لَهَبٍ
فَقَامَ بَيْنَ الْأَقْرَبِينَ مُنْذِرًا
أَعْلَاهُ نَادَاهُمْ بِأَبْلِغِ النَّدَا
نَذَارَةً مِنْ نِقْمَةِ الْقَدِيرِ
رَدًّا عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْمُتَّخَبِ

(١) أي: وبعد سرية الدعوة.

س٢١ / كَيْفَ كَانَ حَالُهُ ﷺ وَمَنْ آمَنَ بِهِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ الْجَهْرِ

بِالدَّعْوَةِ؟

ج / لَمَّا جَهَرَ ﷺ بِالدَّعْوَةِ بِالْغَيْبِ الْمُشْرِكُونَ فِي أَدِيَّتِهِ ① ، وَأَذِيَّةِ الْمُسْلِمِينَ مَعَهُ حَتَّى أُذِنَ لَهُمْ فِي الْهَجْرَةِ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ.....

① ومما فعله المشركون بسيد ولد آدم ﷺ ما رواه البخاري (١) من طريق عروة قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ؟ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ، وقال: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]. (٢)

ويخبر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن أسلوب سخييف استخدمه أئمة الكفر مع رسول الله ﷺ؛ ليستفزه بذلك، فيقول: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ جُزُورٌ (٣) بِالْأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَيَّ سَلَاً (٤) جُزُورِ بَنِي فَلَانَ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتْفِي مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ.

(١) برقم (٤٨١٥).

(٢) انظر "صحيح البخاري" برقم (٢٩٣٤)، و"صحيح مسلم" برقم (١٧٩٤).

(٣) وهي الناقة.

(٤) السلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الأدمية: المشيمة.

فَانْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ ^(١)، فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. قَالَ:
فَاسْتَضْحَكُوا ^(٢) وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ. لَوْ كَانَتْ لِي
مَنْعَةٌ ^(٣) طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّبِيِّ ﷺ سَاجِدًا مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى
انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ ^(٤)، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ. ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ
عَلَيْهِمْ تَشْتَمُهُمْ ^(٥)، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا
دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ^(٦) ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ»، ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحْكُ، وَخَافُوا دَعْوَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ
عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ ^(٧)،
وَأُمِّيَةَ ابْنِ خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ»، وَذَكَرَ السَّابِعَ وَلَمْ أَحْفَظْهُ، فَوَالَّذِي بَعَثَ
مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ سَمَى صَرَعَى يَوْمَ بَدْرٍ. ^(٨)

- (١) أي: بعثته نفسه الخبيثة من دونهم، فأسرع السير، وهو عقبة بن أبي معيط كما صرح به في الرواية الثانية.
(٢) أي: حملوا أنفسهم على الضحك والسخرية، ثم أخذهم الضحك جدًّا؛ فجعلوا يضحكون ويميل
بعضهم على بعض من كثرة الضحك.
(٣) هي بفتح النون، وحكي إسكانها، وهو شاذ ضعيف، ومعناه: لو كان لي قوة تمنع أذاهم، أو كان لي
عشيرة بمكة تمنعني.
قلت: والقائل ذلك هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه راوي القصة.
(٤) هو تصغير جارية، بمعنى: شابة، يعني أنها إذ ذاك ليست بكبيرة.
(٥) وهو وصف الرجل بما فيه إزراء ونقص.
(٦) هو الدعاء، لكن عطفه لاختلاف اللفظ توكيدًا.
(٧) كذا في جميع نسخ "صحيح مسلم"، قال النووي رحمته الله: واتفق العلماء على أنه غلط، وصوابه: والوليد
ابن عتبة.
(٨) رواه البخاري برقم (٢٩٣٤)، ومسلم برقم (١٧٩٤)، واللفظ له، والتعليقات التي عليه هي من =

فإذا كان هذا الإيذاء لرسول الله ﷺ وهناك من يدافع عنه، ويحميه، فكيف بالمستضعفين؟ لاشك أنهم لقوا صنوفاً من البلايا، والاضطهاد من أعداء الله؛ ولذا يقول ابن مسعود رضي الله عنه: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمّار وأمه سُمَيَّة، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمّه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فلبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد اتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شِعَابِ مَكَّة، وهو يقول: أحدٌ، أحدٌ. ^(١)

= "شرح النووي على صحيح مسلم".

(١) رواه أحمد (١/٤٠٤)، وهو حديث حسن؛ رجاله ثقات كلهم سوى عاصم بن أبي النجود وهو حسن الحديث.

فَهَاجَرَ مِنْهُمْ نَحْوُ ثَمَانِينَ رَجُلًا بَعْضُهُمْ بِنَفْسِهِ وَبَعْضُهُمْ بِأَهْلِهِ. (١)

لما كثر المسلمون وخاف منهم الكفار اشتدَّ أذاهم له ﷺ، وفتنتهم إياهم، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إلى الحبشة، وقال: «إن بها ملكًا لا يُظلم الناس عنده»؛ فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجلاً، وأربع نسوة، منهم عثمان بن عفان، وهو أول من خرج ومعه زوجته رُقِيَّة بنت رسول الله ﷺ، فأقاموا في الحبشة في أحسن جوار، فبلغهم أن قريشًا أسلمت، وكان هذا الخبر كذبًا؛ فرجعوا إلى مكة، فلما بلغهم أن الأمر اشدَّ مما كان رجع منهم من رجع، ودخل جماعة فلقوا من قريش أذًى شديدًا، وكان ممن دخل مكة عبد الله بن مسعود، ثم أُذن في الهجرة ثانيًا إلى الحبشة، فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً، إن كان فيهم عمار فإنه يشك فيه، ومن النساء ثمان عشرة امرأة، فأقاموا عند النجاشي على أحسن حال.... (١)

وقد روت لنا أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ ورضي الله عنها قصة إقامتهم في الحبشة فقالت: نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ: النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا وَعَبَدْنَا اللَّهَ، لَا نُؤْذِي، وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا اتَّمَرُوا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَيْنَا النَّجَاشِيَّ فِينَا رَجُلَيْنِ جَلْدَيْنِ، وَأَنْ يُهْدُوا لِلنَّجَاشِيَّ هَدَايَا مِمَّا يُسْتَطَرَفُ مِنْ مَتَاعِ مَكَّةَ، وَكَانَ مِنْ أَعْجَبِ مَا يَأْتِيهِ مِنْهَا إِلَيْهِ الْأَدَمُ، فَجَمَعُوا لَهُ أَدَمًا كَثِيرًا، وَلَمْ يَتْرُكُوا مِنْ بَطَارِقَتِهِ بَطْرِيْقًا إِلَّا أَهْدَوْا لَهُ هَدِيَّةً،

ثُمَّ بَعَثُوا بِذَلِكَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ الْمُغِيرَةَ الْمَخْزُومِيَّ، وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلِ السَّهْمِيِّ، وَأَمْرُوهُمَا أَمْرُهُمْ، وَقَالُوا لَهُمَا: اذْفَعُوا إِلَيَّ كُلَّ بِطْرِيْقِ هَدِيَّتِهِ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمُوا النَّجَاشِيَّ فِيهِمْ، ثُمَّ قَدَّمُوا لِلنَّجَاشِيِّ هَدَايَاهُ، ثُمَّ سَلُوهُ أَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ. قَالَتْ: فَخَرَجَا فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ وَنَحْنُ عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ، وَعِنْدَ خَيْرِ جَارٍ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بَطَارِقَتِهِ بِطْرِيْقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، ثُمَّ قَالَا لِكُلِّ بِطْرِيْقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَيَّ بِلَدِّ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءٌ فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْ الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ لِيُرِدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ فَتَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ؛ فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ. فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ. ثُمَّ إِنَّهُمَا قَرَّبَا هَدَايَاهُمْ إِلَيَّ النَّجَاشِيِّ، فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ صَبَا إِلَيَّ بِلَدِّكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءٌ فَارْقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِيُرِدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ النَّجَاشِيُّ كَلَامَهُمْ. فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَّقُوا أَيُّهَا الْمَلِكُ، قَوْمُهُمْ أَعْلَىٰ بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ؛ فَاسْلَمَهُمْ إِلَيْهِمَا، فَلِيُرِدَّهُمْ إِلَيَّ بِلَادِهِمْ

وَقَوْمِهِمْ. قَالَ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ ثُمَّ قَالَ: لَا هَيْمَ لِلَّهِ^(١)، إِذْنٌ لَا أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْهِمَا وَلَا أَكَادُ قَوْمًا جَاوَرُونِي وَنَزَلُوا بِلَادِي وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ حَتَّىٰ أَدْعُوهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ مَا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ؛ فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أُسَلِّمْتُهُمْ إِلَيْهِمَا وَرَدَدْتُهُمْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ، مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جَوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلَّمْنَا، وَمَا أَمَرْنَا بِهِ نَبِينًا ﷺ كَائِنٌ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاوَوهُ وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَافِفَتَهُ، فَتَشَرُّوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنْ الضَّعِيفِ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ

(١) قال في "تاج العروس": "هَيْمُ اللَّهِ، بفتح وضم الميم، والأصل: إيم الله، قلبت الهزة هاء.

وَحَدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرْنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ.

قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ.

فَصَدَّقْنَاهُ، وَأَمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحَدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا؛ فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمَنَا، فَعَدَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا؛ لِيُرِدُونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا فَهَرُونَا وَظَلَمُونَا، وَشَقُّوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا؛ حَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغَبْنَا فِي جَوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظَلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ.

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟

قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَأَقْرَأْهُ عَلَيَّ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كَهَيَعَصَّ﴾ قَالَتْ: فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ. ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لِيَخْرُجَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلَقَا فَوَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا، وَلَا أَكَادُ.

قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: وَاللَّهِ لَا نُبَسِّئُهُمْ غَدًا عِيْبُهُمْ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَسْتَأْصِلُ بِهِ خَضِرَاءَهُمْ. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ وَكَانَ اتَّقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا: لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا، وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا.

قَالَ: وَاللَّهِ لِأَخْبِرْتَهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ. قَالَتْ: ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَا فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا؛ فَأَرْسَلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ. قَالَتْ: فَأَرْسَلْ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ؟ قَالَتْ: وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ، فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيْنَا كَأَنَّ فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ: مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيْنَا: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ. قَالَتْ: فَضْرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا ثُمَّ قَالَ: مَا عَدَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ. فَتَنَاخَرَتْ بِطَارِقَتِهِ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ. فَقَالَ: وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ، أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بَارِضِي - وَالسُّيُومُ الْأَمْنُونَ - مَنْ سَبَّكُمْ غُرْمٌ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غُرْمٌ، فَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي دَبْرًا ذَهَبًا وَأَنِّي أَذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ - وَالذَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ الْجَبَلُ - رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهِمَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَأَخَذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ.

قَالَتْ: فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُودًا عَلَيْهِمَا مَا جَاءَ بِهِ، وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ.

قَالَتْ: فَوَاللَّهِ، إِنَّا عَلَى ذَلِكَ إِذْ نَزَلَ بِهِ - يَعْنِي مَنْ يُنَازِعُهُ فِي مُلْكِهِ - قَالَتْ: فَوَاللَّهِ، مَا عَلِمْنَا حُزْنًا قَطُّ كَانَ أَشَدَّ مِنْ حُزْنِ حَزْنَاهُ عِنْدَ ذَلِكَ، تَخَوُّفًا أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ

عَلَى النَّجَاشِيِّ فَيَأْتِي رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ مِنْ حَقِّنَا مَا كَانَ النَّجَاشِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ.

قَالَتْ: وَسَارَ النَّجَاشِيُّ وَبَيْنَهُمَا عُرْضُ النَّيْلِ. قَالَتْ: فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ حَتَّى يَحْضُرَ وَقَعَةَ الْقَوْمِ، ثُمَّ يَأْتِينَا بِالْخَبْرِ؟ قَالَتْ: فَقَالَ الزُّبَيْرُ ابْنُ الْعَوَّامِ: أَنَا. قَالَتْ: وَكَانَ مِنْ أَحَدِثِ الْقَوْمِ سَنًا. قَالَتْ: فَفَخَّخُوا لَهُ قَرَبَةً فَجَعَلَهَا فِي صَدْرِهِ ثُمَّ سَبَحَ عَلَيْهَا حَتَّى خَرَجَ إِلَى نَاحِيَةِ النَّيْلِ الَّتِي بِهَا مُلْتَقَى الْقَوْمِ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى حَضَرَهُمْ. قَالَتْ: وَدَعَوْنَا اللَّهَ لِلنَّجَاشِيِّ بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِ وَالتَّمَكِينِ لَهُ فِي بِلَادِهِ، وَاسْتَوْسَقَ عَلَيْهِ أَمْرُ الْحَبَشَةِ، فَكُنَّا عِنْدَهُ فِي خَيْرِ مَنْزِلٍ حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ. (١)

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

وَبَالِغِ الْكُفَّارِ فِي أَدَّتَيْهِ
ضَرْبًا وَحَبْسًا وَإِهَانَةً وَقَدْ
هَذَا وَلَمَّا أزدَادَ ظُلْمُ الظَّالِمِ
هُوَ النَّجَاشِيُّ فَسَارَ مِنْهُمْ
وَفِي إِذَاءٍ [٢] مُسْتَجِيبٍ دَعْوَتَهُ
حَمَاهُ ذُو الْعَرْشِ الْمُهَيِّمِ الصَّمَدِ
أَذَنَ أَنْ يَهَاجِرُوا لِأَصْحَمِهِ
إِلَيْهِ مِنْ فَوْقِ الثَّمَانِينَ هُمُ

(١) رواه أحمد (١/ ٢٠١)، وهو حديث حسن، وحسنه شيخنا الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند مما

ليس في الصحيحين" (٢/ ٥٣٨) برقم (١٦٥١).

[٢] في المخطوط: [إذاء].

س٢٢/ ماذا لقي ﷺ هو وأهل بيته من مشركي قريش؟

ج/ لَمْ يَزَلِ الْمُشْرِكُونَ مُبَالِغِينَ فِي أَذِيَّتِهِ حَتَّى أَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ، فَحَاطَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَجَمَعَ أَهْلَهُ وَعَشِيرَتَهُ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ فَأَجْمَعُوا مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ عَلَى حِمَايَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَقَدِّمِ أَنْفُسِهِمْ دُونَهُ غَيْرُ أَبِي لَهَبٍ تَبَّتْ يَدَاهُ وَتَبَّ. ①

① لقد اشتد المشركون على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد، واشتد عليهم البلاء، واجتمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله ﷺ علانية، فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم، ويمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيماناً و يقيناً. ①

① رواه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣١١) عن الزهري مرسلًا.

س٢٣ / مَاذَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ لَمَّا رَأَوْا لِذَلِكَ^[١] ؟

ج / لَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا عَلَى قَطِيعَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ عَلَى أَنْ لَا يُخَالِطُوهُمْ، وَلَا يُكَالِمُوهُمْ، وَلَا يُنَاكِحُوهُمْ، وَلَا يُنَالُوهُمْ بِخَيْرٍ أَبَدًا، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً وَأَلْصَقُوهَا^[٢] فِي جِدَارِ الْكَعْبَةِ، وَاجْتَمَعَ بَنُو هَاشِمٍ، وَبَنُو الْمُطَّلِبِ فِي شَعْبِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى مَا هُمْ فِيهِ. ﴿١٠﴾

﴿١٠﴾ لما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله ﷺ واجتمعوا على ذلك اجتمع المشركون من قريش فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودًا ومواثيق لا يقبلوا من بني هاشم أبدًا صلحًا ولا تأخذهم بهم رافة حتى يسلموه للقتل.

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركون طعامًا يقدّم مكة ولا بيعًا إلا بادروهم فاشتروه؛ يريدون بذلك أن يدرکوا سفك دم رسول الله ﷺ. (٣)

وقد ثبت عنه ﷺ تحديد الموضع الذي تقاسم وتعاهد فيه المشركون على

[١] في المخطوط: [لذلك] بدل: ذلك.

[٢] في المخطوط: [ولصقوها]، والمثبت هو الصواب.

(٣) رواه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣١١-٣١٢) عن الزهري مرسلًا، وينظر "السيرة" لابن هشام (١/ ٤٣٠)، و"عيون الأثر" لابن سيد الناس (١/ ١٢١)، و"السيرة" للذهبي (ص ٢٢١).

ذلك، قال أبو هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أردنا حيناً: «منزلنا غداً - إن شاء الله - بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر». ^(١)

وهذا الحديث فيه دلالة على صحة أصل القصة؛ ولذا قال الحافظ ابن حجر رحمته الله في «فتح الباري» (٧/٢٤٢): ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة؛ لأن فيه دلالة على أصل القصة؛ لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك كالشرح لقوله في الحديث: «تقاسموا على الكفر».

قلت: وخيف بني كنانة هو الْمُحَصَّب: موضعٌ بين مكة ومنى، وهو إلى منى أقرب، وحده من الحُجُون ذاهباً إلى منى... ^(٢)

وأما شعب أبي طالب ويُعرف اليوم بشعب علي؛ فهو الشعب الذي يسيل بطرف أبي قبيس من الشمال بينه وبين الخدمة، فيه مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم - كذا يقال - وهو اليوم ^(٣) (مكتبة مكة) يصب سيله على سوق الليل فوق المسجد الحرام بحوالي ثلاث مائة متر.

وقد صار هذا الشعب حياً من أحياء مكة له عمدة يدعى عمدة شعب علي، ثم أزيل الشعب كله ونزح أهله سنة (١٤٠١هـ) إثر وقعة جهيمان. ^(٤)

(١) رواه البخاري برقم (١٥٨٩) و(٣٨٨٢).

(٢) «معجم معالم الحجاز» (٨/١٥١٥) للبلادي.

(٣) أي: المكان الذي يقال: إنه وُلِدَ فيه صلى الله عليه وسلم، وليس هناك ما يثبت ذلك.

(٤) «معجم معالم الحجاز» (٥/٩١٤).

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَقَد تَمَّالَاتُ قُرَيْشٌ أَجْمَعًا شِعْبَا بَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَّلِبِ
أَجْمَعِ كُلَّهُمْ عَلَى قَطْعِهِمْ أَجْمَعِ كُلَّهُمْ عَلَى قَطْعِهِمْ
فَأَشْتَدَّ جِدًّا بِهِمْ الْبَلَاءُ فَمَكَثُوا ثَلَاثَ فِي شِعْبِهِمْ
وَالجَهْدُ وَالغَلَاءُ وَالْعَنَاءُ أَمَّنْ يَقْتُلُوا النَّبِيَّ فَلَمَّا جَتَمَعَا
مَعَّ عَمَّهِ عَلَى حِمَايَةِ النَّبِيِّ

س٢٤ / متى كان نقض الصحيفة؟

ج / لَمْ يَزَالُوا مَحْضُورِينَ فِي الشَّعْبِ ثَلَاثَ سِنِينَ حَتَّى مَشَى فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو، وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَمُطْعَمُ بْنُ عَدِيِّ، وَأَبُو الْبُخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ثُمَّ قُطِعَتِ الصَّحِيفَةُ وَقَدْ وَجَدُوا الْأَرْضَ أَكَلَتْ كُلَّ مَا فِيهَا مِنَ الْقَطِيعَةِ وَلَمْ يَبْقَ [١] إِلَّا اسْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ أُخْبِرَ ﷺ بِذَلِكَ قَبْلَ تَمْزِيقِهَا.

هذه القصة بهذه التفاصيل لم يصح منها شيء بسند تقوم به الحجة، وإنما هي مراسيل، لكن أصل القصة ثابت كما تقدم عن الحافظ؛ ولذا قال (٢): ولما لم يثبت عند البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة؛ لأن فيه دلالة على أصل القصة؛ لأن الذي أورده أهل المغازي كالشرح لقوله في الحديث: «تقاسموا على الكفر» (٣).

قلت: والقصة رواها ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام، قال رحمته الله: قال ابن إسحاق: وبنو هاشم وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها، ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتب فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفر من قريش، ولم يُبَلِّ فيها أحد أحسن من

[١] في المخطوط: [يبقى]، والصواب ما أثبت؛ لأنه مجزوم بـ(لم)، وعلامة جزمه حذف الألف.

(٢) في «فتح الباري» (٧/٢٤٢).

(٣) وقد تقدم الحديث قريبا.

بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيْب بن نصر بن جَدِيمة بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي؛ وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه فكان هشام لبني هاشم واصلا وكان ذا شرف في قومه، فكان -فيما بلغني- يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا قد أوقره طعاما حتى إذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم، ثم يأتي به قد أوقره بزا فيفعل به مثل ذلك.

قال ابن إسحاق: ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم، أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا. قال: ويحك يا هشام! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمتم في نقضها حتى أنقضها. قال: قد وجدت رجلا. قال: فمن هو؟ قال: أنا. قال له زهير: أبغنا رجلا ثالثا.

فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له: يا مطعم، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه؟ أما والله لئن مكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا. قال: ويحك! فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد. قال: قد وجدت ثانيا. قال: من هو؟ قال: أنا. فقال: أبغنا ثالثا.

قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية. قال: أبغنا رابعا.

فذهب إلى أبي البختری بن هشام فقال له نحوًا مما قال للمطعم بن عدي.
فقال: وهل من أحد يعين علي هذا؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي
أمية، والمطعم بن عدي، وأنا معك. قال: أبغنا خامسا.

فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم
وحقهم، فقال له: وهل علي هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد؟ قال: نعم. ثم
سمي له القوم، فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة، فاجتمعوا هنالك فأجمعوا
أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها، وقال زهير: أنا أبدوكم
فأكون أول من يتكلم.

فلما أصبحوا غدوا إلى أنديةهم وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة فطاف بالبيت
سبعًا ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو
هاشم هلكة لا يباع ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة
الظالمة. فقال أبو جهل وكان في ناحية المسجد: كذبت والله، لا تشق. قال زمعة
ابن الأسود: أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حين كتبت. قال أبو البختری:
صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقرُّ به. قال المطعم بن عدي: صدقتما
وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها. قال هشام بن عمرو
نحوًا من ذلك، فقال أبو جهل: هذا أمر قضى بليل، تُشور فيه بغير هذا المكان.

وأبو طالب جالس في ناحية المسجد، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا: (باسمك اللهم) وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة، فَشُلَّتْ يده فيما يزعمون.

قال ابن هشام: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: «يا عم، إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو الله إلا أثبتته فيها ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان» فقال: أربُّك أخبرك بهذا؟ قال: «نعم» قال: فوالله، ما يدخل عليك أحد. ثم خرج إلى قريش فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهلم صحيفتكم؛ فإن كان كما قال ابن أخي فانتهاوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها، وإن كان كاذبًا دفعت إليكم ابن أخي. فقال القوم: رضينا. فتعاقدوا على ذلك، ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله ﷺ، فزادهم ذلك شرًّا فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا. (١)

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

فَقَامَ رَهْطٌ هُمْ مِنَ الْكِرَامِ وَأَنْكَرُوا قَطِيعَةَ الْأَرْحَامِ
وَمَزَّقُوا صَحِيفَةَ الظُّلْمِ الَّتِي قَدْ أَجْمَعُوا فِيهَا عَلَى الْقَطِيعَةِ

(١) ينظر «صحيح البخاري» برقم (١٥٨٩) و(٣٨٨٢)، و«السيرة» للذهبي (ص ٢٢١)، و«الفصول في سيرة الرسول» لابن كثير (ص ٦٦-٦٧).

س٢٥/ في أي عام كان ذلك، وما الذي حدث في هذا العام؟

ج/ كان ذلك عام عشر من بعثته، وفي هذا العام توفيت زوجته خديجة

رضي الله عنها، وعمه أبو طالب^(١)، وفيها تلا (النجم).....،

وأبو طالب مات على كفره ولم يسلم بالرغم من حمايته لنبينا ﷺ، ووقفه أمام المعتدين عليه.

روى البخاري برقم (٣٨٨٤)، ومسلم برقم (٢٤) من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم، قل: لا إله إلا الله؛ كلمة أشهد لك بها عند الله»، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب. وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ: «أما والله، لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

قال الحافظ ابن حجر رضي الله عنه هذه الآية الأخيرة: أما نزول هذه الآية الثانية

فواضح في قصة أبي طالب، وأما نزول التي قبلها ففيه نظر، ويظهر أن المراد أن الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالب بمدة، وهي عامة في حقه وفي حق غيره، ويوضح ذلك ما سيأتي في التفسير بلفظ: فأُنزل الله بعد ذلك ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية، وأنزل في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، ولأحمد من طريق أبي حازم عن أبي هريرة في قصة أبي طالب قال: فأُنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، وهذا كله ظاهر في أنه مات على غير الإسلام، ويضعف ما ذكره السهيلي أنه رأى في بعض كتب المسعودي أنه أسلم؛ لأن مثل ذلك لا يعارض ما في «الصحیح»^(١).

(١) «فتح الباري» (٧/٢٤٦).

وَسَجَدَ فَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ ، وَلَمَّا سَمِعَ مُهَاجِرُوا الْحَبَشَةِ رَجَعَ
بَعْضُهُمْ إِلَى مَكَّةَ ظَانِّينَ إِسْلَامَ قُرَيْشٍ ، وَكَانَ الْأَمْرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ .

رواه البخاري برقم (٤٨٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: سجد النبي صلى الله عليه وسلم
بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون، والجن والإنس.

ورواه البخاري برقم (٤٨٦٣)، ومسلم برقم (٥٧٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال: أول سورة أنزلت فيها سجدة: النجم، قال: فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من
خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قُتِلَ كَافِرًا
وهو: أمية بن خلف. وهذا لفظ البخاري.

تنبيه:

أما ما روي من أنه صلى الله عليه وسلم قرأ بمكة النجم فلما بلغ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ ﴾ * وَمَنْوَةَ
الْثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿ [النجم: ١٩-٢٠] ، ألقى الشيطان على لسانه: (تلك الغرائق العُلا وإن
شفاعتها لترتجى) فهي قصة باطلة غير صحيحة، وقد بين ضعفها وبطلانها
العلامة الألباني رحمته الله في رسالته القيمة "نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق"،
فمن أراد التوسع فليرجع إليها.

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَذَاكَ عَامَ الْعَشْرِ بَعْدَ بَعَثْتِهِ وَفِيهِ قَدْ كَانَ [وَفَاءُ] [١] زَوْجَتَهُ
كَذَا وَفَاءُ عَمِّهِ الَّذِي بِهِ قَدْ حَاطَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ طُلَّابِهِ
وَقَدْ تَلَا النَّجْمَ فَلَمَّا سَجَدَا تَابَعَهُ مُسْلِمُهُمْ وَمَنْ عَادَا
وَحِينَمَا قَدْ شَاعَ ذَلِكَ النَّبَا أَبَإِ إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ قَدْ عَرَّبَا
وَدَخَلُوا مَكَّةَ بِالْجَوَارِ وَبَعْضُهُمْ مُعَذَّبٌ فِي الْبَارِ [٢]

[١] في المخطوط: [وفاء]، وهو خطأ من الناسخ.

[٢] كذا في المخطوط والمطبوع، و(الباري): الطريق، قال الأصمعي رحمته الله: الباري والبارية والبوريا فارسيٌّ معرَّبٌ الطريق. نقله عنه ابن سيده في "المخصص" في الكلام على نعوت الطريق.

س٢٦ / متى كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ؟

ج / كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ بَعْدَ الْخَمْسِينَ مِنْ عُمْرِهِ ﷺ.

❶ **فَالْإِسْرَاءُ:** مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

❶ قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وروى مسلمٌ برقم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«أُتِيتُ بِالْبِرَاقِ - وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبُغْلِ، يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ -، قَالَ: «فَرَكِبْتُهُ حَتَّى آتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»، قَالَ: «فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرِبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ»، قَالَ «ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ...» الْحَدِيثُ.

وحديث الإسراء عند البخاري كذلك برقم (٣٨٨٧).

أما بالنسبة لتحديد المكان الذي أُسري به رضي الله عنه منه فقيل: عند البيت. بيته رضي الله عنه

بمكة، ورواية: (من شعب أبي طالب) ^(١)، ورواية: (من بيت أم هانئ).

قال الحافظ رحمته الله في «فتح الباري» (٧ / ٢٥٦): تقدم في أول بدء الخلق بلفظ:

«بينا أنا عند البيت»، وهو أعم، ووقع في رواية الزهري عن أنس عن أبي ذر: «فرج

(١) تقدم الكلام على وصف هذا المكان في التعليق على جواب السؤال رقم (٢٣).

سقف بيتي وأنا بمكة»، وفي رواية الواقدي بأسانيده أنه أسري به من شعب أبي طالب، وفي حديث أم هانئ عند الطبراني أنه بات في بيتها، ففقدته من الليل، فقال: «إن جبريل أتاني»، **والجمع بين هذه الأقوال:** أنه نام في بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب، ففرج سقف بيته، وأضاف البيت إليه؛ لكونه كان يسكنه، فنزل منه الملك فأخرجه من البيت إلى المسجد، فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس، ثم أخرج به الملك إلى باب المسجد فأركبه البراق، وقد وقع في مرسل الحسن عند ابن إسحاق أن جبريل أتاه فأخرجه إلى المسجد، فأركبه البراق. وهو يؤيد هذا الجمع... اهـ

وَالْمِعْرَاجُ: مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ ^(١٤) ، وَإِلَى مُسْتَوَى سَمِعَ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ ^(١٥) ، وَإِلَى حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَرَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ^(١٦) ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ ^(١٧)

^(١٤) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ١٣-١٤].

^(١٥) رواه البخاري برقم (٣٤٩)، ومسلم برقم (١٦٣)، وفيه: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام».

وصريف الأقلام: بفتح الصاد المهملة: تصويتها حالة الكتابة، والمراد ما كتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى. قاله الحافظ رحمته الله.

^(١٦) قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ رِئِدْنَاهُ مِنْ عَيْنِنَا﴾ [الإسراء: ١]، أي: الدالة على قدرتنا وعظمتنا، وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤيا تلك الليلة لم تقع؛ لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾، ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس ...

قاله الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (٢٦٤ / ١٣).

^(١٧) لما رواه البخاري برقم (٣٤٩)، ومسلم برقم (١٦٣)، وفيه: «ففرض الله على أمي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة. قال: فارجع إلى ربك؛ فإن أمتك

لا تطيق ذلك. فراجعني، فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى، قلت: وضع شطرها. فقال: راجع ربك؛ فإن أمتك لا تطيق. فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك. فراجعته فقال: هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي»، واللفظ للبخاري.

ثُمَّ أَصْبَحَ بِمَكَّةَ ① ، وَفِي صَبِيحَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَتَاهُ جِبْرِيلُ بَيَانِ مَوَاقِيتِ الصَّلَوَاتِ ②

① روى البيهقي في "دلائل النبوة" (٢/٣٥٥-٣٥٧) حديثاً طويلاً، وفيه: «ثم أتيت أصحابي قبل الصبح...» الحديث.

قال البيهقي رحمته الله عقبه: وهذا إسناد صحيح. اهـ.

وله شواهد ذكرها الألباني رحمته الله في "الصحيحة" برقم (٣٠٦).

② قال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٢/٥) - تحت حديث رقم (٥٢١) عند قول ابن مسعود رضي عنه الله: إن جبريل نزل، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معه -: بين ابن إسحاق في "المغازي" أن ذلك كان صبيحة الليلة التي فرضت فيها الصلاة وهي ليلة الإسراء، قال ابن إسحاق: (حدثني عتبة بن مسلم، عن نافع بن جبير)، وقال عبدالرزاق: (عن ابن جريج)، قال: قال نافع بن جبير وغيره: لما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم من الليلة التي أسرى به لم يرعه إلا جبريل نزل حين زاغت الشمس؛ ولذلك سميت الأولى، أي: صلاة الظهر، فأمر، فصيح بأصحابه: الصلاة جامعة. فاجتمعوا، فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بالناس، فذكر الحديث، وفيه ردٌ على من زعم أن بيان الأوقات إنما وقع بعد الهجرة، والحق أن ذلك وقع قبلها ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم. اهـ.

وَجِئِنَ أَخْبَرَ بِالْإِسْرَاءِ ① اَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا، وَاشْتَدَّ عِنَادُ الْكُفَّارِ عُذْوَانًا وَطَغْيَانًا.

② روى البخاري برقم (٣٨٨٦)، ومسلم برقم (١٧٠) من حديث جابر رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لما كذبتني قريش قمت في الحجر، فجللى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته، وأنا أنظر إليه».

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَبَعْدَ ذَا قَدْ كَانَ الْإِسْرَاءُ كَمَا	جَاءَ الْكِتَابُ وَالْعُرُوجُ لِلْسَّمَا
لِمُسْتَوَىٰ وَحَيْثُ شَاءَ اللَّهُ	كَمَا هُوَ الْأَدْرَىٰ بِمُنْتَهَاهُ
وَكَانَ ذَا بِالرُّوحِ وَالْجِسْمِ ① بِأَلَا	شَكٌّ وَكَمْ نَصَّبَ بِهِ قَدْ نُفَلَا
وَفَرَضْتَ هُنَالِكَ الصَّلَاةَ	عَلَيْهِ وَأَنْجَلْتَ لَهُ الْآيَاتُ
وَفِي صَبَاحِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَتَىٰ	جَبْرِيلُ لِلْخَمْسِ غَدًا مُوقَّتًا ②
وَعِنْدَمَا أَخْبَرَ بِالْإِسْرَاءِ	نَادَيْتَهُمْ زَادُوا بِالْأَزْدِرَاءِ ③

(١) قال القاضي عياض رحمته الله في "إكمال المعلم" (١/٤٩٧): الحق والذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف، وعمامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أُسْرِيَ بالجسد، والآثار تدل عليه، من طالعتها وبحث عنها، ولا يُعَدَّلُ عن ظاهرها إلا بدليل، ولا استحالة في حملها عليه، فيحتاج إلى تأويل.

[٢] في المخطوط: [معلمًا].

[٣] في المخطوط: [الافتراء].

س٢٧ / مَتَى كَانَ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ؟

ج / كَانَ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ بَعْدَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، لَمَّا سَأَلَ الْمُشْرِكُونَ مِنْهُ

﴿عَلَى اللَّهِ وَعَلَى الْغَنِيِّ﴾ آيَةً أَرَاهُمْ الْقَمَرَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً عَلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْسٍ ^(١)، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ: «أَشْهَدُوا»، فَأَعْرَضُوا وَقَالُوا: سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ^(٢).

^(١) هو الجبل المشرف على الكعبة المشرفة من مطلع الشمس، وكان يزحم السيل فيدفعه إلى المسجد الحرام؛ فَنَحَتْ مِنْهُ الْكَثِيرَ وَشَقَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ طَرِيقًا لِلْسَّيْلِ، وَطَرِيقًا لِلْسِّيَّارَاتِ، وَهُوَ مَكْسُوفٌ بِالْبَنِيَانِ، وَفِي رَأْسِهِ مَسْجِدٌ صَغِيرٌ يُسَمَّى مَسْجِدَ بَلَالٍ وَلَيْسَ مَنْسُوبًا إِلَى بَلَالِ الصَّحَابِيِّ ^(عَلَيْهِ السَّلَامُ)، إِنَّمَا هُوَ اسْمٌ عَلَى اسْمِ.

وهناك طرفة تتعلق بجبل أبي قبيس وهي:

الواقف على أبي قبيس يرى الطائف، فيتبادر إلى الذهن أن المقصود مدينة الطائف؛ فيدهش السامع لهذا القول، والمقصود: الطائف بالكعبة. ^(١)

^(٢) وانشقاق القمر ثابتٌ بدلالة الكتاب والسنة.

أما الأدلة من كتاب الله عزوجل، فقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ

الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وأما السُّنَّةُ فَمِنْهَا مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمٍ (٤٨٦٤)، وَمُسْلِمٌ بِرَقْمٍ (٢٨٠٠) مِنْ

(١) ينظر "معجم معالم الحجاز" (٧ / ١٣٥١).

حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشهدوا»، واللفظ للبخاري.

وروى البخاري برقم (٣٨٦٨)، ومسلم برقم (٢٨٠٢) عن أنس رضي الله عنه أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرتين.... واللفظ لمسلم.

أما لفظ البخاري ففيه: فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما.

وروى البخاري برقم (٣٨٧٠)، ومسلم برقم (٢٨٠٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن القمر انشق على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في «السيرة النبوية» (١٠٢/٢): وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك في زمنه عليه الصلاة والسلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع عند من أحاط بها ونظر فيها. اهـ ثم ذكر بعضاً منها، وذكر أنه تقصى ذلك في كتابه «التفسير».

فائدة:

جاء في رواية أنس رضي الله عنه عند مسلم: (مرتين) بدل (شقتين) و(فرقتين).

قال الحافظ رحمته الله في «فتح الباري» (٢٣٣/٧): ووقع في نظم السيرة لشيخنا الحافظ أبي الفضل: (وانشق مرتين بالإجماع) ولا أعرف من جزم من علماء

الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه ﷺ، ولم يتعرض لذلك أحد من سُرَّاحِ
"الصحيحين"، وتكلم ابن القيم على هذه الرواية فقال: المرات يراد بها الأفعال
تارة والأعيان أخرى، والأول أكثر، ومن الثاني: انشق القمر مرتين. وقد خفي على
بعض الناس فادعى أن انشقاق القمر وقع مرتين، وهذا مما يعلم أهل الحديث
والسير أنه غلط؛ فإنه لم يقع إلا مرة واحدة، وقد قال العماد بن كثير في الرواية التي
فيها (مرتين): نظر، ولعل قائلها أراد فرقتين.

قلت -القائل هو الحافظ-: وهذا الذي لا يتجه غيره؛ جمعاً بين الروايات، ثم
راجعت نظم شيخنا ^(١) فوجدته يحتمل التأويل المذكور، ولفظه:

فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ عَلَتْ وَفِرْقَةٌ لِلطُّودِ مِنْهُ نَزَلَتْ
وَذَاكَ مَرَّتَيْنِ بِالْإِجْمَاعِ وَالنَّصِّ وَالتَّوَاتُرِ السَّمَاعِ

فجمع بين قوله (فرقتين) وبين قوله (مرتين) فيمكن أن يتعلق قوله (بالإجماع)
بأصل الانشقاق لا بالتعدد، مع أن في نقل الإجماع في نفس الانشقاق نظراً سيأتي
بيانه. اهـ

قلت: ولعله يريد بالإجماع ما أراد ابن كثير فيما نقلته عنه آنفاً من أنه إجماع في
زمنه ﷺ، لكن يبقى الإشكال في الإطلاق، والله أعلم.

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَبَعْدَ ذَا ^(٢) كَانَ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ قَدْ جَاءَ فِي الْآيِ وَبِالتَّوَاتُرِ

(١) يريد شيخه العراقي رحمته الله.

(٢) أي: بعد الإسراء.

س٢٨ / مَتَى كَانَ ذَهَابُهُ ﷺ إِلَى ثَقِيفٍ، وَكَيْفَ كَانَ حَالُهُ مَعَهُمْ وَرُجُوعُهُ؟

ج / لَمَّا تُوْفِيَ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ جَدَّ الْمُشْرِكُونَ وَاجْتَهَدُوا فِي أُذُنَيْهِ، فَذَهَبَ إِلَى ثَقِيفٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَأَنْ يَحْمُوهُ وَيَنْصُرُوهُ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدًا أَقْبَحَ رَدًّا عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَأَشَدَّ أَذِيَّةً لَهُ حَتَّى أَغْرَوْا بِهِ صِبْيَانَهُمْ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدْمَوْا عَقْبَيْهِ ^(١) الشَّرِيفَتَيْنِ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ لَمْ يَدْخُلْهَا إِلَّا فِي جِوَارِ الْمُطْعَمِ بْنِ عَدِيٍّ.

ولم ينس - صلوات ربي وسلامه عليه بأبي هو وأمي - صنيع المطعم، وهذا إنما يدل على شيمته ونبله، وخلقه ﷺ، فقد جاء في "صحيح البخاري" برقم (٣١٣٩) من حديث جبير بن مطعم رضي عنه الله أن النبي ﷺ قال في أسارى بدر: «لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له».

قال العيني رحمته الله في "عمدة القاري" (١٥ / ٨٦): مطعم - بلفظ اسم الفاعل من الإطعام - ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، مات كافراً في صفر قبل بدر بنحو سبعة أشهر، وكان قد أحسن السعي في نقض الصحيفة التي كتبها قريش في أن لا يبايعوا الهاشمية والمطلبية ولا يناكحوهم وحصروهم في الشعب ثلاث سنين، فأراد النبي ﷺ أن يكافئه، وقيل: لَمَّا مات أبو طالب وخديجة خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف فلم يلتق عندهم خيراً ورجع إلى مكة في جوار المطعم. اهـ

(١) انظر "السيرة" لابن هشام (١ / ٣١٤)، وابن إسحاق (ص ٢٦٣)، وابن كثير (١ / ١٣٣)، و"زاد المعاد" (١ / ٩٨-٩٩).

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

هَذَا وَقَدْ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْهُ مَا (١)
لَمْ تَكُ مِنْ قَبْلُ تَنَالُ سِيَمَا
مِنْ بَعْدِ مَوْتِ عَمِّهِ [ثُمَّ] [٢] ذَهَبَ
يَدْعُوا ثَقِيْفًا لِلْهُدَى فَلَمْ تُجِبْ [٣]
وَلَمْ يَكُنْ أَقْبَحَ مِنْهُمْ رَدًّا
عَلَيْهِ فِي شَأْنِ الَّذِي قَدْ أَدَّى

[١] انظر "زاد المعاد" (١/٩٨).

[٢] في المخطوط: [قد] بدل (ثم).

[٣] في المطبوع: [يجب].

س٢٩ / مَتَى كَانَ اسْتِمَاعُ الْجِنِّ لِقِرَاءَتِهِ صلى الله عليه وسلم، وَفِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ

ذَلِكَ؟

ج / كَانَ ذَلِكَ بِنَخْلَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنْ ثَقِيفٍ، وَكَانَ مِمَّا

سَمِعُوهُ سُورَةَ الرَّحْمَنِ، فَكَانُوا إِذَا سَمِعُوا ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ﴾

[الرحمن: ١٣] قَالُوا: وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نَعْمِكَ نُكْذِبُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ.

روى الترمذي برقم (٣٢٩١)، والحاكم (٤٧٣ / ٢)، والبيهقي في "دلائل

النبوة" (٢٣٣ / ٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على

أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «لقد قرأتها

على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردوداً منكم، كنت كلما أتيت على قوله:

﴿فِي أَيِّ آيَةٍ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ قالوا: لا بشيءٍ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد».

وفي سنده ضعفٌ، بيد أن له شاهداً عند ابن جرير في "تفسيره" (٢٣ / ٢٢)،

والخطيب في "منتخب الفوائد الصحاح العوالي" برقم (١٣٤) بتحقيقي، وبه يكون

حسناً، وحسنه الألباني رحمته الله في "الصحيحة" برقم (٢١٥٠).

﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]،
وَسُورَةَ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١].

روى أحمد (١٦٧/١) من طريق: عكرمة عن الزبير: «نفرًا من الجن يستمعون القرآن»، قال: بنخلة، ورسول الله ﷺ يصلي العشاء الآخرة... إلخ.
وضعه أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على «المسند»، فقال: فإني أرجح أن عكرمة لم يسمع من الزبير؛ لأن مولاه أهداه لابن عباس حين ولي البصرة من قبل علي بن أبي طالب سنة (٦٣) ...، وذلك بعد وقعة الجمل ومقتل الزبير يقينًا.

روى البخاري برقم (٤٩٢١)، ومسلم برقم (٤٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب؛ فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث؛ فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟ فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء؟ قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنا

عجبا . يهدي إلى الرشد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا. وأنزل الله عز و جل على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوْحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾، وإنما أُوْحِيَ إليه قول الجن .

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٨/ ٨٦٧): قوله: في طائفة من أصحابه. تقدم في أوائل المبعث في باب ذكر الجن أن ابن إسحاق وابن سعد ذكرا أن ذلك كان في ذي القعدة سنة عشر من المبعث لما خرج النبي ﷺ إلى الطائف ثم رجع منها، ويؤيده قوله في هذا الحديث: إن الجن رأوه يصلي بأصحابه صلاة الفجر. والصلاة المفروضة إنما شرعت ليلة الإسراء والإسراء كان على الراجح قبل الهجرة بستين أو ثلاث؛ فتكون القصة بعد الإسراء، لكنه مشكل من جهة أخرى؛ لأن محصل ما في "الصحيح" كما تقدم في بدء الخلق وما ذكره ابن إسحاق أنه ﷺ لما خرج إلى الطائف لم يكن معه من أصحابه إلا زيد بن حارثة وهنا قال: إنه انطلق في طائفة من أصحابه. فلعلها كانت وجهة أخرى، ويمكن الجمع بأنه: لما رجع لاقاه بعض أصحابه في أثناء الطريق فرافقوه. اهـ

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

وَفِي مَآبِهِ اسْتِغَاةُ الْجِنِّ لَهُ
وَعَادَ غَيْرَ آمِنٍ لِلْحَرَمِ
وَذَاكَ أَعْلَىٰ أَسْوَةِ لَمَنْ دَعَا
إِلَىٰ سَبِيلِهِ أَيَّامَنْ قَدَّ وَعَىٰ
كَمَا (بِالْأَحْقَافِ) وَأُخْرَىٰ كَامِلُهُ
بَلْ بِالدُّخُولِ فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ

س ٣٠ / كَيْفَ كَانَ ﷺ يصنع بعد ذلك؟

ج / كَانَ ﷺ يَعْزِضُ نَفْسَهُ فِي الْمَوَاسِمِ وَمَجَامِعِ النَّاسِ يَلْتَمِسُ مَنْ يَحُوطُهُ وَيَحْمِيهِ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ ① حَتَّى قَيَّضَ اللَّهُ لِدَلِكِ [١] وَفَدَّ الْأَنْصَارَ حِزْبَ الرَّحْمَنِ وَكَتَيْبَةَ الْإِيمَانِ.

① لم يكن بُدُّ لرسول الله ﷺ، وقد استحكمت العداوة بينه وبين قريش، وإصرارهم على خلافه، وإبَاء أهل الطائف نصرته، والدخول في دعوته، وإيذاؤهم له من أن يُيَمِّمَ وجهه قبائل العرب الأخرى في مواسم الحج، وأسواق التجارة.

روى الإمام أحمد رحمته الله (٣ / ٣٩٠) من حديث جابر رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ بِالْمَوْقِفِ فَيَقُولُ: «هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؛ فَإِنَّ قَوْمِي قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ فَقَالَ: «يَمَنُّ أَنْتَ؟» فَقَالَ الرَّجُلُ: مِنْ هَمْدَانَ. قَالَ: «فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟» قَالَ: نَعَمْ. ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَشِيَ أَنْ يَخْفِرَهُ قَوْمُهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: آتَيْتُهُمْ فَأُخْبِرُهُمْ، ثُمَّ آتَيْكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ. قَالَ: «نَعَمْ»، فَانْطَلَقَ وَجَاءَ وَفَدَّ الْأَنْصَارَ فِي رَجَبٍ. وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

هكذا كان ﷺ (يدعو القبائل إلى الله تعالى، ويعرض نفسه عليهم في كل موسم أن يؤوه حتى يبلغ رسالة ربه، ولهم الجنة، فلم تستجب له قبيلة، وأدخر الله ذلك كرامةً للأنصار، فلما أراد الله إظهار دينه وإنجاز وعده، ونصر نبيه، وإعلاء

[١] في المخطوط: [لذلك].

كلمته، والانتقام من أعدائه ساقه إلى الأنصار لما أراد بهم من الكرامة... (١).

ووقفوا معه ﷺ خير قيام حتى بلغ كلام ربه، فاخصهم الله لذلك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

وَلَمْ يَزَلْ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى
كُلِّ قَبِيلَةٍ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى
هَدَايَةِ اللَّهِ فَكُلُّ أَنْكَرًا
لِمَا لِلْأَنْصَارِ إِلَهُ أَدَّخَرًا

(١) ما بين القوسين من "زاد المعاد" (١/١٠٠).

س ٣١ / كَمْ كَانَ [١] وَفَدُ الْأَنْصَارُ؟

ج / أَوَّلُ وَفْدٍ مِنْهُمْ سِتَّةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، فَاسْتَجَابُوا لِمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ دَعَا قَوْمَهُمْ فَوَفَدَ مِنْ قَابِلٍ اثْنَانِ مِنَ الْأَوْسِ، وَعَشْرَةٌ مِنْ الْخَزْرَجِ، وَكَانَتْ بَيْعَةَ الْعُقَبَةِ الْأُولَى، وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ مُضْعَبًا مُعَلِّمًا.

روى الإمام أحمد رحمته الله (٣٢٣ / ٥) من حديث عبادة بن الصامت رضي عنه الله، قال: كُنْتُ فِي مَنْ حَضَرَ الْعُقَبَةَ (٢) الْأُولَى، وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، فَبَايَعَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُفْتَرَضَ الْحَرْبُ عَلَيَّ: أَلَّا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِي وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا وَلَا نَأْتِيَ بِيَهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ؛ فَإِنْ وَفَيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَكُمْ. (٣)

قال البراء بن عازب رضي عنه الله: أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال، وسعد، وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن

[١] في المخطوط: [كانت].

(٢) هي عقبة منى، وفيها الجمرة الكبرى، وهي مدخل منى من الغرب، وحده الغربي. "معجم معالم الحجاز" (٦ / ١١٧٠).

(٣) رواه أحمد (٣٢٣ / ٥)، وسنده حسن؛ رجاله ثقات كلهم سوى محمد بن إسحاق مدلس، وقد صرح بالتحديث وهو حسن الحديث، وأصل الحديث عند البخاري برقم (٣٨٩٣)، ومسلم برقم (١٧٠٩).

الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ، ثم قدم النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله ﷺ؛ حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ. فما قدم حتى قرأت: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] في سورة من المفصل. (١)

فائدة:

قال الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٧/ ٣٣٢): وقد تقدم في أول الهجرة أن أول من قدم المدينة من المهاجرين عامر بن ربيعة ومعه امرأته أم عبد الله بنت أبي حثمة، وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وشماس بن عثمان بن الشريد، وعبد الله بن جحش، فيجمع بينه وبين حديث البراء بحمل الأولية في أحدهما على صفة خاصة، فقد جزم ابن عقبة بأن أول من قدم المدينة من المهاجرين مطلقاً أبو سلمة بن عبد الأسد وكان رجع من الحبشة إلى مكة فأوذى بمكة فبلغه ما وقع للاثني عشر من الأنصار في العقبة الأولى؛ فتوجه إلى المدينة في أثناء السنة، فيجمع بين ذلك وبين ما وقع هنا بأن أبا سلمة خرج لا لقصده الإقامة بالمدينة بل فراراً من المشركين بخلاف مصعب بن عمير فإنه خرج إليها للإقامة بها وتعليم من أسلم من أهلها بأمر النبي ﷺ، فلكل أولية من جهة. اهـ.

فَدَخَلَ الْإِسْلَامُ فِي كُلِّ دُورِهِمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ وَفَدَّ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ
وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ. (١)

قال كعب بن مالك رضي الله عنه في حديث له وهو حديث طويل وفيه: «...،
وَخَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ فَوَاعَدَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْعُقَبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، فَلَمَّا
فَرَعْنَا مِنَ الْحَجِّ وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو
ابْنِ حَرَامٍ أَبُو جَابِرٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
أَمْرَنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إِنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَتِنَا وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا
نَرُغِبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبَرْتُهُ
بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعُقَبَةَ وَكَانَ نَقِيًّا^(١). قَالَ: فَمِنَّا تِلْكَ
اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا حَتَّى إِذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَسَلَّلُ مُسْتَخْفِينَ تَسَلَّلَ الْقَطَا حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشَّعْبِ عِنْدَ الْعُقَبَةِ
وَنَحْنُ سَبْعُونَ رَجُلًا وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِمْ: نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ إِحْدَى
نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرٍو بْنِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتِ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي
سَلِيمَةَ وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ.

قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشَّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ يَوْمِيذٍ عَمُّهُ
الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ يَوْمِيذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ

(١) النقيب هو كالعريف على القوم المقدم عليهم، وقد جعل ﷺ ليلة العقبة كل واحد من الجماعة الذين بها نقيباً على قومه وجماعته؛ ليأخذوا عليهم الإسلام، ويعرفوهم شرائطه، وكانوا اثني عشر نقيباً، وكان عبادة بن الصامت منهم. "النهاية" (٢/ ٧٨٣) مادة: نَقَبَ.

أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقُ لَهُ، فَلَمَّا جَلَسْنَا كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ مِمَّا يُسْمَوْنَ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ الْخَزْرَجِ أَوْسَهَا وَخَزْرَجَهَا إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَعَنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا مِمَّنْ هُوَ عَلَيَّ مِثْلَ رَأِينَا فِيهِ، وَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ، قَالَ: فَقُلْنَا: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ. قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَلَا وَدَعَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَعَبَ فِي الْإِسْلَامِ. قَالَ: «أَبَايِعُكُمْ عَلَيَّ أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ»، قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَرْزَانَا، فَبَايَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَخَنُّ أَهْلِ الْحُرُوبِ وَأَهْلَ الْحَلَقَةِ، وَرِثَانَهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ.

قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانَ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرَّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي الْعُهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ قَوْمِكَ وَتَدْعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «بَلِ الدَّمِ الدَّمِ، وَالْهَدْمِ الْهَدْمِ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي، أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأَسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ»، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنْكُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَيَّ قَوْمِيهِمْ»، فَأَخْرِجُوا مِنْهُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا مِنْهُمْ تِسْعَةٌ مِنَ الْخَزْرَجِ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْسِ... .

قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَيَّ يَدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، ثُمَّ تَتَابَعَ الْقَوْمُ... . الْحَدِيثُ. وَهُوَ حَسَنٌ كَمَا فِي «السَّيْرَةِ» لابن هشام (١/ ٣٣٠)، و«مُسْنَدِ

وَكَانَتْ بَيْعَةَ الْعُقَبَةِ الثَّانِيَةِ الْكُبْرَى عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ فِي آيَةِ الْمُمْتَحِنَةِ ① ، وَعَلَى أَنْ يَحْمُوهُ مِمَّا يَحْمُونَ مِنْهُ أَبْنَاءَهُمْ، وَأَهْلِيهِمْ، وَأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ.

وهي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ ۖ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[الممتحنة: ١٢].

قالت عائشة رضي الله عنها لعروة بن الزبير: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية...، فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد بايعتك» كلامًا، ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة، ما يبايعهنَّ إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك» (١).

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ لِلْإِنْبِجَازِ	مَوْعِدَهُ الرَّسُولَ بِالْإِعْزَازِ
بَيْنَا النَّبِيِّ يَدْعُو الْوُفُودَ إِذْ وَجَدَ	رَهْطًا مِنَ الْخَزْرَجِ أَرْبَابَ الرَّشْدِ
هُمْ سَيِّئَةً أَوْ فَوْقَهُمْ فَوْقًا	لَمَّا دَعَاهُمْ آمَنُوا وَصَدَّقُوا
ثُمَّ دَعَا قَوْمَهُمْ إِذْ أَبَوْا	إِلَى الْهُدَى الَّذِي لَهُ اسْتَجَابُوا
فَجَاءَهُ مِنْ قَابِلٍ اثْنَا عَشْرًا	فَبَايَعُوهُ صَادِقِينَ لَا افْتِرَا

(١) رواه البخاري برقم (٤٨٩١).

وَهُمْ مِنَ الْخَزْرَجِ عَشْرَةٌ وَمِنْ
وَطَبَّوْا مُعَلَّمًا فَأَرْسَلَا
حَتَّى فَشَى الْإِسْلَامُ فِيهِمْ وَدَخَلَ
هَذَا وَلَمَّا كَانَ عَامًا قَابِلًا
وَأَمْرَاتَانِ اتَّعَدُوا بِالْعَقَبَةِ
وَالنُّقْبَاءِ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ
فَبَايَعُوهُ ثُمَّ كَانَ الْقَيْلُ
وَبَعْدَ أَنْ أَبَوْا إِلَيْهِمْ هَاجَرَا
لِيَعْبُدُوا اللَّهَ بِدَارِ الْأَمْنِ فِي
أَوْلَادِ أَوْسٍ اثْنَانِ نَقُلُ مَنْ فَطِنُ
مُضْعَبَ مُقَرَّرًا لَهُمْ مَا أَنْزَلَا
فِي كُلِّ أَهْلِ دَارِهِمْ بِلَا جَدَلٍ
جَاءَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ وَلَا (١)
لِيَبْعَةَ الْهَادِي عَلَى مَا طَلَبَهُ
كَالنُّقْبَاءِ مِنْ قَوْمِ مُوسَى الْأَمْرَا
لَا نَسْتَقِيلُهَا وَلَا نُقِيلُ
مَنْ كَانَ مُسْلِمًا مِنَ الشَّرْكِ بَرَا
يَشْرَبُ وَاثْتِقُونَ بِالْوَعْدِ الْوَفِيِّ

(١) وَلَا: بكسر الواو، أي: متابعه؛ لأن الموالاة المتابعة، يقال: والى بين الأمر موالاةً وولاءً: تابع. انظر
"لسان العرب" مادة: ولي.

س ٣٢ / كَمَ كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَوْسِ، وَكَمْ مِنَ الْخَزْرَجِ؟

ج / كَانَ مِنَ الْأَوْسِ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا، مِنْهُمْ النَّبَاءُ الثَّلَاثَةُ، وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ

مِنَ الْخَزْرَجِ مِنْهُمْ النَّبَاءُ [التَّسْعَةُ] ^[١]، وَقَدْ حَضَرَ الْبَيْعَةَ الْعَبَّاسُ بْنُ

عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِيَسْتَوْثِقَ لِابْنِ أَخِيهِ، ثُمَّ أُذِنَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

مجموع النقباء اثنا عشر نقيباً، ذكر ابن إسحاق وابن هشام (٩٧/٢-٩٨) [Ⓢ]

أسماءهم كالتالي: عبادة بن الصامت، والبراء بن معرور، وعبد الله بن رواحة،

وسعد بن الربيع، وأبو أمامة أسعد بن زرارة، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو،

وأسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة، وعبد الله بن حرام، ورافع بن مالك، وأبو

الهيثم بن التيهان. اهـ

[١] في المخطوط: [تسعة].

س٣٣/ مَن أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ؟

ج/ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ: أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيِّ زَوْجُ

أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ، ثُمَّ تَتَابَعِ الْمُسْلِمُونَ أَرْسَالًا.

هذا ما ذكره ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام (٢/ ١٢٢)، وابن سعد في "الطبقات" (١/ ٢٢٦)، والأول بدون سند، والثاني بسند لكنه من طريق الواقدي، وفي "صحيح مسلم" برقم (٩١٨) عندما توفي أبو سلمة قالت أم سلمة: أي المسلمين خير من أبي سلمة، أول بيت هاجر إلى رسول الله... .

وفي "صحيح البخاري" برقم (٣٩٢٤) أن أول من هاجر إلى المدينة مصعب ابن عمير. وجمع الحافظ رحمته الله بين ذلك، وتقدم ذلك في التعليق على السؤال رقم (٣١).

س ٣٤ / متى أذن للنبي ﷺ في الهجرة؟

ج / لَمَّا رَأَى^[١] الْمُشْرِكُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، وَأَنَّ أَصْحَابَهُ قَدَ وَجَدُوا دَارَ أَمْنٍ يُهَاجِرُونَ إِلَيْهَا وَإِخْوَانَ صَدَقِ [يُؤْوِنُهُمْ]^[٢] وَيَنْصِرُونَهُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى الْمَكْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُثْبِتُوهُ، أَوْ يَقْتُلُوهُ، أَوْ يُخْرِجُوهُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ فَاتَاهُ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ[Ⓢ]، فَخَرَجَ عَلَى شِبَانِهِمْ وَهُمْ يَرْصُدُونَهُ بِسُيُوفِهِمْ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ صَدْرَ ﴿يَس﴾، وَنَثَرَ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ، فَلَمْ يُفِيقُوا إِلَّا وَهُمْ يَحْرُسُونَ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ نَائِمًا عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَدْرُوا أَيَّنَ ذَهَبَ.[Ⓣ]

Ⓢ وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

Ⓣ هذه القصة رواها ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام (١/ ٣٦٠) بإسناد صحيح متصل إلى محمد بن كعب القرظي مرسل، وستأتي قصة خروجه قريباً.

أما تعاقد كفار قريش على قتل النبي ﷺ فقد رواها ابن عباس رضى الله عنهما قال: إنَّ

[١] في المخطوط: [رأ].

[٢] في المخطوط: [ياوونهم].

الْمَلَأَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ فَتَعَاقَدُوا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى وَنَائِلَةَ وَإِسَافٍ: لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّدًا لَقَدْ قُومْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّى نَقْتُلَهُ. فَأَقْبَلَتْ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ تَبْكِي حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: هَؤُلَاءِ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ لَوْ قَدْ رَأَوْكَ لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُوكَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا قَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ. فَقَالَ: «يَا بِنْتُ أَرِينِي وَضُوءًا»، فَتَوَضَّأَتْ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَا هُوَ ذَا. وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ وَسَقَطَتْ أَدْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعَقَرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَرًا وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ. فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَامَ عَلَى رُءُوسِهِمْ فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ فَقَالَ: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِهَا، فَمَا أَصَابَ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى حَصَاةً إِلَّا قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كَافِرًا. (١)

(١) رواه أحمد (٣٠٣/١)، وهو حديث حسن، وحسنه شيخنا الوادعي رحمه الله في "الصحيح المسند"

س٣٥ / كَيْفَ صِفَةُ خُرُوجِهِ ﷺ وَمَنْ خَرَجَ مَعَهُ؟

ج / خَرَجَ ﷺ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى غَارِ ثَوْرٍ، وَوَاعَدَا^[١] الدَّلِيلَ أَنْ يَأْتِيَهُمَا^[٢] بِرَاحِلَتَيْهِمَا^[٣] بَعْدَ ثَلَاثَةِ، فَدَخَلُوا الْغَارَ وَ[جَدَّا]^[٤] الْمُشْرِكُونَ فِي طَلَبِهِمْ حَتَّى اتَّوَا الْغَارَ، فَأَخَذَ اللَّهُ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْهُمَا، وَمَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَسَكَنتَ أَخْبَارُ الطَّلَبِ أَتَاهُمَا الدَّلِيلُ بِرَاحِلَتَيْهِمَا، فَرَكِبَا وَقَدْ أَدْرَكَهُمَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ ابْنِ جُعْشَمٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمَا سَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ فِي الْأَرْضِ حَتَّى كَادَ أَنْ [يُنْهَضَ سَاخَ]^[٥] لَوْلَا أَنَّهُ طَلَبَ الْأَمَانَ عَلَيَّ أَنْ يُعَمِّيَ عَنْهُمْ الطَّلَبَ. ❶

❶ ها أنت قد رأيت طرفاً من تعذيب المشركين للمسلمين، ولاسيما ضعفاؤهم، وأن النبي ﷺ قد أذن لهم في الهجرة إلى الحبشة، فهاجر بعضهم إلى الحبشة الهجرة الأولى، ثم هاجر الكثيرون منهم إليها الهجرة الثانية.

وها هي طلائع النور قد بدت من جهة يثرب - المدينة - بعد التقاء بأهلها في موسم الحج، فقد التقى بهم النبي ﷺ في العقبة الأولى والثانية، فأمن من آمن، وعاهد من عاهد منهم على الولاء والنصرة، وأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم، ونساءهم، وأبناءهم، وما كان من انتشار الإسلام بين أهل المدينة انتشاراً لم يكن

[١] في المخطوط: [واعدوا]، والصواب ما أثبت؛ لأنه مشئى كما سيأتي.

[٢] في المخطوط: [يأتيهم، و] وكتب الناسخ على ميم الجمع ألفاً، وأثبتها؛ لأنه مشئى.

[٣] في المخطوط: [براحلتيهما]، وكتب الناسخ ألفاً صغيرة على ميم الجمع وأثبتها؛ لأنه مشئى.

[٤] غير واضحة في المخطوط.

[٥] غير واضح في المخطوط، وبعد التأمل ظهر لي ما أثبت.

يتوقعه أحد حتى أذهل ذلك مشركي مكة، وبذلك أصبح للمسلمين إخوان مؤمنون صادقون في دار أمن وإيمان، وإسلام وسلام، وهي المدينة. وقد ألم المشركين وأقضى مضاجعهم انتشار الإسلام بالمدينة هذا الانتشار السريع، فأوغلوا في إيذاء المسلمين، ونالوا منهم غاية النيل، وضيّقوا عليهم السبل والمسالك، فلم يكن لهم بدّ من الهجرة إليها، فقد أضحى لهم بها أهل بأهل، ودور بدور... فكان من الضروري أن تنتقل الدعوة من مكة إلى المدينة وهذا ما كان.

وكان الصحابة يشتكون إلى النبي ﷺ ما يجدونه من المشركين من الأذى والعنت، فيشتهم، ويصبرهم، ويعدّهم فرجاً ومخرجاً من هذا الكرب. (١)

وقد رأى ﷺ رؤيا رأى فيها دار الهجرة، فقال لصحابته الكرام: «قد أريت دار هجرتكم، رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين»، وهما الحرتان، فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ، ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة، وتجهز أبو بكر مهاجراً، فقال له رسول الله ﷺ: «عليّ رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي»، قال أبو بكر: هل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: «نعم»، فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر. (٢)

(١) «السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة» (١/٤٥٧-٤٥٨).

(٢) البخاري برقم (٢٢٩٧)، وينظر «تغليق التعليق» (٣/٢٩٢)، و«صحيح السيرة النبوية» =

وقد كان خروجه ﷺ من مكة إلى المدينة ليس بالأمر السهل؛ فالإنسان محبوب على حب المكان الذي نشأ وترعرع فيه، ولقد رأى شاهدُ عيان رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة^(١) وهو يقول: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت»^(٢).

وتروي لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها شيئاً من بداية هجرته ﷺ مع رفيق دربه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فتقول: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنَّعًا، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءُ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ. قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - إِحْدَى رَاِحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِالْثَّمَنِ».

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَا هُمَا أَحْتَّ الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً فِي حِرَابٍ،

= (٢١٣) للألباني رحمه الله.

(١) الحزورة موضعٌ عند باب الحنطين، وقد أُدخل هذا المكان في المسجد الحرام لَمَّا زِيدَ فِيهِ. وَيُنْظَرُ «شفا الغرام» (١/٧٦)، و«معجم البلدان» (٢/٢٥٥).

(٢) رواه أحمد (٤/٣٠٥) وغيره من حديث عبد الله بن عدي بن الحمراء، وهو صحيح، وأورده شيخنا الوادعي رحمه الله في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (٥/١٨٩) برقم (٣٤٦٢).

فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَزَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ، فَبَدَلَكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النُّطَاقَيْنِ.

قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بَغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ^(١)، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ، تَقِفُ لَيْلُنِي، فَيَدْلُجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيَصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرَعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مَنَحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيَرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلِ، وَهُوَ لَبَنٌ مَنَحْتَهُمَا وَرَضِيْفَهُمَا^(٢)، حَتَّى يَنْعَقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بَعْلَسٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ...^(٣)

يقول أبو بكر رضي الله عنه: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت:

يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رأنا. قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(٤).

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد أخذ ماله كله، ولم يترك منه شيئاً، تحدثنا ذات النطاقين

(١) جبل ثور أكبر من جبل حراء وأبعد منه بالنسبة إلى مكة، والمسجد الحرام، فهو بأسفل مكة جنوب محلة المسفلة، ويُرَى من مزدلفة، وهو أكثر وعورة، وأصعب مرتقى من غار حراء، وبه غار معروف مشهور طوله (١٨) شبراً، وطول فمه الضَّيِّق (٥) أشبار، وقد سُمِّي الحي المجاور له بحي الهجرة نسبة لهذه الهجرة. «تاريخ مكة» (١/٨٦).

(٢) الرضيف: اللبن المروضوف، وهو الذي طُرِح فيه الحجارة المحماة ليُدْهَبَ وَحْمُهُ. «النهاية» (١/٦٦٣) مادة: رَضِفَ.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٩٠٥).

(٤) متفق عليه.

أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَتَقُولُ: لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ اِحْتَمَلَ أَبُو بَكْرٍ مَالَهُ كُلَّهُ مَعَهُ: خَمْسَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ أَوْ سِتَّةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ، قَالَتْ: وَأَنْطَلَقَ بِهَا مَعَهُ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيْنَا جَدِّي أَبُو قُحَافَةَ وَقَدْ ذَهَبَ بَصْرُهُ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُرَاهُ قَدْ فَجَعَكُمْ بِمَالِهِ مَعَ نَفْسِهِ. قَالَتْ: قُلْتُ: كَلَّا يَا أَبَتِ، إِنَّهُ قَدْ تَرَكَ لَنَا خَيْرًا كَثِيرًا. قَالَتْ: فَأَخَذْتُ أَحْجَارًا فَتَرَكْتُهَا فَوَضَعْتُهَا فِي كُوَّةِ ^(١) الْبَيْتِ كَانَ أَبِي يَضَعُ فِيهَا مَالَهُ، ثُمَّ وَضَعْتُ عَلَيْهَا ثَوْبًا، ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، ضَعْ يَدَكَ عَلَيَّ هَذَا الْمَالِ. قَالَتْ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَقَالَ: لَا بَأْسَ إِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ لَكُمْ هَذَا فَقَدْ أَحْسَنَ، وَفِي هَذَا لَكُمْ بَلَاغٌ. قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ، مَا تَرَكَ لَنَا شَيْئًا، وَلَكِنِّي قَدْ أَرَدْتُ أَنْ أُسْكِنَ الشَّيْخَ بِذَلِكَ. ^(٢)

فرضي الله عنه وأرضاه، ورضي الله عن ذات النطاقين، لقد تصرفت بعقلٍ راجح لاسيما وقد تكلم جدها بكلام مؤثر يؤثر في بعض الرجال، فما بالك بامرأة، لكنها تجاوزت ذلك بعقلها الراجح، وذكائها، وقبل ذلك بقوة إيمانها بأن الله لن يضيعها هي ومن معها، فرضي الله عنها وعن أبيها، وعن الصحابة أجمعين.

الخروج من مكة إلى المدينة:

ولما هدأتِ الأمور، وانقطع الطلب انطلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة.

(١) الكُوَّةُ: فَتْحٌ فِي الْحَائِطِ. «تحرير ألفاظ التنبيه» (ص ٢٠٢) للنووي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه أحمد (٣٥٠/٦)، وهو حسن، وحسنه شيخنا الوادعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الجامع الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٥/١٨٨-١٨٩) برقم (٣٤٦١).

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **وَأَسْتَأْجَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيًا خَرِيَّتًا، وَالْخَرِيْتُ: الْمَاهِرُ بِالْهَدَايَةِ، قَدْ غَمَسَ حِلْفًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَاثِلِ السَّهْمِيِّ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَا حِلَّتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، بِرَا حِلَّتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلَاثِ، وَأَنْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَالدَّلِيلُ، فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَا حِلِّ (١).**

ويروي لنا الصديق رضي الله عنه شيئاً من ذلك فيقول: **ازْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا، أَوْ: سَرِينَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصْرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلِّ فَاوِي إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتَهَا فَنظَرْتُ بِقِيَّةِ ظِلِّ لَهَا فَسَوَّيْتُه، ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَنْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي هَلْ أَرَى مِنْ الطَّلَبِ أَحَدًا، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِيٍ غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غَلَامٌ؟ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ. سَمَاهُ فَعَرَفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرَعَهَا مِنَ الْغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ: هَكَذَا، ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالْأُخْرَى، فَحَلَبَ لِي كُتْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَأَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَافَقْتُهُ قَدْ اسْتَيْقِظَ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟**

قَالَ: «بَلَى». فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرَ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ ابْنِ جُعْشَمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا». (١)

أما لحوق سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وصاحبه، وإدراكه لهما فقد تكلم عنه سُرَاقَةُ نَفْسُهُ قَائِلًا: جَاءَنَا رُسُلٌ كَفَّارِ قُرَيْشٍ، يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، دِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ، فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِّجٍ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَةُ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْفًا أَسْوَدَةً بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ. قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَّتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةِ، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَخَطَطْتُ بِرُجِّهِ الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّى آتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَاتِي، فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ (٢) فَاسْتَقَسَمْتُ بِهَا: أَضْرُّهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ، تُقَرِّبُ بِي

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٢٥)، ومسلم برقم (٢٠٠٩).

(٢) الأزلام هي القِداح التي كانت في الجاهلية عليها مكتوب الأمر والنهي: افعَل، ولا تفعل، كان الرجل منهم يضعها في وعاء له، فإذا أراد سفرًا، أو أمرًا مهمًّا أدخل يده فأخرج منها زلماً؛ فإن خرج الأمر مضى لشأنه، وإن خرج النهي كفَّ ولم يفعله. «النهاية» (١/ ٧٣٠) مادة: زَلَمَ.

حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ لَا يَلْتَفْتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْرِهُ الْإِلْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَهَضَمَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثْرِ يَدَيْهَا عَثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرِزَانِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا». فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فَهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. (١)

فَجَعَلَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ. (٢)

أما الطريق التي سلكها ﷺ هو وصاحبه رضي الله عنه فقد روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قائلة: لما خرج رسول الله ﷺ من الغار مهاجرا و معه أبو بكر وعامر بن فهيرة مردفه أبو بكر وخلفه عبد الله بن أريقط الليثي، فسلك بهما أسفل من مكة ثم مضى بهما حتى هبط بهما على الساحل أسفل من عسفان، ثم استجاز بهما على أسفل أمج، ثم عارض الطريق بعد أن أجاز قديداً، ثم سلك بهما الحجاز، ثم أجاز بهما ثنية المرار، ثم سلك بهما الحفيا، ثم أجاز بهما مدلجة لقف، ثم استبطن

(١) رواه البخاري برقم (٣٩٠٦).

(٢) "البخاري" برقم (٣٦١٥).

بهما مدلجة صحاح، ثم سلك بهما مذحج، ثم بطن مذحج من ذي الغصن، ثم بطن كشد، ثم أخذ الجبابج، ثم سلك ذي سلم من بطن أعلى مدلجة، ثم أخذ القاحة، ثم هبط العرج، ثم سلك ثنية الغائر عن يمين ركوبه، ثم هبط بطن ريم، فقدم قباء على بني عمرو بن عوف. (١)

وكان الرجل يلقي أبا بكر رضي عنه الله فيقول: يا أبا بكر، من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل. فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني: سبيل الخير. (٢)

وفي طريقه صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مرَّ بخيمتي أمِّ معبدٍ الخزاعية وكانت امرأة برزة جلدة تحثبي بفناء الخيمة ثم تسقي وتطعم، فسألوها لحمًا و تمرًا ليشتروا منها، فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك وكان القوم مرملين (٣) مستئين (٤) فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة فقال: «ما هذه الشاة يا أمِّ معبد؟» قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: «هل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك. قال: «أتأذنين لي أن أحلبها؟» قالت: بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلبًا فاحلبها. فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها في شاتها،

(١) رواه الحاكم (٨/٣) بإسناد حسن.

(٢) «البخاري» برقم (٣٩١١).

(٣) أي: نفذ زادهم، وأصله من: الرَّمْل، كأنهم لصقوا بالتراب، كما قيل للفقير: التَّربُّ. «النهاية» (٦٩١/١).

(٤) أي: مجدبين أصابتهم السنة وهي القحط والجذب. «النهاية» (٨١١/١) مادة: سنت.

فتفاجت عليه ودرت فاجترت، فدعا بإناء يربض الرهط، فحلب فيه ثجًا حتى علاه البهاء، ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا، و شرب آخرهم حتى أراضوا، ثم حلب فيه الثانية على هدة حتى ملأ الإناء، ثم غادروه عندها، وبياعها، وارتحلوا عنها، فقل ما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد ليسوق أعنزًا عجافًا يتساوكن هزالًا مُخْهَنَّ قليل، فلمَّا رأى أبو معبد اللبن أعجبه، قال: من أين لك هذا يا أم معبد والشاء عازب حائل ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا.

قال: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّمُ معبد. قالت: رأيت رجلًا ظاهر الوضاعة، أبلج^(١) الوجه، حسن الخلق، لم تعبه ثجلة^(٢) و لم تزريه صعلة^(٣) وسيم قسيم في عينيه دعج^(٤)، وفي أشفاره وَطَفٌ^(٥)، وفي صوته صهل^(٦)، وفي عنقه سطع^(٧)، وفي لحيته كثافة، أزج^(٨) أقرن^(٩) إن صَمَتَ فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس

(١) أي: مشرق الوجه. "النهاية" (١/١٥٥) مادة: بلج.

(٢) أي: ضخم بطن. "النهاية" (١/٢٠٦) مادة: ثجل.

(٣) الصعلة هي: صغر الرأس، وهي أيضًا: الدقة والنحول في البدن. "النهاية" (٢/٣٣) مادة: صعل.

(٤) الدعج: السواد في العين، وقيل: الدعج شدة سواد العين في شدة بياضها. "النهاية" مادة: دعج.

(٥) الشُّفْر بالضم، وقد يفتح: حرف جفن العين الذي ينبت عليه الشعر، فقولها: (في أشفاره وطف)،

أي: في شعر أشفانه طول. "النهاية" (١/٨٧٧) مادة: شفر. و(٢/٨٦٣) مادة: وطف.

(٦) أي: حدة وصلابة من سهيل الخيل وهو صوتها. "النهاية" (١/٦٢) مادة: صهَل.

(٧) أي: ارتفاع وطول. "النهاية" (١/٧٧٥) مادة: سطع.

(٨) الزجج: نقوس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداد. "النهاية" (١/٧١٨) مادة: زَجَجَ.

(٩) القَرَن: هو التقاء الحاجبين. "النهاية" (٢/٤٤٨) مادة: قَرَنَ.

وأبهاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر^(١) كأن منطقته خرزات نظم يتحدرن ربعة لا تشنؤه^(٢) من طول ولا تقتحمه^(٣) عين من قصر، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به؛ إن قال سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود^(٤) محشود^(٥) لا عابس ولا مفند.^(٦)

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمر ما ذكر، ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً....^(٧)

وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَمَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوْوَا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودِ عَلَى أُطْمٍ مِنْ آطَامِهِمْ، لِأَمْرِ

(١) النزر: القليل، والهذر: الكثير، ومعناه: لا قليل الكلام، ولا كثير، ليس بقليل فيدل على عي، ولا كثير فاسد. "النهاية" (٧٢٩ / ٢) مادة: نزر. و(٩٠٠ / ٢) مادة: هذر.

(٢) أي: لا يبعض لفرط طوله. "النهاية" (٨٩٢ / ١) مادة: شنأ.

(٣) أي: لا تتجاوزته إلى غيره احتقارًا له. "النهاية" (٤٢٠ / ٢) مادة: قحَم.

(٤) المحفود: الذي يخدمه أصحابه ويعظمونه، ويسرعون في طاعته. "النهاية" (٣٩٦ / ١) مادة: حفَد.

(٥) أي: إن أصحابه يجتمعون إليه. "النهاية" (٣٧٩ / ١) مادة: حشد.

(٦) العابس: الكريه الملقى الجهم المحيًّا، والمفند: هو الذي لا فائدة في كلامه لكبير أصابه. "النهاية"

(٧ / ٢) (١٥١) مادة: عبس، و(٣٩٥ / ٢) مادة: فند.

(٧) رواه الحاكم (٩ / ٣ - ١٠)، والطبراني (٤ / ٥٦)، وابن سعد في "الطبقات" (١ / ٢٣٠)، ولها طرق

ترتقي بها إلى الحُسن، وقد صححها الحاكم رحمته، وقال ابن كثير رحمته في "البداية والنهاية"

(٣ / ٢٠٩): وقصتها مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضًا.

وانظر "السيرة" للعمري (١ / ٢١٣ - ٢١٤).

يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصَرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيِّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمْ الَّذِي تَنْتَظِرُونَ. فَتَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ... الحديث. (١)

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

وَهَاجَرَ النَّبِيُّ بَعْدَ الْإِذْنِ لَهُ
بَعْدَ ثَلَاثِ عَشْرَةَ مِنْ بَعْثِهِ
مَكْرُفُ رَيْشٍ بِهِ لِيُثْبِتُوهُ
وَأَجْمَعُوا الْقَتْلَ فَارْصَدُوا
فَجَاءَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ مُخْبِرًا
فَبَاتَ فِي مَكَانِهِ عَلَيَّ
وَنَثَرَ التُّرْبَ عَلَيَّ رُؤُوسِهِمْ
ثُمَّ مَضَى النَّبِيُّ وَالصَّادِقُ
فَمَكَّنُوا فِيهِ ثَلَاثًا رَيْثًا
حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُمْ سُورَاقُهُ
حَيْثُ بِهِ جَوَادُهُ قَدِ عَثَرَا
لَكِنَّهُ الْأَمَانَ مِنْهُمَا طَلَبَ
هَذَا وَقَدْ جَازَا [٢٣] بِأَمِّ مَعْبَدٍ

مِنْ قِبَلِ اللَّهِ الَّذِي قَدْ أَرْسَلَهُ
رَبِيعَ أَوَّلٍ وَأَصْلُ هِجْرَتِهِ
أَوْ يَقْتُلُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ
رَجَالَهُمْ لِلْفَتْكِ حِينَ يَرُقُدُ
عَنْ مَكْرِ الْأَعْدَاءِ لَهُ مُحْذِرًا
ثُمَّ عَلَيْهِمْ خَرَجَ النَّبِيُّ
وَخَابَ مَا رَأَمُوهُ فِي نَفُوسِهِمْ
لِلْغَارِ وَالْكَفَّارِ لَمْ يُفِيقُوا
تَخَفَى عَلَى الْعَدُوِّ أَخْبَارُهُمَا
أَتَاهُ مَا لَيْسَ بِهِ مِنْ طَاقِهِ
لَوْ لَمْ يُفِقْ [سَاخ] [٢٢] لِأَطْبَاقِ الثَّرَى
بِشَرْطٍ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُمَا الطَّلَبَ
وَشَاهَدَتْ مِنْ مُعْجَزَاتِ أَحْمَدِ

(١) رواه البخاري برقم (٣٩٠٦)، والحاكم (١١/٣).

[٢٢] في المخطوط: [ساج] بالجميم، وهو خطأ من الناسخ، وما أثبت هو الموافق للحديث.

[٢٣] في المخطوط: [جار]، والأقرب ما أثبت، والله أعلم.

س ٣٦ / متى قدم ﷺ قباء ؟

ج / قدم ﷺ قباء نهار الإثنين لاثني عشر خلت من ربيع الأول^(١) ، وبها بنى مسجده الذي أسس على التقوى من أول يوم على الصحيح في [معنى]^[١] الآية، وإن كان مسجده ﷺ الذي بالمدينة أسس على التقوى [من باب أولى]^[٢] .

روى الطبراني (١٧ / ٤٥٧)، والحاكم (٣ / ٤٢٠) من حديث عاصم بن عدي رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الإثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.

وفي سنده: الوليد بن مسلم وقد عنعن.

وفي "صحيح البخاري" برقم (٣٩٠٦): نزل بهم في بني عمرو بن عوف، وذلك يوم الإثنين من شهر ربيع الأول، فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه؛ فعرف الناس رسول الله ﷺ.

لبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذي على التقوى وصلى فيه. "البخاري" برقم (٣٩٠٦).

[١] ليست واضحة في المخطوط.

[٢] غير واضحة في المخطوط.

وفي رواية برقم (٣٩٣٢): فأقام فيهم أربع عشرة ليلة.

مسألة: أيُّ المسجدين الذي أُسِّسَ على التقوى؟ مسجد قباء، أم مسجد النبي

ﷺ؟

قال تعالى: ﴿لَا نُقَمُّ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ

فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ مِثْلَ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وعن عويم بن ساعدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: «إِنَّ اللَّهَ

تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الثَّنَاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ

الَّذِي تَطْهُرُونَ بِهِ؟» قالوا: والله، يا رسول الله، ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من

اليهود فكانوا يغسلون أذبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا. (١)

فالحديث يفسر لنا الآية السابقة، وأن المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى هو

مسجد قباء.

وفي «صحيح مسلم برقم (١٣٩٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي

المسجدين الذي أُسِّسَ على التقوى؟ قال: فأخذ كفاً من حصباء، فضرب به

الأرض، ثم قال: «هو مسجدكم هذا» لمسجد المدينة.

(١) رواه أحمد (٤٢٢/٣)، وابن خزيمة برقم (٨٣)، والحاكم (١٥٥/١)، وفيه ضعف، إلا أن له شاهداً

عند الطبراني في «الكبير» (٥٦/١١) برقم (١١٠٦٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، و(٨/١٢١-

١٢٢) برقم (٧٥٥٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وعليه فالحديث يرتقي إلى درجة الحُسن.

والجمع: أن يقال: إن المسجدين كليهما أُسِّسا على التقوى من أول يوم.

قال شيخ الإسلام رحمته الله كما في "مجموع الفتاوى" (١٧/٤٦٨-٤٦٩): ثبت عنه في "الصحيحين" أنه كان يأتي قباء كل سبت راكبا وماشيا؛ وذلك أن الله أنزل عليه: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ وكان مسجده هو الأحق بهذا الوصف، وقد ثبت في "الصحيح" أنه سئل عن المسجد المؤسس على التقوى؟ فقال: «هو مسجدي هذا» يريد أنه أكمل في هذا الوصف من مسجد قباء ومسجد قباء أيضا أسس على التقوى وبسببه نزلت الآية؛ ولهذا قال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ مَحَبَّةً لِيَوْمَ تَكُونُ الْأُمَّمَاتُ لِرَجُلٍ مِنْ قَبْلِكَ يَتَّخِذُ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ وكان أهل قباء مع الوضوء والغسل يستنجون بالماء تعلموا ذلك من جيرانهم اليهود ولم تكن العرب تفعل ذلك فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يظن ظان أن ذاك هو الذي أسس على التقوى دون مسجده فذكر أن مسجده أحق بأن يكون هو المؤسس على التقوى، فقله: ﴿لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ يتناول مسجده ومسجد قباء ويتناول كل مسجد أسس على التقوى بخلاف مساجد الضرار. اهـ

وقال أبو الفداء إسماعيل بن كثير رحمته الله في "تفسيره": وقد ورد في الحديث الصحيح أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في جوف المدينة هو المسجد الذي أُسِّسَ على التقوى، وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية وبين هذا؛ لأنه إذا كان

مسجد قباء قد أُسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق
الأولى والأحرى. اهـ

قلت: وهذا الجمع هو ما اختاره العلامة حافظ رحمته الله؛ لذا قال: وإن كان
مسجده ﷺ الذي بالمدينة أُسس على التقوى من باب أولى.

س٣٧ / كَمْ أَقَامَ فِيهِمْ؟

ج/ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَقَامَ فِيهِمُ الْإِثْنَيْنِ، وَالثَّلَاثَاءَ، وَالْأَرْبَعَاءَ، وَالْخَمِيسَ ثُمَّ خَرَجَ الْجُمُعَةَ فَأَذْرَكَتَهُ الصَّلَاةُ: صَلَاةُ الْجُمُعَةِ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، وَهِيَ أَوَّلُ جُمُعَةٍ صَلَّاهَا بِالْمَدِينَةِ^(١)، وَ[بَنُو] ^[٢] عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ أَقَامَ فِيهِمْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

في "السيرة" لابن هشام (١/ ٣٧٠): ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك، فالله أعلم أي ذلك كان. اهـ

وتقدم قريباً أنه أقام عندهم أربع عشرة ليلةً كما في "صحيح البخاري" برقم (٣٩٣٢)، وانظر "فتح الباري" (٧/ ٢٤٤).

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَقَدِمَا قُبَاءَ لِإِثْنَيْ عَشَرَ
وَقَامَ فِيهِمْ بَضْعَ عَشْرَةَ وَقِيلَ
مِنْ ذَلِكَ الشَّهْرِ كَمَا قَدْ أُثِرَا
أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ ذَا بَقْلِيلٍ
تَقْوَى مِنْ اللَّهِ كَمَا قَدْ أَنْزَلَا

(١) انظر "تفسير القرطبي" (٢٠ / ٤٦١)، و"تاريخ الطبري" (٢ / ٣٩٤-٣٩٦).

[٢] في المخطوط: [بني]، وهو خطأ.

س ٣٨ / أَيْنَ نَزَلَ ﷺ بِالْمَدِينَةِ؟

ج / لَمَّا وَصَلَ الْمَدِينَةَ وَكُلُّ مِنَ الْأَنْصَارِ يَدْعُوهُ إِلَى النَّزُولِ عِنْدَهُ، فَقَالَ:

«دَعُوهَا - يَعْنِي نَاقَتَهُ-؛ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» ، حَتَّى بَرَكَتْ فِي مَكَانٍ مَسْجِدِهِ،

وَاحْتَمَلَ رَحْلَهُ أَبُو أَيُّوبَ خَالِدُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ فِي دَارِهِ حَتَّى

بَنَى مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

ذكره ابن هشام رحمته في «السيرة» (١ / ٤٩٤) بدون سند.

وقال الحافظ رحمته في «فتح الباري» (٧ / ٣٠٧): وعند الحاكم من طريق

إسحاق بن أبي طلحة عن أنس: جاءت الأنصار فقالوا: إيلينا يا رسول الله. فقال:

«دعوا الناقة؛ فإنها مأمورة»، فبركت على باب أبي أيوب...، وعند ابن عائد عن

الوليد بن مسلم، وعند سعيد بن منصور كلاهما -يعني ابن عائد وسعيد بن

منصور- عن عطف بن خالد أنها استناخت به أولاً، فجاءه ناس فقالوا: المنزل يا

رسول الله. فقال: «دعوها»، فانبعث حتى استناخت عند موضع المنبر من

المسجد، ثم تحلحلت، فنزل عنها، فأتاه أبو أيوب فقال: إن منزلي أقرب المنازل،

فأذن لي أن أنقل رحلك. قال: «نعم»، فنقل وأناخ الناقة في منزله. انتهى المراد.

قلت: أما إسناد الحاكم فلم أجده في «المستدرک»، ولكن الحافظ ابن كثير

ذكره في «البدایة والنهایة» (٤ / ٤٩٣)، وفي سنده: محمد بن سليمان بن أبي الورد،

لم أجده له ترجمة، وإبراهيم بن أبي صرمة قال فيه أبو حاتم: شيخ. كما في «الجرح

والتعديل» (٢ / ١٠٦).

وأما إسناد سعيد بن منصور فرواه البيهقي كما في "البداية والنهاية" (٥٠٠ / ٤) بالسند إلى عبد الله بن الزبير قال: ...، وذكره.

وفي سنده: صديق بن موسى الراوي عن ابن الزبير، قال الذهبي في "الميزان" (٤٣١ / ٣): وليس بالحجة، أضف إلى ذلك أنني لم أجد عند من ترجموا له ذكر سماع له من ابن الزبير.

وأما في "صحيح البخاري" برقم (٣٩٠٦) أنه ﷺ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ، فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكْتَ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًّا لِلتَّمْرِ، لِسَهْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامِينَ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرٍ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتُهُ: «هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ»، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ، لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا، فَقَالَا: لَا، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا، وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبْنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ، وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبْنَ:

«هَذَا الْجِمَالُ لَا جِمَالَ خَيْرُ هَذَا أَبْرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ»

وَيَقُولُ:

«اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ الْأَجْرُ الْآخِرَهُ فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَالْمُهَاجِرَةَ»

وفي "البخاري" أيضًا برقم (٣٩٣٢) عن أنس رضي الله عنه قال: ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَيَّ مَلَائِكَةُ النَّجَّارِ، قَالَ: فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي سُيُوفِهِمْ. قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ

رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رَدَفَهُ، وَمَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ، حَتَّى أَلْقَى بِنِيفَاءِ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ:
 فَكَانَ يُصَلِّي حَيْثُ أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ، وَيُصَلِّي فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِنِيفَاءِ
 الْمَسْجِدِ، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ مَلَأُ بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا، فَقَالَ: «يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامُنُونِي
 حَائِطُكُمْ هَذَا» فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ، لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ. قَالَ: فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ
 لَكُمْ، كَانَتْ فِيهِ قُبُورُ الْمُشْرِكِينَ، وَكَانَتْ فِيهِ خَرْبٌ، وَكَانَ فِيهِ نَخْلٌ، فَأَمَرَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُبِشَتْ، وَبِالْخَرْبِ فَسُوِّتَتْ، وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ، قَالَ:
 فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبَلَةَ الْمَسْجِدِ، قَالَ: وَجَعَلُوا عِضَادَتِيهِ ^(١) حِجَارَةً. الْحَدِيثُ.

فائدة:

قال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٢٣٢/٧): قوله «بحائطكم»، أي:
 بستانكم، وقد تقدم في الباب قبله أنه كان مربدًا؛ فلعله كان أو لا حائطًا ثم خرب
 فصار مربدًا، ويؤيده قوله: إنه كان فيه نخل وخرب. وقيل: كان بعضه بستانًا
 وبعضه مربدًا. اهـ

وقال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٣٠٧/٧): (مربدًا) بكسر الميم وسكون
 الراء وفتح الموحدة هو الموضع الذي يجف فيه التمر، وقال الأصمعي: المربد
 كل شيء حبست فيه الإبل أو الغنم، وبه سُمِّيَ مربد البصرة؛ لأنه كان موضع
 سوق الإبل. اهـ

وقد فرح أهل المدينة بمقدمه رحمته الله أيما فرح، وسُرُّوا أيما سرور؛ فصعد

(١) بكسر المهملة، وتخفيف المعجمة: تثنية عضادة، وهي الخشبة التي على كتف الباب، ولكل باب
 عضادتان، وأعضاد كل شيء ما يشد جوانبه. "فتح الباري" (٣٣٩/٧).

النساء فوق البيوت، وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون: يا محمد، يا رسول الله، يا محمد، يا رسول الله. (١)

قال أنس رضي الله عنه: إِنِّي لَأَسْعَى فِي الْغِلْمَانِ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ. فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ. فَأَسْعَى فَلَا أَرَى شَيْئًا، حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَصَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، فَكُنَّا فِي بَعْضِ خَرَابِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ بَعَثَا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لِيُؤْذِنَ بِهِمَا الْأَنْصَارَ، فَاسْتَقْبَلَهُمَا زُهَاءُ خَمْسِمَائَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِمَا، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: انْطَلَقَا آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَصَاحِبُهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، حَتَّى إِنَّ الْعَوَاتِقَ لَفَوْقَ الْبُيُوتِ، يَتَرَاءَيْنَهُ، يَقُلْنَ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ أَيُّهُمْ هُوَ؟ قَالَ: فَمَا رَأَيْنَا مَنْظَرًا شَبِيهَا بِهِ يَوْمَئِذٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ عَلَيْنَا وَيَوْمَ قُبِضَ، فَلَمْ أَرِ يَوْمَيْنِ شَبِيهَا بِهِمَا. (٢)

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم. (٣)

قال أنس رضي الله عنه: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء. (٤)

(١) رواه مسلم (١٣١١/٤) عقب حديث رقم (٢٠٠٩).

(٢) رواه عبد بن حميد في "المنتخب" (٢٦٦/٢) برقم (١٢٦٧)، وهو صحيح، وصححه شيخنا الوداعي رحمته الله في "الجامع الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٥/١٩٠-١٩١).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٧٠٩).

(٤) رواه الترمذي برقم (٣٦١٨)، وابن ماجه برقم (١٦٣١)، وإسناده حسن، وحسنه شيخنا الوداعي =

وعندما قدم النبي ﷺ وصحابته كانت المدينة في ذلك الحين ذات وباء، وكان وياؤها معروفاً حتى في الجاهلية، فَوَعَكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ لَذَا تَقُولُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ، قَالَتْ: فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ وَيَا بِلَالُ كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَتْ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِيٍّ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ
وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُفْلِعَ عَنْهُ يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ (١) فَيَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَ لَيْلَةً
وَهَلْ أَرَدَنَ يَوْمًا مِيَاهَ مَجْتَنَةٍ
بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْ خِرُّ وَجَلِيلُ
وَهَلْ تَبْدُونَ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحَّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا، وَأَنْقُلْ حُمَاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ» (٢).

قال الحافظ رحمه الله: قوله: (وجليلة) بالجيم نبتٌ ضعيفٌ يُحْسَى به خصائص البيوت وغيرها.

= رحمه الله في "الجامع الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (١٩٠/٥)، وقال رحمه الله: الإضاءة كناية

عن الفرح والسرور الذي حصل للمسلمين عند دخول رسول الله ﷺ. اهـ.

(١) أي: رفع صوته. قيل: أصله أن رجلاً قُطِعَتْ رجله فكان يرفع المقطوعة على الصحيحة ويصيح من شدة وجعها بأعلى صوته، فقيل لكل رافع صوته: رفع عقيرته. "النهاية" (٢/٢٣٦) مادة: عقر.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٩٢٦).

قوله: (مجنة) بالجيم موضع على أميال من مكة وكان به سوق. (١)

وشامة وطفيل: جبلان بقرب مكة، وقال الخطابي: كنت أحسب أنهما جبلان حتى ثبت عندي أنهما عينان. اهـ

قلت: ومن بداية مَقْدَمِهِ أَرْحُوا التاريخ؛ لذا قال سهل بن سعد رضي الله عنه: ما عدوا من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولا من وفاته، ما عدوا إلا من مَقْدَمِهِ المدينة. (٢)

وابتداء ذلك من محرم، قال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٣٤٢/٧): لَأَنَّ ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم؛ إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة، وهي مقدّمة الهجرة، فكان أول هلال استهلّ بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم؛ فناسب أن يجعل مبتدأً، وهذا أقوى ما وقفت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرم... اهـ.

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

(١) قال الأصمعي: وكانت مجنة بمّر الظهران قُرب جبل يقال له: الأصفر، وهو بأسفل مكة على قدر بريد منها، وكانت تقوم عشرة أيام من آخر ذي القعدة والعشرين من قبلها سوق عكاظ، وبعد مجنة سوق ذي المجاز ثمانية أيام من ذي الحجة، ثم يُعرفون في التاسع إلى عرفة...، وماء مجنة عذب يضرب بعدوبته المثل، وأهل مر الظهران يحرصون على أكل الرز المعدوس المطبوخ بماء بحرة؛ ولعله سر تغني بلال رضي الله عنه بماء مجنة. "معجم معالم الحجاز" (١٥٠٧-١٥٠٨).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٩٣٤).

وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ الرَّسُولُ فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ خَالِدِ الْوَفِيِّ
 وَلَمْ يَزَلْ فِي دَارِهِ حَتَّى بَنَّا مَسْجِدَهُ وَالْحُجُرَاتِ سَاكِنًا
 وَكَانَ فِي ذَلِكَ لِلْأَنْصَارِ فِي الدُّنْيَا وَالدُّنْيَا عَلَى الْفَخَّارِ
 وَفُضِّلَتْ بِذَلِكَ الْمَدِينَةَ فِي الْأَرْضِ لَا عَن مَكَّةَ الْأَمِينَةَ

س ٣٩ / إِلَى كَمِ انْقَسَمَ النَّاسُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ؟

ج / أَمَا فِي مَكَّةَ فَبَيْنَ كَافِرٍ مُحَارِبٍ، وَمُؤْمِنٍ مُسْتَضْعَفٍ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْ الْهَجْرَةِ، وَأَمَا فِي الْمَدِينَةِ فَبَيْنَ مُؤْمِنٍ يُوَالِي فِي اللَّهِ وَيُعَادِي فِيهِ، وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، وَيَبْنِي مَعَانِدَ مُسْتَكْبِرٍ وَهُمْ الْيَهُودُ، وَيَبْنِي مَنَافِقٍ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا: آمَنَّا. وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ. ﴿١﴾

﴿١﴾ نصبت أحبار يهود العداوة للنبي ﷺ بغياً وحسداً، وسحره لبيد بن الأعصم، وهو من يهود بني زريق، فكان يخيل إليه أنه يفعل الفعل وهو لا يفعله، وجعل سحره في مشط ومشاطة، ودفنه تحت راعوفة^(١) البئر، كما ثبت في "الصحيح"، وليس هذا بقادح في النبوة؛ فإن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يُبْتَلَوْنَ فِي أَبْدَانِهِم بِالْجِرَاحَاتِ وَالسَّمُومِ وَالْقَتْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا جَوَّزَهُ الْعُلَمَاءُ عَلَيْهِمْ.

وانضاف إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج، منافقون، على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث، إلا أنهم قُهِرُوا بِظُهُورِ الْإِسْلَامِ، فَأَظْهَرُوهُ وَاتَّخَذُوهُ جُنَّةً مِنَ الْقَتْلِ، وَنَافَقُوا فِي السَّرِّ، مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنِي سَلُولٍ، وَكَانَ رَأْسَ الْمَنَافِقِينَ، وَهُوَ الْقَائِلُ: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. كَمَا سَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمَصْطَلِقِ. ﴿٢﴾

(١) هي صخرة تترك في أسفل البئر إذا حُفرت تكون ناتئةً هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المنقي عليها. "النهاية" (١/٦٦٦) مادة: رَعَفَ.

(٢) "المواهب اللدنية" (١/٣٣٢-٣٣٣).

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

وَأَظْهَرَ الْيَهُودَ لِلشَّقَاقِ وَبَيْنَ مُجَاهِرٍ وَذِي نَفَاقِ
 حَتَّى اسْتَفْزُوا مَنْ عَلَيْهِ قَدِرُوا وَجَحَدُوا مَا عِنْدَهُمْ مُسْطَرًّا
 مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ فِي التَّوْرَةِ وَأَنَّهُ بِدُونِ شَكِّ آتِ
 فَشَاهَدُوا الْحَقَّ وَعَنْهُ أَنْصَرَفُوا وَأَنكَرُوا بِالْبَغْيِ مَا قَدْ عَرَفُوا
 وَهُمْ قُرَيْظَةٌ كَذَا النَّضِيرُ وَقَيْنَتْ قَاعُ كُلِّهِمْ مَبِيرُ
 فَانْتَقَمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ كَمَا سَيَأْتِي مَا نُقِصُ عَنْهُمْ
 بِالسَّيِّئِ وَالْجَلَاءِ وَالْإِذْلَالِ وَقَتْلِ آخِرِينَ فِي الْأَغْلَالِ

س ٤٠ / مَاذَا شُرِعَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهَجْرَةِ مِنَ الْعِبَادَاتِ؟

ج / كَانَ فِيهَا اسْتِقْبَالُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا.

قال البخاري رحمته الله في "صحيحه" برقم (٤٠): حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ: أَحْوَالِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ. وَأَنَّهُ صَلَّى قَبْلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا. ... الحديث.

ورواه مسلم برقم (٥٢٥): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَأَبُو بَكْرِ بْنُ خَلَادٍ، جَمِيعًا عَنْ يَحْيَى، قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ سُفْيَانَ، حَدَّثَنِي أَبُو إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، يَقُولُ: صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ صُرِفْنَا نَحْوَ الْكَعْبَةِ.

وقال مسلم أيضًا برقم (٥٢٥): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو الْأَحْوَصِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا. حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي فِي الْبَقْرَةِ ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

فالحديث الأول في "الصحيحين" فيه: ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا.

بالشك.

وعند مسلم: ستة عشر شهرًا. بالجزم.

وجمع الحافظ ابن حجر رحمته الله في "فتح الباري" (١/١٢٨) فقال: قوله: (سته عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً) كذا وقع الشك في رواية زهير هذه هنا -يعني عند البخاري- وفي الصلاة أيضاً عن أبي نعيم عنه، وكذا في رواية الثوري عنده، وفي رواية إسرائيل عند المصنف وعند الترمذي أيضاً.

ورواه أبو عوانة في "صحيحه" عن عمار بن رجاء وغيره عن أبي نعيم، فقال: ستة عشر. من غير شك، وكذا لمسلم من رواية أبي الأحوص، وللنسائي من رواية زكريا بن أبي زائدة وشريك، ولأبي عوانة أيضاً من رواية عمار بن رزيق بتقديم الراء مصغراً، كلهم عن أبي إسحاق، وكذا لأحمد بسند صحيح عن ابن عباس، وللبزار والطبراني من حديث عمرو بن عوف: سبعة عشر. وكذا للطبراني عن ابن عباس.

والجمع بين الروایتين سهل: بأن يكون من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهراً وألغى الزائد، ومن جزم بسبعة عشر عدما معاً، ومن شك تردد في ذلك، وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف^(١)، وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس، وقال ابن حبان: سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام. وهو مبني على أن القدوم كان في ثاني عشر شهر ربيع الأول، وشذت

(١) وأخروا التاريخ إلى محرم ولم يجعلوا ابتداءه من ربيع؛ لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم فناسب أن يجعل مبتدأ، وقد تقدم الكلام عليه قريباً.

أقوال أخرى: ففي "ابن ماجه" من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق في هذا الحديث: ثمانية عشر شهراً. وأبو بكر سيء الحفظ، وقد اضطرب فيه، فعند ابن جرير من طريقه في رواية: سبعة عشر. وفي رواية: ستة عشر. وخرجه بعضهم على قول محمد بن حبيب أن التحويل كان في نصف شعبان، وهو الذي ذكره النووي في "الروضة" وأقره مع كونه رجح في شرحه لـ"مسلم" رواية: ستة عشر شهراً؛ لكونها مجزوماً بها عند مسلم، ولا يستقيم أن يكون ذلك في شعبان إلا إن ألغي شهري القدوم والتحويل، وقد جزم موسى بن عقبة بأن التحويل كان في جمادى الآخرة، ومن الشذوذ أيضاً رواية: ثلاثة عشر شهراً، ورواية: تسعة أشهر، أو عشرة أشهر، ورواية: شهرين. ورواية: سنتين. والاعتماد على القول الأول، فجملة ما حكاه: تسع روايات. اهـ

وَفِيهَا فُرِضَ الْجِهَادُ^(١)، وَفِيهَا أُنْمِتَ الرَّبَاعِيَّةُ فِي الْحَضَرِ^(٢) ثَانِي عَشَرَ مِنْ رِيْعِ
الْآخِرِ، وَفِيهَا شُرِعَ الْأَذَانُ لِمَوَاقِيْتِ الصَّلَوَاتِ.^(٣)

قالت عائشة رضي الله عنها: فُرِضَتِ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَكَّةَ رَكَعَتَيْنِ، فَلَمَّا
قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَرَضَتْ أَرْبَعًا، وَأَقْرَتِ الصَّلَاةَ فِي السَّفَرِ رَكَعَتَيْنِ.^(٢)

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ
فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَوَاتِ وَلَيْسَ يُنَادِي بِهَا أَحَدٌ، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ:
اتَّخِذُوا نَافُوسًا مِثْلَ نَافُوسِ النَّصَارَى. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَرْنَا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ. فَقَالَ
عُمَرُ: أَوْلَا تَبْعُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا بَلَالُ، قُمْ فَنادِ
بِالصَّلَاةِ».^(٣)

قال الحافظ رحمته الله في «فتح الباري» (٢/٩٩): واختلف في السنة التي فرض
فيها، والراجح أن ذلك في السنة الأولى... اهـ.

تنبيه: وردت أحاديث تدل على أن الأذان شرع بمكة قبل الهجرة، ذكرها
الحافظ رحمته الله وبين ضعفها في «فتح الباري» (٢/١٠٠).

قال الشيخ حافظ رحمته الله:

(١) انظر «زاد المعاد» (٣/٦٩-٧١).

(٢) رواه أبو عوانة برقم (١٣٢٨)، وهو صحيح، وأصله في «الصحيحين».

(٣) متفق عليه.

وَبَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ لِيَثْرَبَا
لِيُدْخِلَ الْعِبَادَ فِي الْإِسْلَامِ
حَتَّى لَهُ أَنْقَادُوا وَفِيهِ دَخَلُوا
وَمُبْتَدَا التَّارِيخِ فِي الْإِسْلَامِ
سَبْعَةَ عَشَرَ أَوْ ثَمَانِ عَشَرَ
عَلَيْهِمُ الْجِهَادُ فَرَضًا كُتِبَا
طَوْعًا وَكَرْهًا دُونَ مَا مَلَامِ
وَنَكَّسُوا أَعْدَاءَهُ وَزَلْزَلُوا
مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ وَذَا فِي عَامِ
فِي دَوْلَةِ الْفَارُوقِ كَانَ [فَادِر] [١]

[١] كلمة مطموسة في المخطوط، وصوبها شيخنا الفيافي رحمته الله تعالى من نسخته بعدما تأمل فيها من نسخته عندما عرضتها عليه.

س٤١ / كَمْ وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا؟

ج / سَرِيَّةٌ ① حَمْزَةٌ فِي ثَلَاثِينَ مُهَاجِرِيًّا مُعْتَرِضًا عَيْرَ قُرَيْشٍ فِي رَمَضَانَ (١)،
وَسَرِيَّةٌ عُيَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ فِي سِتِّينَ مُهَاجِرِيًّا فِي رَابِعِ مِنْ شَوَّالٍ (٢) ②،
وَسَرِيَّةٌ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ فِي عِشْرِينَ مُهَاجِرِيًّا مُعْتَرِضًا عَيْرَ قُرَيْشٍ
فِي ذِي الْقَعْدَةِ. (٣)

① السَّرِيَّةُ: بفتح المهملة، وكسر الراء، وتشديد التحتانية هي التي تخرج بالليل، والسارية التي تخرج بالنهار. وقيل: سميت بذلك لأنها تخفي ذهابها، وهذا يقتضي أنها أخذت من السر، ولا يصح؛ لاختلاف المادة، وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود، وهي من مائة إلى خمسمائة، فما زاد على خمسمائة يقال له: منسر بالنون والمهملة؛ فإن زاد على الثمانمائة سُمِّيَ جيشًا، وما بينهما يسمي هبطة؛ فإن زاد على أربعة آلاف يُسَمَّى جحفلاً؛ فإن زاد فجيش جرار، والخميس الجيش العظيم، وما افترق من السرية يسمي بعثًا، فالعشرة فما بعدها تسمى حفيرة، والأربعون عصابة، وإلى ثلاثمائة مقنب بقاف ونون، ثم موحدة؛ فإن زاد سُمِّيَ جمرًا بالجيم، والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر. انتهى من "فتح الباري" (٧٠ / ٨).

② وعند ابن سعد أنها في شوال، وعند ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" أنها في ربيع الأول.

(١) "الطبقات" لابن سعد (٦/٢) و"السيرة" لابن هشام (٢/٢٨١) بدون سند.

(٢) "الطبقات" (٦/٢)، و"السيرة" لابن هشام (٢/٢٧٦) بدون سند.

(٣) "المغازي" (١١/١) من طريق الواقدي، "الطبقات" (٧/٢).

س٤٢ / مَادَا وَقَعَ فِيهَا مِنْ الْحَوَادِثِ؟

ج / مِمَّا وَقَعَ فِيهَا: بِنَاءُ الْمَسْجِدِ ، وَالْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ
وَالْأَنْصَارِ ، وَبِنَاءُ النَّبِيِّ ﷺ بِعَائِشَةَ فِي سُؤَالٍ

تقدم الكلام عليه قريباً.

قال أنس رضي الله عنه: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَأَخَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ. (١)

وكانت المؤاخاة في بداية الهجرة على التوارث، ثم نسخت وبقيت مؤاخاة
المواساة والمؤازرة والنصرة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المهاجرون لما قدموا
على النبي ﷺ المدينة ورث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمة؛ للأخوة التي
أخى النبي ﷺ بينهم، فلما نزلت ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ﴾ [النساء: ٣٣] نسخت، ثم
قال: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ﴾ إلا النصرة والرفادة والنصيحة، وقد ذهب
الميراث ويوصي له. (٢)

قالت عائشة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله ﷺ لست سنين وبنيت بي وأنا بنت
تسع سنين. (٣)

(١) رواه البخاري برقم (٢٢٩٣)، وانظر "صحيح مسلم" برقم (٢٥٢٨)، و(٢٥٢٩).

(٢) وانظر "فتح الباري" (٤/٢٦٣) برقم (١٩٦٨)، و(٥٩٧) رقم (٢٢٩٥).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٨٩٤)، ومسلم برقم (١٤٢٢).

وَكَانَ عَقْدَ بِهَا وَبِسُودَةَ فِي مَكَّةَ (١) قَبْلَ ذَلِكَ بِسَنَتَيْنِ، وَفِيهَا اعْتَلَّ الْمُهَاجِرُونَ بِحُمَى الْمَدِينَةِ، وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِرَفْعِهَا وَنَقَلَ وَبَاءَ الْمَدِينَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ. ①

تقدم الكلام على ذلك في التعليق على السؤال رقم (٣٨). ①

قال الشيخ حافظ رحمه الله:

وَاسْتَقْبَلُوا الْمُقَدِّسَ (٣) عِنْدَمَا ابْتَدِيَ	فِي صَدْرِهَا (٢) كَانَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ
بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ	كَذَا الْمَوَاقِفِ [٤] بِالْأَنْكَارِ
وَالنَّصْفُ أَهْلُ هِجْرَةِ الْمُخْتَارِ	يَسْعُونَ نَصْفُهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ
فِي شَهْرِ شَوَّالٍ فَخُذْ تَحْقِيقَهُ	وَقَدْ بَنَى الرَّسُولُ بِالصِّدِّيقِ
بِسَنَتَيْنِ بَعْدَ سُودَةَ خُذَا	وَكَانَ عَقْدُهُ بِهَا مِنْ قَبْلِ ذَا
ثَانِي عَشْرٍ مِنْ رَيْعِ الْآخِرِ	كَذَاكَ زَيْدٌ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ
عِنْدَ الْمَوَاقِفِ بِالْأَنْكَارِ	كَذَاكَ مَشْرُوعِيَّةُ الْأَذَانِ
فِي رَمَضَانَ دُونَمَا نَكِيرِ	وَفِيهِ بَعَثَ حَمْرَةَ لِلْعَيْرِ
فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ شَخْصٌ عَلِمَا	وَهُمْ ثَلَاثُونَ مُهَاجِرُونَ مَا
رَابِعَ كَانَ بَعَثَهُ قَدْ نَقَلَا	ثُمَّ عِيْدَةَ بِشَوَّالٍ إِلَى

(١) انظر "السيرة" لابن إسحاق (ص ٢٧٩).

(٢) يعني السنة الأولى.

(٣) وقع في المطبوع: (القبلة) بدل: (المقدس).

[٤] في المخطوط: [المؤخات].

سِتُّونَ كُلُّهُمْ مَهَّاجِرِيٌّ مَا فِيهِمْ وَيُذْكَرُ أَنْصَارِيٌّ
وَبَعَثُ سَعْدٍ كَانَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مُعْتَرِضًا [عِيرًا لِأَهْلِ] مَكَّةِ
وَمَعَهُ عِشْرُونَ رَاجِلًا^[١] وَهُمْ فِيمَا رُوِيَ مَهَّاجِرُونَ كُلُّهُمْ
وَأَخْرُونَ ذِي السَّرَايَا ذَكَرُوا ثَانِي عَامَ ذَا لَدَيْهِمْ يُؤْتَرُ^(٢)

[١] في المخطوط: [رجالاً] بدل: (رجالاً).

(٢) سيأتي ذلك في السنة الثانية من الهجرة.

س٤٣ / مَادَا شُرِعَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْعِبَادَاتِ؟

ج / فِيهَا شُرِعَ اسْتِقْبَالُ الْكَعْبَةِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، نِصْفِ شَعْبَانَ ^(١) ، وَأَنْكَرَ الْيَهُودُ ذَلِكَ سَفَاهَةً مِنْهُمْ. ^(٢)

^(١) على قول محمد بن حبيب أن التحويل كان في نصف شعبان، وهو الذي ذكره النووي في "الروضة"، وأقره مع كونه رجح خلافه في "شرح صحيح مسلم". انتهى بتصرف يسير جداً.

وقال أيضاً في "فتح الباري" (١ / ١٢٠): وكان التحول في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح، وبه جزم الجمهور... اهـ. ^(١)

^(٢) قال العماد بن كثير رحمته الله في "تفسيره" (٢ / ١١٠): ولما وقع هذا حصل لبعض الناس من أهل النفاق والريب والكفرة من اليهود ارتيابٌ وزيفٌ عن الهدى وتخيط وشك، وقالوا: ﴿مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢]، أي: قالوا: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا؟! فأنزل الله جوابهم في قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾، أي: الحكم والتصرف والأمر كله لله، ﴿فَأَيُّنَمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، و﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، أي: الشأن كله في امثال أوامر الله، فحيثما وجهنا توجهنها،

(١) وانظر التعليق على السؤال رقم (٤٠)، و"تاريخ خليفة" (ص ٦٤)، و"الطبقات" لابن سعد (١ / ٢٤٢).

فالتطاعة في امتثال أمره، ولو وجهنا في كل يوم مرات إلى جهات متعددة، فنحن عبيده وفي تصرفه وخُدمائمه، حيثما وجَّهنا توجَّهنا، وهو تعالى له بعده ورسوله محمد -صلوات الله وسلامه عليه- وأُمَّته عناية عظيمة؛ إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم، خليل الرحمن، وجعل توجَّههم إلى الكعبة المبنية على اسمه تعالى وحده لا شريك له، أشرف بيوت الله في الأرض؛ إذ هي بناء إبراهيم الخليل عليه السلام؛ ولهذا قال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. اهـ

وَفِيهَا فُرْضَ صَوْمُ رَمَضَانَ ، وَكَانَ الْمَفْرُوضُ قَبْلَهُ عَاشُورَاءَ ، وَفِيهَا فُرِضَتْ زَكَاةُ الْفِطْرِ ^(١) ، وَشُرِعَتْ صَلَاةُ الْعِيدِ ^(٢) ، وَفِيهَا فُرِضَتْ زَكَاةُ الْأَمْوَالِ ^(٣) ، وَهِيَ ذَاتُ النَّصْبِ الْمَفْرُونَةِ بِالصَّلَاةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ .

قال الإمام الطبري رحمته الله في "تاريخ الأمم والملوك" (٣٠٤ / ٢) في حوادث السنة الثانية الهجرية: وفي هذه السنة فرض - فيما ذكر - صوم رمضان، وقيل: إنه فرض في شعبان. انتهى المراد. ^(٤)

قالت عائشة رضي الله عنها: كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض شهر رمضان قال: «من شاء صامه، ومن شاء تركه». ^(٥)

وفرضية الصيام كانت على مراحل:

الأولى: صيام عاشوراء، كما تقدم.

الثانية: صيام رمضان، لكنه كان على سبيل التخيير لا الوجوب، فمن شاء صام، ومن شاء أفطر وأطعم مسكيناً مكان ذلك اليوم الذي أفطر فيه، قال تعالى:

(١) انظر "تاريخ الطبري" (٢ / ٣٠٥)، و"الطبقات" (١ / ٢١٣-٢١٤).

(٢) انظر "تاريخ الطبري" (٢ / ٣٠٥)، و"الطبقات" (١ / ٢١٣-٢١٤).

(٣) انظر "الطبقات" (١ / ٢١٣-٢١٤).

(٤) وانظر "المجموع" (٦ / ٢٥١)، و"مجموع الفتاوى" (٧ / ٦٠٦)، و"زاد المعاد" (٢ / ٣٠).

(٥) رواه البخاري برقم (١٨٩٣)، ومسلم برقم (١١٢٥).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾
 [البقرة: ١٨٣]، إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا
 فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۖ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤].

الثالثة: ثم نسخ التخيير إلى الوجوب، قال تعالى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى
 لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

س٤٤ / مَادَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْعَزَوَاتِ؟

ج / فِيهَا عَزْوَةٌ الْأَبْوَاءِ فِي شَهْرِ صَفَرٍ^(١) ، ثُمَّ عَزْوَةٌ بُوَاطٍ فِي رَيْبَعِ الْأَوَّلِ^(٢) ..

على رأس اثني عشر شهرًا من مهاجره وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان لواء أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن عباد، وخرج في المهاجرين ليس فيهم أنصاري حتى بلغ الأبواء^(١) يعترض لعير لقريش فلم يلق كيدًا، وهي غزوة ودان^(٢).

على رأس ثلاثة عشر شهرًا من مهاجره، وحمل لواءه سعد بن أبي وقاص، وكان لواء أبيض، واستخلف على المدينة سعد بن معاذ، وخرج في مائتين من أصحابه يعترض لعير لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي، ومائة رجل من قریش، وخمسائة بعير، فبلغ بواط وهي جبال من جبال جهينة من ناحية رضوى، وهي قريبة من ذي خشب مما يلي طريق الشام، وبين بواط والمدينة نحو من أربعة برد^(٣) ، فلم يلق رسول الله ﷺ كيدًا فرجع المدينة^(٤).

(١) الأبواء قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلًا. وقيل: الأبواء جبل على يمين آرة، ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة. قال السكري: الأبواء جبلٌ شامخٌ مرتفعٌ ليس عليه شيء من النبات غير الخزم والبشام، وهو لخزاعة وضمرة. "معجم معالم الحجاز" (١/ ٤٤-٤٥).

(٢) "الطبقات" (٧/٢) بدون سند، وانظر "سيرة ابن هشام" (٢/٢٠٣)، و"زاد المعاد" (٣/١٦٤).
ودان: موضع بين مكة والمدينة، وهي قرية جامعة من نواحي الفرع بينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال، قريبة من الجحفة، وهي لضمرة وغفار وكنانة. "معجم معالم الحجاز" (٩/١٨٠٠).

(٣) الأربعة برد هي ستة عشر فرسخًا، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة آلاف ذراع. "النهاية" (١/١٢٢) مادة: بَرَدَ.

(٤) "الطبقات" (٨/٢)، ابن هشام (٣/٢١٠).

ثُمَّ غَزَوَهُ [العَشِيرَةُ] فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ^[١]، ثُمَّ غَزَوَهُ بَدْرَ الْأُولَى^(١)، ثُمَّ غَزَوَهُ
بَدْرَ الْكُبْرَى^(٢) يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ.....

ذو العشيرة، ويقال: العُشَيْر، وذات العشيرة والعُشَيْر، وهو موضع من بطن
يَنْبُع. «النهاية» (٢/ ٢١٠) مادة: عَشَرَ.

وكانت في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من مهاجره، وحمل لواءه
حمزة بن عبد المطلب، وكان لواء أبيض، واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد
الأسد المخزومي، وخرج في خمسين ومائة، ويقال: في مائتين من المهاجرين ممن
انتدب، ولم يُكْرِه أحداً على الخروج، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها، خرج
يعترض لعير قريش....^(٢)

وذلك أن كرز بن جابر الفهري أغار على سرح المدينة، فطلبه فبلغ وادياً
يقال له: سفوان من ناحية بدر، ففاته كرز، فرجع وقد استخلف على المدينة زيد
ابن حارثة.^(٣)

بدر قرية مشهورة، نُسِبَتْ إِلَى بَدْرِ بْنِ مَخْلَدِ بْنِ النُّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، كَانَ نَزَلَهَا،
ويقال: بدر بن الحارث، ويقال: بدر: اسمُ البئر التي بها سُمِّيتَ بذلك لاستدارتها،

[١] ما بين المعقوفتين كُتِبَ فِي حَاشِيَةِ الْمَخْطُوطِ الْيَسْرِيِّ وَهُوَ غَيْرُ وَاضِحٍ.

(٢) «الطبقات» (٩/ ٢)، وانظر «السيرة» لابن هشام (١/ ٤٦١) بدون سند.

(٣) «السيرة» لابن هشام (١/ ٤٦٣)، «الطبقات» (٨/ ٢) بدون سند، وانظر كذلك «الفصول في سيرة
الرسول» لابن كثير (ص ٨٨).

أو لصفاء مائها، فكان البدر يُرى فيها، وحكى الواقدي إنكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بني غفار، وإنما هي مأوانا ومنازلنا، وما ملكها أحد قط يقال له: بدر، وإنما هو علمٌ عليها كغيرها من البلاد.^(١)

(١) قاله الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٧/ ٣٦٢).

فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ (١)، وَكَانَتْ الْوَقْعَةُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْهُ، وَفِيهَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْفَالِ بِكَمَالِهَا، وَفِيهَا حُكْمُ الْفَيْءِ وَالْغَنِيمَةِ

والأنفال هي الغنائم التي ينفلها الله لهذه الأمة من أموال الكفار. (٢)
لأن حكمها في ذلك اليوم ما كان قد شرع؛ فحصل بسبب ذلك خلاف بين الصحابة رضوان الله عليهم.

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا، فَالْتَقَى النَّاسُ، فَهَزَمَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ، فَأَكْبَتِ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ يَحْوُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لَا يُصِيبُ الْعَدُوَّ مِنْهُ غِرَّةٌ، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ وَفَاءَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْغَنَائِمَ: نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا؛ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيبٌ. وَقَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ نَقِينَا عَنْهَا الْعَدُوَّ وَهَزَمْنَاهُمْ. وَقَالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخِفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوَّ مِنْهُ غِرَّةٌ وَاشْتَغَلْنَا بِهِ. فَنَزَلَتْ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١]، فَفَسَمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى فُوقٍ (٣) بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ... الحديث. (٤)

(١) انظر "الطبقات" (١١ / ٢).

(٢) "تيسير الكريم الرحمن" (ص ٣١٥).

(٣) على فُوق، أي: قسمها في قُدر فُوق ناقة، وهو ما بين الحلبتين من الراحة، وتُصمُّ فَاوَهُ وتُفْتَحُ، وقيل: أراد التفضيل في القسمة، كأنه جعل بعضهم أفرق من بعض على قدر غنائمهم وبلاتهم. "النهاية" (٤٠٠ / ٢) مادة: فُوق.

(٤) رواه أحمد (٣٢٤ / ٥)، وهو حديث حسن بشواهده، وانظر "أسباب النزول" (ص ١١٠-١١١) لشيخنا الوداعي رحمته الله، وتعليق الألباني على "فقه السيرة" (ص ٢٣٤).

وَالْأَسْرَى ^(١) ، وَكَانَتْ عِدَّةٌ مِنْ شَهَدَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ ...

يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه في حديثه عن غزوة بدر: فَلَمَّا أَسْرُوا الْأَسْرَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «مَا تَرُونَ فِي هَؤُلَاءِ الْأَسْرَى؟»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ؛ أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونَ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟»، قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمْكِنَّا فَتَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمْكِنَ عَلَيْنَا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمْكِنَ مِنْ فُلَانٍ -نَسِيبًا لِعُمَرَ- فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا. فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ... الحديث. ^(١)

قال البراء رضي الله عنه: كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرِ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ -وَلَمْ يَجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مَوْءٌ مِنْ- بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثِمِائَةً. ^(٢)

وسبب هذه الغزوة أنه بلغ النبي ﷺ أن عيرا لقريش عزيمة فيها أموال كثيرة مقبلة من الشام إلى مكة فيها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش عميدهم أبوسفیان ^(٣) ، فاستنفر رسول الله ﷺ من أصحابه من كان ظهره حاضراً ولم يستنفر

(١) رواه مسلم برقم (١٧٦٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٩٥٨).

(٣) "جوامع السيرة" (ص ٨١).

الجميع وإنما قال لهم ﷺ: «من كان ظهره حاضرًا فليركب معنا»، فجعل رجال يستأذنون في ظُهُرَانِهِمْ أنهم في علو المدينة، فقال: «لا، إلا من كان ظهره حاضرًا»، فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه... الحديث. (١)

ولمَّا علم أبو سفيان بذلك استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشًا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه، فخرج ضمضم سريعًا إلى مكة. (٢)

فتجهز الناس سراعًا...، فكانوا بين رجلين: إما خارج، وإما باعث مكانه رجلًا، وأوعبت (٣) قريش فلما يتخلف من أشرافها أحدٌ إلا أن أبا لهب بن عبد المطلب تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة، وكان قد لاط (٤) له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه، أفلس بها فاستأجره بها على أن يجزئ عنه بعثه، فخرج عنه وتخلف أبو لهب. (٥)

فَلَمَّا وَصَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ بَدْرًا وَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ (٦)، وَفِيهِمْ

(١) رواه مسلم برقم (١٩٠١).

(٢) «السيرة» لابن هشام (١/٤٦٧-٤٦٨) بإسناد حسن.

(٣) أي: لم يتخلف منهم أحدٌ. «النهاية» (٢/٨٦٤) مادة: وَعَبَّ.

(٤) لَطَّ الغريم وألَطَّ إذا منع الحق. «الغريبين» (٥/١٦٨٨) للهرودي.

(٥) «السيرة» لابن إسحاق كما في «ابن هشام» (١/٤٧٠) بإسناد فيه مبهم.

(٦) أي: إبلهم التي كانوا يستقون عليها. نووي.

عَلَامٌ أَسْوَدُ لِنَبِيِّ الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَصْحَابِهِ؟ فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمِيَّةُ بِنُ خَلْفٍ. فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمِيَّةُ بِنُ خَلْفٍ فِي النَّاسِ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرَكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ». (١)

ومما سأل النبي ﷺ أن قال له: «كَمْ الْقَوْمُ؟» قَالَ: هُمْ وَاللَّهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بِأُسْهُمٍ. فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُخْبِرَهُ: كَمْ هُمْ؟ فَأَبَى، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ: «كَمْ يَنْحَرُونَ مِنَ الْجَزُورِ؟» فَقَالَ: عَشْرًا كُلَّ يَوْمٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْقَوْمُ أَلْفٌ؛ كُلُّ جَزُورٍ لِهَائَةٍ وَتَبِعَهَا...» الحديث. (٢)

وكان النبي ﷺ ليلة بدر يصلي ويدعو ربه عز وجل حتى أصبح، وكان الصحابة رضي الله عنهم نائمين.

قال علي رضي الله عنه: لقد رأيتنا ليلة بدر وما مِنَّا إنسانٌ إلا نائمٌ إلا رسول الله ﷺ؛ فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو حتى أصبح... الحديث. (٣)

(١) رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه برقم (١٧٧٩).

(٢) رواه أحمد (٢/١٩٣) وغيره، وصححه شيخنا الوادعي رحمه الله في "الجامع الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" (٣/٢٨٤-٢٨٦).

(٣) رواه أحمد (٢/٦٤)، وصححه شيخنا رحمه الله في "الجامع الصحيح" (٣/٢٨٩-٢٩٠).

وَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ بَدَرَ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ التَّرَمَّهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتَكَ رَبِّكَ؛ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. (١)

ولما تهيأ ﷺ وصحابته لقتال المشركين أخذ يعلمهم الرمي وكيفيته، فقال: «إِذَا أَكْتُبُوكُمْ فَارْمُوهُمْ، وَاسْتَبَقُوا نَبْلَكُمْ». (٢)

وقال ﷺ: «لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَيَّ شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»، فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَوْمُوا إِلَيَّ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟! قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ، بَخٍ. (٣) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى

(١) رواه مسلم برقم (١٧٦٣).

(٢) رواه البخاري عن أبي أسيد الساعدي روى الله ﷺ برقم (٣٩٨٤).

(٣) كلمة تقال عند المدح والرضى بالشيء، وتكرَّر للمبالغة، وهي مبنية على السكون؛ فإن وصلت جَرَزَتْ ونونت، قلت: بَخٍ بَخٍ. «النهاية» (١/١٠٧).

قَوْلِكَ بِنَحِّ بِنَحِّ؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»، فَأَخْرَجَ تَمْرَاتٍ مِنْ قَرْنِهِ^(١)، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَيْنُ أَنَا حَيْثُ حَتَّى أَكُلَ تَمْرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لِحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ. قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.^(٢)

وخاض المسلمون المعركة ببدر بكل قوة وشجاعة، وأخذوا يضربون بسيوفهم أعناق المشركين، وأمدَّهم الله بالملائكة وكانوا سبباً لتثبيت الصحابة، وألقى في قلوب المشركين الرعب ونصرهم عليهم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَعْثِنُ رَبَّكَ فَأَسْتَجَابَ لَكَمُ أَنْي مُدِّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال:١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣].

وَبَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ صَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمَ حَيْزُومٍ. فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ حُطِمَ أَنْفُهُ^(٣) وَشَقَّ وَجْهُهُ، كَصَرْبَةِ السَّوْطِ

(١) وهي جعبة النشاب.

(٢) رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه برقم (١٩٠١).

(٣) أي: أثر فيه مثل أثر الخطام. ينظر "النهاية" (١/٥٠٨) مادة: حَطَمَ.

فَاخْضَرَ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ:
«صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسْرُوا سَبْعِينَ. (١)

وَقُتِلَ فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ: أَبُو جَهْلٍ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَارِحًا
مَقْتَلَ عَدُوِّ اللَّهِ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي،
فَإِذَا أَنَا بِغُلَامَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ حَدِيثَةَ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعِ (٢) مِنْهُمَا،
فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمَّ هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، مَا حَاجَتَكَ إِلَيْهِ يَا
ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا
يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ (٣) حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ (٤) مِنَّا. فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي
الْآخَرُ، فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ:
أَلَا إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي. فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، فَضْرَبَاهُ حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ
انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَاهُ. فَقَالَ: «أَيُّكُمْ قَتَلَهُ؟»، قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا:
أَنَا قَتَلْتُهُ. فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا؟»، قَالَا: لَا. فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ:
«كِلَاكُمَا قَتَلَهُ، سَلْبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ». (٥)

(١) رواه مسلم عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (١٧٦٣).

(٢) أي: أقوى. نووي.

(٣) أي: شخصي شخصه. نووي.

(٤) أي: لا أفارقه حتى يموت أحدنا وهو الأقرب أجلاً. نووي.

(٥) رواه البخاري برقم (٣١٤١)، ومسلم برقم (١٧٥٢).

وقال النبي ﷺ يومها: «مَنْ يَنْظُرُ مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ؟». فَاَنْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ، فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، فَقَالَ: أَنْتَ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ أَوْ قَالَ: قَتَلْتُمُوهُ. (٢)

فائدة: في هذا الحديث أن الذي قتل أبا جهل ابنا عفراء، وفي الذي قبله أن سلبه لمعاذ بن عمر بن الجموح.

قال النووي رحمته الله: اختلف العلماء في معنى هذا الحديث، فقال أصحابنا: اشترك هذان الرجلان في جراحته، لكن معاذ بن عمرو بن الجموح أثنى على أولاه؛ فاستحق السلب، وإنما قال النبي ﷺ: «كلاكما قتله»؛ تطييباً لقلب الآخر من حيث أن له مشاركة في قتله، وإلا فالقتل الشرعي الذي يتعلق به استحقاق السلب وهو الإثخان وإخراجه عن كونه متمنعا إنما وجد من معاذ بن عمرو بن الجموح؛ فلهذا قضى له بالسلب، قالوا: وإنما أخذ السيفين ليستدل بهما على حقيقة كيفية قتلها، فعلم أن ابن الجموح أثنى ثم شاركه الثاني بعد ذلك، وبعد استحقاقه السلب، فلم يكن له حق في السلب، هذا مذهب أصحابنا في معنى هذا الحديث، وقال أصحاب مالك: إنما أعطاه لأحدهما لأن الإمام مخير في السلب يفعل فيه ما شاء، وقد سبق الرد على مذهبه، والله أعلم. (٣)

(١) أنت أبا جهل؟ قال الحافظ رحمته الله: كذا للأكثر، وللمستملي وحده: (أنت أبو جهل؟)، والأول هو المعتمد في حديث أنس هذا؛ فقد صرح إسماعيل بن علي عن سليمان التيمي بأنه هكذا نطق بها أنس... اهـ

(٢) رواه البخاري عن أنس رحمته الله برقم (٣٩٦٣).

(٣) «شرح النووي لصحيح مسلم» (١٢ / ٦٢ - ٦٣).

وأُسِرَ يوم بدر أحدُ صناديد ورؤوس الكفر: أمية بن خلف، وكان عبدالرحمن ابن عوف قد تكاتب معه أن يحفظه في صياغته بمكة، وهو -أي: ابن عوف- يحفظه في صياغته بالمدينة، فخرج ابن عوف رضي الله عنه إلى جبل ليحرز أمية حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلسٍ من الأنصار فقال: أمية، لا نجوت إن نجا أمية. فخرج معه فريق من الأنصار.

قال ابن عوف رضي الله عنه: فلما خشيت أن يلحقونا خَلَّفت لهم ابنه لأشغلهم، فقتلوه، ثم أبوا حتى يتبعونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: ابرك. فبرك، فألقيت عليه نفسي؛ لأنعه، فتجللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه. (١)

وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِّفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ حَيْثُ مُخَبِّثٌ، وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ فِي الْعَرَصَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمَّا كَانَ بَدْرُ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ. حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ، فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: «يَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، وَيَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، أَيَسْرُكُمْ أَنْكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِي أَقُولُ مِنْهُمْ». (٢)

(١) انظر القصة عند البخاري برقم (٢٣٠١).

(٢) رواه البخاري برقم (٣٩٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٧٤) عن أنس رضي الله عنه.

ثُمَّ غَزَوْهُ بَنِي سُلَيْمٍ فِي شَوَالٍ ، ثُمَّ غَزَوْهُ السَّوَيْقِ فِي ذِي الْحِجَّةِ فِي طَلَبِ أَبِي سُفْيَانَ .

بعد فراغه من بدرٍ، وكان فراغه من بدرٍ في عَقَبِ رَمَضَانَ، أو في شَوَالٍ، فلم يَقم بالمدينة إلا سَبْعَ لَيَالٍ حَتَّى غَزَا بِنَفْسِهِ يَرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ حَتَّى بَلَغَ مَاءً مِنْ مِيَاهِهِمْ يُقَالُ لَهُ: الكُدْرُ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلِقْ كَيْدًا. (١)

بَعْدَمَا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ مَكَّةَ مِنْ بَدْرِ حَلَفَ أَبُو سُفْيَانَ أَلَّا يَمَسَّ رَأْسَهُ مَاءً مِنْ جَنَابَةِ حَتَّى يَغْزَوْ مُحَمَّدًا ﷺ، فَخَرَجَ فِي مَائَتِي رَاكِبٍ، وَنَزَلَ طَرَفَ الْعَرِيضِ، وَبَاتَ لَيْلَةً وَاحِدَةً فِي بَنِي النَّضِيرِ عِنْدَ سَلَامِ بْنِ مِشْكَمٍ، فَسَقَاهُ، وَبَطَنَ لَهُ مِنْ خَبَرِ النَّاسِ، ثُمَّ أَصْبَحَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَطَعَ أَصْوَارًا مِنَ النَّخْلِ، وَقَتَلَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ حَلِيفًا لَهُ، ثُمَّ كَرَّرَ رَاجِعًا، وَنَذَرَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ فِي طَلَبِهِ الْمُسْلِمُونَ، فَبَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكُدْرِ وَفَاتَهُ أَبُو سُفْيَانَ وَالْمُشْرِكُونَ، وَأَلْقَوْا شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَزْوَادِهِمْ مِنَ السَّوَيْقِ؛ فَسُمِّيَتْ غَزْوَةُ السَّوَيْقِ. (٢)

(١) ابن إسحاق (ص ٣١٩) ولم يسندها.

(٢) ذكرها ابن إسحاق (ص ٣٢٠) بإسناد مرسل، وانظر "الطبقات" (٢/٢٧)، و"الفصول" (ص ١٠٦)، و"المواهب اللدنية" (١/٣٨٢-٣٨٣).

س٤٥ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا؟

ج / فِيهَا سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ فِي ثَمَانِيَةِ نَفَرٍ ① مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَقَتَلُوا
ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ، وَكُلُّ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ، وَنَزَلَتْ فِيهِ:
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ [قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ]﴾ [البقرة: ٢١٧].

① كذا في "السيرة" لابن هشام (١/ ٤٦٣)، وفي "الطبقات" (٢/ ٩): اثني عشر رجلاً من المهاجرين. وهو عندهما بدون سند.

قال الشيخ حافظ رحمته الله عن أحداث ووقائع السنة الثانية للهجرة:

فِيهَا وَقُوعُ غَزْوَةِ الْأَبْوَاءِ	حَمَزَةٌ فِيهَا صَاحِبُ اللَّوَاءِ
فَوَادَعَتْهُ ضَمْرَةٌ بِدُونِ شَرِّ	وَكَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي شَهْرِ صَفَرٍ
وَكَانَ فِي شَهْرِ رَيْبِعِ الْأَوَّلِ	غَزَا بُوَاطَ وَهُوَ مَوْضِعٌ يَلِي
رَضْوَى بِنَحْوِ مَاتَبِينَ رَاكِبًا	مُعْتَرِضًا عِيرَ قَرَيْشٍ طَلَبَا
وَكَانَ مَعَ سَعْدِ لَوَاؤُهُ وَلَمْ	يَكُنْ بِهَا حَرْبٌ وَلَمْ يَلْقَ أَلَمٌ
وَبَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ يَسِيرَةٍ	أَيَّ فِي جُمَادَى غَزْوَةَ الْعَشِيرَةِ
مَعَ حَمَزَةَ لَوَاؤُهُ وَوَادَعَا	فِيهَا بَنِي مُدَلِجٍ ثُمَّ رَجَعَا
وَيَلِيَّالٍ بَعْدَهَا أَغَارَا	كُرُزٌ عَلَى سَرْحِهِمْ فَسَارَا

[١] ما بين المعقوفتين لا يوجد في المخطوط، وإنما فيه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ﴾، هكذا، فأكملت بعضاً من الآية، وانظر "جوامع السيرة" لابن حزم (ص ٧٩-٨٠)، و"الفصول في سيرة الرسول" (ص ٨٨-٨٩).

يَطْلُبُهُ الرَّسُولُ حَتَّىٰ وَصَلَا
وَسُمِّيَتْ غَزْوَةُ بَدْرِ الْأَوْلَىٰ
وَبَعْدَهَا بَعَثَ ابْنُ جَحْشٍ وَمَعَهُ
وَكَانَ قَتْلُ عَمْرِو بْنِ الْحَضْرَمِيِّ
وَذَاكَ^[١٧] فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ
لَأَيَّةِ الْجَوَابِ عَنْ سُؤَالٍ
فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ وَكَانَتْ سَبِيًّا
وَبَعْدَ ذَلِكَ الْقِبْلَةَ حُوِّلتْ إِلَىٰ
بِذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ اللَّهِ الصَّمَدِ
وَاعْتَرَضَتْ فِي ذَلِكَ الْيَهُودُ
مَعَ عِلْمِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ بِعَجَبٍ
كَذَاكَ فِيهِ فَرَضَ الصِّيَامُ
وَقَبْلَهُ الْمَفْرُوضُ عَاشُورَاءُ
وَبَعْدَهُ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ
وَالْفَرَضُ لِلزَّكَاةِ ذَاتِ النَّصَبِ
وَبَعْدَهَا غَزْوَةُ بَدْرٍ كَانَتْ
أَعْنِي بِذَلِكَ غَزْوَةُ الْفُرْقَانِ

بَدْرًا فَفَاتَهُ فَكَرَّمَتْ قِبَلًا
لِمَا سَيَّأْتِي فَأَفْهَمَ الْمَنْقُولَا
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ضِعْفُ الْأَرْبَعَةِ
فِيهَا وَأَخَذَ عَيْرَهُ فِي الْمَغْنَمِ
فَاسْتَعْظَمَ النَّبِيُّ ذَا وَهُوَ السَّبَبُ
أَيْمَّةَ الْكُفْرِ عَنِ الْقِتَالِ
لِلْبَطْشَةِ الْكُبْرَىٰ كَمَا جَاءَ النَّبَا
كَعْبَةَ إِبْرَاهِيمَ حَيْثُ نَزَلَا
يَوْمَ الثَّلَاثَا نِصْفَ شَعْبَانَ وَرَدَ
سَفَاهَةً فَلْيُرْغَمِ الْحُسُودُ
هُمُ الْأَذْلُونَ وَأُمَّةُ الْعَضْبِ
أَيَّ رَمَضَانَ مَا بِهِ إِيهَامُ
فَصَارَ بَعْدَهُ لِمَنْ يَشَاءُ
شَرْعِيَّةَ الصَّلَاةِ لِلْعِيدِ أَدْرٍ
قَرِينَةَ الصَّلَاةِ فَأَفْهَمَ تُصَبِّ
وَهِيَ الَّتِي الْأَعْدَا بِهَا اسْتَكَانَتْ
يَوْمَ اللَّزَامِ وَالتَّقَا الْجَمْعَانَ

[١٧] فِي الْمَخْطُوطِ: (وَكَانَ) بَدَلُ: (وَذَاكَ).

رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ آلِ الصَّنَمِ (١)
 قُدُومَ عَيْرٍ لِقُرَيْشٍ فَدَعَا
 مِنْ رَمَضَانَ ثُمَّ فِي الْأَمْوَالِ (٢)
 أَرْسَلَ ضَمَمًا قُرَيْشًا مُحْجِرًا
 جَلًّا وَلَا دَفْعُ لِمَا قَضَاهُ
 إِذْ شَاءَ قَطَعَ دَابِرَ الْفَسَادِ
 فَوْقَ الثَّلَاثِائَةِ بِضْعُ عَشْرٍ
 وَدُونَ أَلْفٍ صَحَّ فِي الرِّوَايَةِ
 فِي قَلْبِهِ أَعْدَاءَهُ اللَّئِمَاتِ
 قَلْبَهُ ضِدَّهُ بِرَأْيِ الْعَيْنِ
 صَحَبَ الرَّسُولَ ضَعْفَهُمْ فَوَهْنُوا
 مِنْ رَمَضَانَ فَادْرِهِ مَمَّنْ أَثَرُ
 وَاصْطَدَمَا فِي الْمَعْرَكِ الْخَصْمَانِ
 إِلَى الْمُهَيِّمِ الْمُجِيبِ مَنْ دَعَا
 فَلَمْ يُفِدْ حِزْبَ اللَّعِينِ الْعَدْدُ
 كَمَا قَضَى الرَّحْمَنُ ذَاكَ فِي الزُّبُرِ
 وَقَالَ مَا أَنَا لَكُمْ بِجَارِ

وَالْبَطْشَةُ الْكُبْرَى الَّتِي بِهَا أَنْتَمَ
 وَذَلِكَ أَنَّ الْمُصْطَفَى قَدْ سَمِعَا
 إِلَيْهِمْ وَقَدْ مَضَتْ لِيَالِي
 كَانَ أَبُو سُفْيَانَ لَمَّا أَخْبِرَا
 لِأَيِّ أَمْرٍ قَدْ قَضَاهُ اللَّهُ
 فَالْتَقِيَا مِنْ غَيْرِ مَا مِيعَادِ
 وَكَانَ مَنْ مَعَ الرَّسُولِ قَدْ نَفَرُ
 وَالْمُشْرِكُونَ فَوْقَ تِسْعِمِائَةٍ
 وَقَدْ أَرَى الرَّسُولُ حِينَ نَامَا
 وَقَدْ رَأَى كُلَّ مِنَ الْخَصْمَيْنِ
 وَحَالَةَ اللَّقَا قُرَيْشٍ عَايَنُوا
 وَكَانَ ذَاكَ يَوْمَ سَبْعَةِ عَشْرٍ
 وَحِينَ نَمَا تَقَابَلَ الصَّفَانِ
 وَرَفَعَ الرَّسُولُ كَفِّي الدُّعَا
 فَجَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ الْمَدْدُ
 وَانْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوْا الدُّبُرُ
 وَنَكَصَ الشَّيْطَانُ لِلْفِرَارِ

(١) أي: عبدة الأصنام.

(٢) أي: وفي هذه الأموال وهي عير قريش.

فَانْكَشَفَ الْغُبَارُ عَنْ سَبْعِينَا
وَقَدْ ذُفُوا بِبَيْرِ بَدْرٍ كُلِّهِمْ
أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا حَقًّا
وَسَمِعُوا الْقَوْلَ وَلَوْ أَجَابُوا
وَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ ذِي الْعَرْشِ بِذَا
وَمِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ اسْتُشْهِدَا
وَسُورَةُ (الْأَنْفَالِ) فِيهَا أَنْزَلْتُ
وَبَيَّضْتُ تَفْصِيلَ قَسَمِ الْمَغْنَمِ
وَعُورَتِ الرَّسُولِ فِي أَخْذِ الْفِدَا
وَكَانَ فِي ذَا أَوْضَحِ الدَّلَالَةِ
وَكَمْ مِنَ الْوَحْيِ صَرِيحًا وَرَدَا
وَبَعْدَهَا قَدْ نَجَمَ النَّفَاقُ
وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ غَزْوَةُ إِلَيَّ
بَعْدَ مُقَامِهِ ثَلَاثَةَ عَشْرَةَ
وَبَعْدَ ذَلِكَ غَزْوَةُ السَّوِيْقِ فِي
وَكَانَ طَالِبًا أَبَا سُفْيَانَ ثُمَّ

قَدْ قُتِلُوا وَأَسْرُوا سَبْعِينَا
فَوَقَفَ النَّبِيُّ مُبَكِّتًا لَهُمْ
فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْتُمْ حَقًّا
لَكَانَ قَوْلُ: نَعَمْ، الْجَوَابُ
فَكُلُّ بَاغٍ فَجَزَاؤُهُ كَذَا
عَشْرَةَ مَعَ أَرْبَعَةٍ لَا أَزِيدَا
وَهِيَ عَلَى تَفْصِيلِ ذَلِكَ اسْتَمَلَّتْ
وَالْخُمْسَ تَبَيَّنَا مُزِيحَ الْغَمِّ
ثُمَّ أَحَلَّهُ الرَّحِيمُ أَبَدَا
قَطْعًا بِصَدَقِ صَاحِبِ الرَّسَالَةِ
فِي فَضْلِ مَنْ غَزَا بَدْرًا شَهِدَا
فِي حُسْدٍ وَانْكَتَمَ الشَّقَاقُ
بَنِي سُلَيْمٍ ثُمَّ عَادَ قَافِلَا
مَاءٍ لَهُمْ فَلَمْ يَجِدْ مُقَاتِلَا
ذِي الْحِجَّةِ أَفْهَمَهُ بِلَا تَوَقُّفِ
لَمْ يُدْرِكُوهُ إِذْ فَرَّارًا فَاتَهُمْ

س٤٦/ مَادَا وَقَعَ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْعَزَوَاتِ؟

ج/ فِيهَا كَانَ عَزْوَةٌ ذِي أَمْرٍ ، وَأَقَامَ صَفَرَ كُلَّهُ ، ثُمَّ عَزْوَةُ الْفُرْعِ آخِرَ رَيْبِ الْأَوَّلِ، وَعَزْوَةٌ بَنِي قَيْنَقَاعٍ (١) ، وَظَفَرَ بِهِمْ، فَأَعْتَرَضَهُ حَلِيفُهُمْ ابْنُ سَلُولٍ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ، فَأَطْلَقَهُمْ لَهُ (٢).....

لما رجع ﷺ من غزوة السَّوِيقِ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ ذِي الْحِجَّةِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، ثُمَّ غَزَا نَجْدًا يُرِيدُ غَطْفَانَ وَهِيَ غَزْوَةٌ ذِي أَمْرٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَثْمَانَ بْنَ عَفَانَ. (٣)

فَأَقَامَ بِنَجْدٍ صَفْرًا كُلَّهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلِقَ كَيْدًا. (٤)

يُرِيدُ ﷺ قَرِيبًا وَبَنِي سُلَيْمٍ حَتَّىٰ بَلَغَ بُحْرَانَ مَعْدَنَ بِالْحِجَازِ فِي نَاحِيَةِ الْفُرْعِ، وَذَلِكَ الْمَعْدَنُ لِلْحِجَاجِ بْنِ غَلَاظِ الْبَهْدِيِّ، فَأَقَامَ بِهِ شَهْرَ رَيْبِ الْآخِرِ وَجَمَادَى الْأُولَىٰ ثُمَّ رَجَعَ لِلْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلِقَ كَيْدًا. (٥)

(١) انظر "السيرة" لابن إسحاق (ص ٣٢٣-٣٢٤)، وابن هشام (١/ ٥٩٤-٥٩٥)، و"الطبقات" (٢/ ٢٦-٢٧)، و"جوامع السيرة" (ص ١٢١)، ذكروا سبباً لها وهو أن يهودياً كشف وجه امرأة مسلمة وهو مرسل ضعيف. ينظر كتاب "دفاع عن الحديث..." (ص ٣٢-٣٣).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) "السيرة" لابن إسحاق (ص ٣٢١) بدون سند.

(٤) "السيرة" لابن إسحاق (ص ٣٢١) بدون سند.

(٥) "السيرة" لابن إسحاق (ص ٣٢٢) بدون إسناد، و"الطبقات" (٢/ ٣٥)، و"جوامع السيرة" لابن حزم (ص ١٢١).

وَفِيهَا غَزْوَةٌ أُحِدٍ فِي نِصْفِ شَوَالٍ ﴿١﴾

انظر "تاريخ خليفة" (ص ٩٧)، ومنهم من قال: إن غزوة أحد كانت يوم السبت لسبع خلون من شوال. (١)

وسبب هذه الغزوة أنه لما أصيبت قريش أو من قاتل منهم ببدرٍ وأصحاب القلب من كفار قريش فرجع فُلَّهُمْ (٢) إلى مكة ورجع أبو سفيان بن حرب في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر، وكلموا أبا سفيان ابن حرب في عَيْرٍ كان قَدِمَ بها، فوقفها في دار الندوة، فكلموه ومن كانت له في تلك العير تجارة فقالوا: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم وقتل رجالكم وخياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه؛ لعلنا أن ندرك منه ثأرنا بما أصابنا، فلما فعل أبو سفيان وأصحاب العَيْرِ ما طلبت منهم قريش أجمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ بأحبيشها (٣) ومن أطاعهم من قبائل بني كنانة، وأهل تهامة كل أولئك قد استغوا على حرب رسول الله ﷺ فأجمعوا السير إلى أحد. (٤)

ولما عَلِمَ النبي ﷺ بقدوم المشركين قال: «رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا

(١) انظر "الطبقات" (٢/ ٢٣)، و"أنساب الأشراف" للبلاذري (١/ ٣٦٨).

(٢) الفُلُّ: المنهزمون، وقل القوم يفلُّهم فلًا: هزمهم. "لسان العرب" (٥/ ١٥٩) مادة: فلل.

(٣) الأحبيش هم أحياء من القارة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشًا، والتحبُّش: التجمع، وقيل: حالفوا قريشًا تحت جبل يسمَّى حُبْشِيًّا؛ فَسَمُّوا بذلك. "النهاية" (١/ ٣٢٤) مادة: حبش.

(٤) "السير" لابن إسحاق (ص ٣٣٠-٣٣١)، و"أنساب الأشراف" (١/ ٣٦٨).

فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ بِهِ اللَّهُ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقْرًا، وَاللَّهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ»^(١).

وانطلق النبي ﷺ وصحابته الذين معه إلى أحد، ولما وصلوا أخذ ﷺ في ترتيبهم، فاختر منهم خمسين رجلاً وجعل عليهم أميراً عبد الله بن جبير، فقال: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطِفْنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرُحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَانَاهُمْ، فَلَا تَبْرُحُوا حَتَّى أُرْسَلَ إِلَيْكُمْ»^(٢).

وبدأت المعركة بين أولياء الله وأعدائه، فأخذ النبي ﷺ سيفاً فقال: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟»، فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ. فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرِشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا أَخْذُهُ بِحَقِّهِ. فَأَخْذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ»^(٣).

وقتل يومئذ حمزة عم النبي ﷺ، وقاتل مصعب بن عمير رضي الله عنه حتى قُتِلَ، وكان النصر حليف المسلمين؛ لذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، والحس: القتل.

(١) رواه البخاري برقم (٤٠٨١)، ومسلم برقم (٢٢٧٢) عن أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري برقم (٣٠٣٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم برقم (١٧٨٩) عن أنس رضي الله عنه.

ولما انهزم المشركون استعجل الرماة فقالوا لابن جبير: الغنيمَة. أي: قوم الغنيمَة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله، لنائين الناس، فلنصين من الغنيمَة. فلما أتوهم صرقت وجوههم، فأقبلوا منهزمين. (١)

قال الزبير رضي الله عنه: والله، لقد رأيتني أنظر إلى خدام (٢) هند بنت عتبة وصواحبها مشمّرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير؛ إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه وخلصوا ظهورنا للخيل، فأتيننا من خلفنا، وصرخ صارخ: ألا إن محمداً قد قُتل. فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منهم أحد من القوم. (٣)

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: فذاك إذ يدعوهم الرسول ﷺ في آخرهم فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلاً، فأصابوا منا سبعين... (٤)

ولما سمعوا ما سمعوا من أن النبي ﷺ قُتل، جلس بعضهم وقاتل بعضهم، وحرص المؤمنون للقتال، منهم أنس بن النضر رضي الله عنه؛ فإنه عندما انكشف المسلمون وهزموا قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني

(١) رواه البخاري برقم (٣٠٣٩) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٢) جمع خدمة، وهو الخلدال، ويجمع على: خدام أيضاً. "النهاية" (١/٤٧٥) مادة: خدام.

(٣) رواه ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام (٢/٦١٩) بإسناد حسن.

(٤) رواه البخاري برقم (٣٠٣٩).

أصحابه- وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء. يعني المشركين، ثم تقدم، فاستقبله سعدُ ابنُ معاذٍ، فقال: يا سعدُ بنُ معاذٍ، الجنةُ وربُّ النضرِ، إني أجدُ ريحها من دونِ أحدٍ. قال سعدُ: فما استطعتُ يا رسولَ اللهِ ما صنع. قال أنسُ بنُ مالكٍ: فوجدنا بهِ بضعا وثمانينَ ضربةً بالسيفِ أو طعنةً برمحٍ، أو رميةً بسهمٍ، ووجدناه قد قُتِلَ وقد مثل^(١) بهِ المشركون، فما عرفه أحدٌ إلا أخته ببنايه قال أنسُ: كنا نرى أو نظنُّ أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].^(٢)

ومنهم عمرو بن أقيش رضي الله عنه، كان له ربا في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أحدٍ، فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأحدٍ. قال: أين فلان؟ قالوا: بأحدٍ. قال: فأين فلان؟ قالوا: بأحدٍ. فليس لأمتي^(٣) وركب فرسه، ثم توجه قبليهم، فلما رآه المسلمون، قالوا: إليك عنا يا عمرو. قال: إني قد آمنت. فقاتل حتى جرح، فحبل إلى أهله جريحاً، فجاءه سعدُ بنُ معاذٍ، فقال لأخته: سليه حمية لقومك، أو غضبا لهم، أم غضبا لله؟ فقال: بل غضبا لله ولرسوله. فمات فدخل الجنة، وما صلى لله صلاة.^(٤)

(١) وقد نهى النبي ﷺ عن المثلة، ومثلت بالقتيل: إذا جعدت أنفه، أو أذنه، أو مذاكيره، أو شيئاً من أطرافه، والاسم: المثلة، فأما (مثل) بالتشديد؛ فهو للمبالغة. "النهاية" (٢/ ٦٣٢) مادة: مثل.

(٢) رواه البخاري برقم (٢٨٠٥)، ومسلم برقم (١٩٠٣).

(٣) اللأمة، مهموزة: الدرع، وقيل: السلاح، ولأمة الحرب: أدواته، وقد يترك الهمز تخفيفاً. "النهاية" (٢/ ٥٧٨) مادة: لأم.

(٤) رواه أبو داود برقم (٢٥٣٧)، وإسناده حسن.

ومنهم حنظلة بن أبي عامر رضي الله عنه، فقد خرج إلى القتال وهو جنبٌ، فُقِتِلَ، فقال النبي ﷺ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ تَغْسِلُهُ الْمَلَائِكَةُ»، فسألوا صاحبتَه؟ فقالت: إنه خرج لَمَّا سمع الهائِعةَ ^(١) وهو جنب. فقال رسول الله ﷺ: «لِذَلِكَ غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ». ^(٢)

وقد عفا الله عن الذين لم يقاتلوا، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ آتَقَى الْجَمْعَانَ إِنَّمَا أَسْزَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿[آل عمران: ١٥٥].

قال ابن الجوزي رحمته الله في «تفسيره» (١/ ٣٨٧): سبب فرارهم قولان: أحدهما: أنهم سمعوا أن النبي ﷺ قد قُتِلَ؛ فترخصوا في الفرار. قاله ابن عباس في آخرين... انتهى المراد.

وحاول مجموعة من المشركين الوصول إلى رسول الله ﷺ، فاستطاعوا ذلك حتى إنه ﷺ أُفْرِدَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبْعَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا رَهَقُوهُ، قَالَ: «مَنْ يُرِدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ - أَوْ: هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهَقُوهُ أَيضًا، فَقَالَ: «مَنْ يُرِدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ أَوْ: هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِصَاحِبِيهِ: «مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا». ^(٣)

(١) الهائِعة والهَيْعة هو: الصوت الذي تفرع منه، وتخافه، من عدوِّ. «النهاية» (٢/ ٩٢٣) مادة: هبع.

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٢٠٤) بإسناد حسن، وحسنه الألباني رحمته الله في «الصحيحه» برقم (٣٢٦).

(٣) رواه مسلم برقم (١٧٨٩) عن أنس رضي الله عنه.

وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشَجَّ رَأْسُهُ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجَّوْا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].^(١)

وممن كان يذب عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد: أبو طلحة رضي الله عنه؛ فإنه عندما انهزم الناس كان بين يدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُجَوَّبٌ عَلَيْهِ بِحَجَفِهِ^(٢)، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثاً، وكان الرجل يمر معه بجعبة من النبل، فيقول: «انثرها لأبي طلحة»، ويشرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك.^(٣)

وشارك في هذه المعركة بعض النسوة، فَكُنَّ يَنْقُلْنَ الْمَاءَ لِلصَّحَابَةِ، مِنْهُنَّ: أُمُّ سَلِيطَ رضي الله عنها، قال عمر رضي الله عنه: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد.^(٤) وكذلك عائشة أم المؤمنين، وأم سليم رضي الله عنها، قال أنس رضي الله عنه: ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم وإنيهما لمُشَمَّرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سَوْقَهُمَا تُنْقِرَانِ لِلقَرَبِ عَلَى مَتْنِهِمَا تَفْرَغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فِتْمَلَانِهِمَا، ثُمَّ تَجِيئَانِ فَتَفْرَغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ القَوْمِ...^(٥)

(١) رواه مسلم برقم (١٧٩١) عن أنس رضي الله عنه، وبنحوه عند البخاري برقم (٤٠٧٣)، و(٤٠٧٤) عن أبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) الحَجَفَةُ: التُّرْسُ. "النهاية" (٣٣٨ / ١) مادة: حَجَفَ.
(٣) رواه البخاري برقم (٤٠٦٤)، ومسلم برقم (١٨١١) عن أنس رضي الله عنه.
(٤) رواه البخاري برقم (٤٠٧١).
(٥) رواه البخاري برقم (٤٠٦٤)، ومسلم برقم (١٨١١).

قال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى. (١)

قال القاضي عياض رحمته الله في «إكمال المعلم» (٦/٢٠٣): وفي قوله: (يسقين الماء، ويداوين الجرحى) جواز تناول المرأة الفاضلة مثل هذا من الرجال الفضلاء، لاسيما في هذا الموطن الذي لا يشغل فيه شيءٌ عمَّا هم فيه، وأن أكثرهن كُنَّ متجاللات، وأن المداواة قد لا يكون فيها لمس ومباشرة...، وأما ظهور خَدَم سوقهن ورؤية الرجال ذلك منهن فلعله كان عن غير قصدٍ وتعمُّدٍ، وللضرورة حينئذٍ للتشمير، واستقاء الماء وحمله، ولا يمكن ذلك مع إرخاء الذيل وستر الأرجل مع الشغل حينئذٍ بما هم فيه بعضهم عن بعض...، أو يكون هذا قبل أمرهن بالستر، والحديث كان في يوم أحد وذلك في أول الإسلام قبل نزول الحجاب وقبل الأمر بالستر وإرخاء الذيل والضرب بالخُمُر على الجيوب والنهي عن إبداء الزينة... اهـ.

وقد أصاب المسلمين غمٌّ في ذلك اليوم لما حصل لهم ولرسول صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عليهم النعاس؛ ليكون ذلك سبباً لثباتهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ الآية [آل عمران: ١٥٤]، قال أبو طلحة رضي الله عنه: كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مراراً، يسقط وأخذه، ويسقط وأخذه. (٢)

(١) رواه مسلم برقم (١٨١٠).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٠٦٨).

ولمَّا يئس المشركون من أن يَصِلُوا إلى نبينا ﷺ ولم يجدوا ما يتمنون من النصر وطالت المعركة فما كان منهم إلا الانصراف، فلما انصرفوا أمر النبي ﷺ بِدَفْنِ الشُّهَدَاءِ، وأما كيفية الدفن، وهل صُلِّيَ عليهم؟ أو غُسِّلُوا؟ فسيأتي ذكره قريباً.

نُتِرَ الْجَوَاهِرُ الْمُضِيَّةَ عَلَى أَمَالِي فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

وَفِيهَا مِنْ الْأَحْكَامِ تَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَى الشُّهَدَاءِ ، وَدَفَنَهُمْ بِثِيَابِهِمْ وَدِمَائِهِمْ ،
وَجَوَّازُ دَفْنٍ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ فِي قَبْرِ اللَّضْرُورَةِ ، وَدَفَنَهُمْ حَيْثُ قُتِلُوا.....

والصحيح في مسألة الصلاة على الشهيد هو أنَّ الإمامَ مُخَيَّرٌ بين الصلاة
عليهم وتركها؛ لمجيء الأدلة بذلك، وهو ترجيح جماعة منهم: ابن حزم رحمته الله في
"المحلى" مسألة رقم [٥٦٢]، وابن القيم رحمته الله في "زاد المعاد" (٣/٣١٣)،
و"تهذيب السنن" (٤/٢٩٥)، والألباني رحمته الله في "أحكام الجنائز" (ص ٨٣).

قال جابر رضي عنه الله: لَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحَدٍ أَشْرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ قَتَلُوا
يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: «زَمِّلُوهُمْ بِدِمَائِهِمْ؛ فَإِنِّي قَدْ شَهِدْتُ عَلَيْهِمْ...» الحديث. (١)

قال جابر رضي عنه الله: كَانَ -يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلِ أَحَدٍ ثُمَّ
يَقُولُ: «أَيُّهُمَ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟» فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدٍ قَدِمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «أَنَا
شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ بِدِمَائِهِمْ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ
يَغْسِلَهُمْ. (٢)

(١) رواه أحمد (٤٣١/٥) بإسناد صحيح، ورجاله كلهم ثقات.

(٢) رواه البخاري برقم (١٣٤٧)، وللفائدة انظر "المجموع" (٥/٥٢٨)، و"الأوسط" (٥/٣٤٦)،
و"فتح الباري" تحت حديث رقم (١٣٤٧).

ثُمَّ غَزَوْهُ حَمْرَاءُ الْأَسَدِ ، وَنَزَلَ فِي ذَلِكَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا
أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [آل عمران: ١٢١-١٢٩].

كان ذلك في يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد من يوم الأحد
لست عشرة ليلة مضت من شوال أُذِّنَ مُؤَدِّنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بطلب العدو؛ إرهاباً
لهم، وأذَّن مؤذنه: ألا يخرجنَّ معنا أحداً إلا أحد حضر يومنا بالأمس، فكلمه
جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال: يا رسول الله، إنَّ أبي كان خلفني على
أخوات لي سبع قال: يا بُني، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن تترك هؤلاء النسوة لا رجل
فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي؛ فتخلفت على
أخواتك. فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله ﷺ، فخرج معه، وإنما خرج رسول
الله ﷺ مرهباً للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم؛ ليظنوا به قوةً، وأنَّ الذي
أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم... فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى حمراء الأسد
وهي من المدينة على ثمانية أميال، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فأقام بها
الإثنين، والثلاثاء، والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة. (١)

(١) ابن إسحاق (ص ٣٤٨-٢٤٩)، وابن هشام (٢/ ٦٤٠-٦٤١)، و"أنساب الأشراف" (١/ ٤٠٢)،
و"عيون الأثر" (٢/ ٣٥)، و"الفصول" (ص ١١٩-١٢٠).

س٤٧ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا؟

ج / فِيهَا سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مُعْتَرِضًا عَيْرَ قُرَيْشٍ ^(١) ، فَغَنِمَهَا ، وَذَلِكَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَسَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فِي أَرْبَعَةِ نَفَرٍ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَقَتَلُوهُ ، وَفِيهَا ^(٢) جَوَازُ الْخِدْعَةِ فِي الْحَرْبِ .

^(١) وفيها أبو سفيان بن حرب...، وكان من حديثها أن قريشًا خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان؛ فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة، وهي عظيم تجارتهم، واستأجروا رجلاً من بني بكر بن وائل - فرات بن حيان - يدلهم في ذلك على الطريق...، فلقيهم وأصاب تلك العير وما فيها وأعجزه الرجال. ^(٢)

^(٣) كان كعب بن الأشرف اليهودي رجلاً من طيء، وكانت أمه من بني النضير، وكان يؤذي رسول الله ﷺ والمؤمنين، ويشيب ^(٣) في أشعاره بنساء المؤمنين، وذهب بعد وقعة بدر إلى مكة، وألب ^(٤) على رسول الله ﷺ، وعلى المؤمنين، فندب رسول الله ﷺ إلى قتله. ^(٥)

(١) أي: وفي قصة قتل كعب.

(٢) "سيرة ابن هشام" (١/٥٩٧)، "الطبقات" (٢/٣٦).

(٣) تشبيب الشَّعر: تزيينه بذكر النساء. "النهاية" (١/٨٣٩).

(٤) أي: جمع، والإلبُّ بالفتح والكسر: القوم يجتمعون على عداوة إنسان، وقد تألبوا، أي: تجمعوا. "النهاية" (١/٧٠) مادة: أَلَبَّ.

(٥) "السيرة" لابن هشام (١/٥٩٧-٥٩٨)، "الطبقات" (٢/٢٨-٣٠)، "الاكتفاء" للكلاعي (٢/٦٢)، =

فَلَمَّا كَانَ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ مَا كَانَ قَالَ ﷺ: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَحِبُّ أَنْ أَقْتَلَهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَأَذِّنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا. ^(١) قَالَ: «قُلْ»، فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً، وَإِنَّهُ قَدْ عَنَانَا، وَإِنِّي قَدْ آتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ. قَالَ: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلَّنَهُ. قَالَ: إِنَّا قَدْ اتَّبَعْنَاهُ، فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ، وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تَسْلِفَنَا وَسُقَا أَوْ وَسَقَيْنَ. فَقَالَ: ارْهُونِي. قَالُوا: أَيُّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟ قَالَ: ارْهُونِي نِسَاءَكُمْ. قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ. قَالَ: فَارْهُونِي أَبْنَاءَكُمْ. قَالُوا: كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا؛ فَيَسْبُ أَحَدُهُمْ، فَيَقَالُ: رُهْنٌ بَوَسْقِي أَوْ وَسَقَيْنِ. هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأَمَةَ - يَعْنِي السَّلَاحَ - فَوَاعِدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ، وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنَ الرِّضَاعَةِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ: أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ. وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو - هُوَ أَحَدُ رَوَاةِ الْحَدِيثِ - قَالَتْ: أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ. قَالَ: إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ، إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بَلِيلٍ لَأَجَابَ. قَالَ: وَيَدْخُلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ...، فَقَالَ: إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعْرِهِ فَأَشْمُهُ، فَإِذَا

= "الفصول" (ص ١٠٨-١٠٩).

(١) كأنه استأذنه أن يفتعل شيئاً يحتال به، ومن ثم بوب عليه المصنف -أي: البخاري-: [الكذب في الحرب]، وقد ظهر من سياق ابن سعد للقصة أنهم استأذنوا أن يشكوا منه ويعيبوا رأيه... قاله الحافظ في "فتح الباري" (٧/٤٢٩).

رَأَيْتُمُونِي اسْتَمَكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ، فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ. وَقَالَ مَرَّةً: ثُمَّ أُشْمِكُمْ. فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفُخُ مِنْهُ رِيحَ الطَّيِّبِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا -أَيُّ: أَطْيَبَ- قَالَ: عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ. فَقَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُشَمَّ رَأْسَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَشَمَّهُ. ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا اسْتَمَكَنَ مِنْهُ، قَالَ: دُونَكُمْ. فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ. (١)

قال الشيخ حافظ رحمته الله في "منظومته" عن وقائع السنة الثالثة من الهجرة النبوية

-على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم-:

فِي صَدْرِهَا غَزْوَتُهُ لِذِي أَمْرٍ وَعَادَ مِنْ بَعْدِ مُقَامِهِ صَفْرَ
ثُمَّ غَزَا بَعْدَ لِنَحْوِ الْفُرْعِ [٢] آخِرَ أَوَّلِ الرَّبَّيْعَيْنِ فَعِ
وَكَانَ غَزْوَةً إِلَى الْيَهُودِ مِنْ قَيْنَقَاعِ أُمَّةِ الْجُحُودِ
لَكِنَّهُ أَطْلَقَهُمْ لَمَّا اعْتَرَضَ فِي أَمْرِهِمْ ابْنُ سَلُولِ ذُو الْمَرَضِ
لَأَنَّهُ لَهُ أَدْعَاهُمْ أَوْلِيَا أَمَّا عِبَادَةٌ فَمِنْهُمْ بَرِيَا
وَأَنْزَلْتُ فِي ذَاكَ آيٍ وَأَعْظَمُهُ فِي رَابِعِ الطُّوَالِ مِنْ أَقْوَى عِظَمُهُ
وَفِي جُمَادَى بَعَثَ النَّبِيَّ إِلَى عَيْرِ قُرَيْشٍ وَعَلَيْهَا [٣] حَصَالَا

(١) رواه البخاري برقم (٤٠٣٧)، ومسلم برقم (١٨٠١) عن جابر رضي الله عنه.

[٢] في المخطوط: [القرع] بالقاف، وهو خطأ، والصواب ما أثبت كما تقدم.

[٣] في المخطوط: [إليها]، وهو خطأ من الناسخ.

وَكَانَ فِي الْبُعْثِ الْأَمِيرُ زَيْدًا فَغَنَمُوهُمَا لَمْ يُلَاقُوا كَيْدًا
وَكَانَ فِيهَا قَتْلُ ابْنِ الْأَشْرَفِ أَذَاقَهُ الْأَنْصَارُ حَدَّ الْمَشْرِفِ
وَبَعْدَ ذَلِكَ أَحَدٌ قَدَّ وَقَعَا لِلْمُسْلِمِينَ الْحُسَيْنِينَ اجْتَمَعَا
فَأَوْلًا لِلْإِنْتِصَارِ حَازُوا وَبِشْهَادَةِ أَخِيرًا فَازُوا
سَابِعُونَ مِنْهُمْ أَكْرَمُوا وَاللَّهُ لَا يُضْيِعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ عَمَلًا
وَيُنِيلُ فِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَا يَكْفِيكَ أَسْوَةٌ أَيَّامَنْ فِيهَا
وَأَخْرُوبُونَ بِالْجِرَاحَاتِ ابْتُلُوا لِيُعْظِمَ اللَّهُ جَزَا مَا عَمَلُوا
وَكُلُّ ذَاكَ كَانَ بِإِذْنِ اللَّهِ لَا غَافِلًا عَنْهُمْ وَلَا بِسَاهٍ
وَلَوْ يَشَاءُ عَزَّ وَجَلَّ لَانْتَصَرُ مِنْهُمْ وَلَمْ يَنْلُ ذَوِي الْإِيمَانِ شَرُّ
لَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَمْتَحِنَنَا وَيَعْلَمَ الْمُرْتَابَ مِمَّنْ آمَنَّا
ثُمَّ تَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّائِرَةُ عَلَى الْكُفُورِ الْيَوْمَ أَوْ فِي الْآخِرَةِ
وَلِأُولِي الْإِيمَانِ عُقْبَى الدَّارِ وَالظَّفْرُ الْأَعْلَى بِالْإِنْتِصَارِ
وَأَنْتَيْنِ أَوْ فَوْقَ بَقْبَرٍ دُفِنُوا صَرُورَةً إِذْ غَيْرُ ذَا لَا يُمْكِنُ
وَلَمْ يَكُنْ صَلَّى عَلَيْهِمْ فِي الْأَصْحِ وَدَفْنُهُمْ لَمْ يُغْسَلُوا بِالنَّصِّ صَحْ

وَقَدْ دَعَى الرَّسُولُ مَنْ قَدْ شَهِدَا
فَانْتَدَبُوا إِلَى اللَّحُوقِ بِالْعِدَا
وَعَادَ مَضْحُوبًا بِنِعْمَةِ الصَّمَدِ
مِنْ آلِ عِمْرَانَ مُبَيَّنَاتُ
وَجَاءَ فِي تَفْصِيلِ ذَا آيَاتُ
مِنْ قَوْلِهِ (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ) إِلَى
وَكَانَ يَوْمَ النَّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ
ذَا الْأَمْرِ فِي السَّبْتِ بِلَا جِدَالٍ

[١٧] غير واضح في المخطوط، وصوبه شيخنا الفيافي رحمته الله تعالى من نسخته بعدما تأمل فيها، و(ولا) بكسر الواو، أي: متابعه؛ لأن الموالاة: المتابعة، يقال: والى بين الأمر موالاةً وولاءً: تابع. انظر "لسان العرب" مادة: ولي.

ومعنى هذا البيت: أن عدد الآيات من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعَدًا لِلْقِتَالِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ الآية، تسعٌ وخمسون آية من آية رقم [١٢١] إلى آية رقم [١٧٩] من سورة آل عمران.

س٤٨ / كَمْ وَقَعَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْغَزَوَاتِ؟

ج / فِيهَا غَزْوَةٌ بَنِي النَّضِيرِ ^(١)

ذكر أصحاب السَّيْرِ أَنَّ سَبَبَ إِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ هُوَ أَنَّهُ ﷺ خَرَجَ إِلَيْهِمْ لِيَسْتَعِينَهُمْ فِي دِيَةِ ذِيكَ الْقَتِيلِينَ مِنْ بَنِي عَامِرِ اللَّذِينَ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمِيَةِ الضَّمْرِيِّ لِلْجَوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَقَدَهُ لِهَمَا، وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامِرٍ عَقْدٌ وَحَلْفٌ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ ذِيكَ الْقَتِيلِينَ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، نَعِينُكَ عَلَيَّ مَا أَحْبَبْتَ مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِنَا عَلَيْهِ. ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرَّجُلَ عَلَيَّ مِثْلَ حَالِهِ هَذِهِ - وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بَيْوتِهِمْ قَاعِدٌ - فَمِنْ رَجُلٍ يَعْلُو عَلَيَّ هَذَا الْبَيْتِ فَيَلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيَرِيحُنَا مِنْهُ. فَانْتَدَبَ لِذَلِكَ عَمْرُو بْنُ جِحَاشِ بْنِ كَعْبٍ أَحَدَهُمَا، فَقَالَ: أَنَا لِذَلِكَ. فَصَعِدَ لِيَلْقِي عَلَيْهِ صَخْرَةً كَمَا قَالَ، وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعَمْرٌ، وَعَلِيٌّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْخَبِرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَلَبَتْ النَّبِيَّ ﷺ أَصْحَابُهُ قَامُوا...، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ بِمَا كَانَتْ الْيَهُودُ أَرَادَتْ مِنَ الْغَدْرِ بِهِ، وَأَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْتَهْيِئِ لِحَرْبِهِمْ وَالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ. ^(١)

وسبب آخر رواه عبد الرزاق في "المصنف" (٥/ ٣٥٨-٣٦١)، وفيه أن كُفَّارَ

(١) وهو معضل، وينظر "السيرة" لابن إسحاق (ص ٣٨٢-٣٨٣)، وابن هشام (٢/ ٧١٣-٧١٤)، "الطبقات" (٢/ ٥٣)، و"أنساب الأشراف" (١/ ٤٠٣-٤٠٤)، و"عيون الأثر" (٢/ ٧٠-٧٣)، و"الفصول" (ص ١٢٦-١٢٨).

قُرَيْشٌ كَتَبَتْ بَعْدَ وَقَعَةِ بَدْرٍ إِلَى الْيَهُودِ: إِنَّكُمْ أَهْلُ الْحَلْقَةِ^(١) وَالْحُصُونِ، وَإِنَّكُمْ لَتُقَاتِلُنَّ صَاحِبَنَا، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ كَذَا وَكَذَا، وَلَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَدَمِ نِسَائِكُمْ شَيْءٌ، - وَهُوَ الْخَلَاحِلُ - فَلَمَّا بَلَغَ كِتَابُهُمُ الْيَهُودَ أَجْمَعَتْ بَنُو النَّضِيرِ عَلَى الْغَدْرِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: اخْرُجْ إِلَيْنَا فِي ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ، وَلِنُخْرِجْ فِي ثَلَاثِينَ حَبْرًا حَتَّى نَلْتَقِيَ فِي مَكَانٍ كَذَا نَصِفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَيَسْمَعُوا مِنْكَ؛ فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَآمَنُوا بِكَ، آمَنَّا كُلَّنَا. فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ حَبْرًا مِنَ الْيَهُودِ حَتَّى إِذَا بَرَزُوا فِي بَرَازٍ مِنَ الْأَرْضِ، قَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ لِبَعْضٍ: كَيْفَ تَخْلُصُونَ إِلَيْهِ، وَمَعَهُ ثَلَاثُونَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ كُلُّهُمْ يُحِبُّ أَنْ يَمُوتَ قَبْلَهُ؟ فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ: كَيْفَ تَفْهَمُ وَنَفْهَمُ وَنَحْنُ سِتُونَ رَجُلًا؟ اخْرُجْ فِي ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِكَ، وَيَخْرُجْ إِلَيْكَ ثَلَاثَةٌ مِنْ عُلَمَائِنَا، فَلْيَسْمَعُوا مِنْكَ؛ فَإِنْ آمَنُوا بِكَ آمَنَّا كُلَّنَا، وَصَدَقْنَاكَ.

فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَاشْتَمَلُوا عَلَى الْخَنَاجِرِ، وَأَرَادُوا الْفَتْكَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ امْرَأَةٌ نَاصِحَةً مِنْ بَنِي النَّضِيرِ إِلَى بَنِي أَخِيهَا، وَهُوَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ مَا أَرَادَتْ بَنُو النَّضِيرِ مِنَ الْغَدْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ أَخُوهَا سَرِيعًا، حَتَّى أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَارَهُ بِخَبَرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَرَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ، غَدَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْكِتَابِ فَحَاصَرَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّكُمْ لَا تَأْمُنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدِ تَعَاهِدُونِي

(١) الحلقة، بسكون اللام: السلاح عامًا، وقيل: هي الدروع خاصة. «النهاية» (١ / ١٤٧) مادة: حَلَقٌ.

عَلَيْهِ»، فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ هُوَ وَالْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ غَدَا الْغَدُ
عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بِالْخَيْلِ وَالْكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ،
فَعَاهِدُوهُ، فَانصَرَفَ عَنْهُمْ، وَغَدَا إِلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا
عَلَى الْجَلَاءِ، وَعَلَى أَنْ لَهُمْ مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ... . وإسنادها صحيح.

وَإِجْلَاؤُهُمْ ① وَأَخَذُ أَمْوَالِهِمْ فَيْئًا ② ، وَفِيهَا نَزَلَتْ سُورَةُ الْحَشْرِ ③

قال أبو عبيدة: يقال: الجلاء والإجلاء، جلاه: أخرجه، وأجليته: أخرجته، والتحقيق أن الجلاء أخص من الإخراج؛ لأن الجلاء ما كان مع الأهل والمال، والإخراج أعم منه. (١)

الفياء: كل ما أخذ من الكفار بغير قتال ولا إيجاف خيل، ولا ركاب، كأموال بني النضير هذه؛ فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، أي: لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة، بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ، فأفاهه الله على رسوله؛ ولهذا تصرف فيه كما شاء، فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾، أي: من بني النضير ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ يعني: الإبل، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦]، أي: هو قدير لا يغالب، ولا يمانع، بل هو القاهر لكل شيء. اه. (٢)

قال سعيد بن جبيرة: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاصحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أنها لن تبقى أحدا منهم إلا ذكر فيها. قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر. قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير. (٣)

(١) "فتح الباري" (٨ / ٨١١).

(٢) قاله الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (١٣ / ٤٨٢).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٨٨٢)، ومسلم برقم (٣٠٣١)، وانظر "الصحيح المسند من أسباب =

وَكَانَ فِيهَا تَحْرِيمُ الْخَمْرِ ^(١)، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ^(٢)، وَكَانَ فِيهَا غَزْوَةٌ
ذَاتِ الرَّقَاعِ ^(٣) فِي جُمَادَى الْأُولَى فِي الْقَوْلِ الْمَرْجُوحِ.....

اختلف في سبب تسميتها، والصحيح أنها سُميت بذلك لأنهم كانوا يُلْفُونَ
على أرجلهم الخرق؛ فسُميت: ذات الرقاع، وهو الموافق للدليل، قال أبو موسى
الأشعري رضي الله عنه: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ،
فَنَقَبَتْ أقدامنا، وَنَقَبَتْ قَدَمَائِي، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نُلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ؛
فَسُمِّيَتْ غَزْوَةٌ ذَاتِ الرَّقَاعِ، لِمَا كُنَّا نَعَصِبُ مِنَ الْخِرْقِ عَلَى أَرْجُلِنَا. ^(٣)

وكانت هذه الغزوة إلى نجد، يريد ﷺ بني محارب، وبني ثعلبة من غطفان،
واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري، ويقال: عثمان بن عفان، فلقي بها جمعا
عظيما من غطفان، فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب، وقد خاف الناس بعضهم
بعضا حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف بالناس. ^(٤)

= النزول (ص ٢٤٠-٢٤٣) لشيخنا الوداعي رحمته الله.

(١) انظر "جوامع السيرة" لابن حزم (ص ١٤٤)، و"السيرة" لابن هشام (لابن كثير) (٢/ ٨٠).

(٢) انظر "الطبقات" (٢/ ٥٣).

(٣) رواه البخاري برقم (٤١٢٨)، ومسلم برقم (١٨١٦).

(٤) "السيرة" لابن إسحاق (ص ٣٨٧) بدون سند.

وَالرَّاجِحُ أَنَّهَا فِي السَّابِعَةِ بَعْدَ خَيْبَرَ ^(١) ، وَفِيهَا فِي شَعْبَانَ غَزْوَةُ بَدْرِ الْمَوْعِدِ ^(٢) ، وَلَمْ يُوَفِّهَا أَبُو سُفْيَانَ .

وإلى هذا مال الإمام البخاري وبوب في "صحيحه": باب غزوة ذات الرقاع ^(٣) وهي غزوة محارب من بني ثعلبة من غطفان، فنزل نخلاً وهي بعد خيبر .

وذكر الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٥٣١ / ٧) الخلاف ثم قال: الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة؛ لأنه تقدم أن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع؛ فدل على تأخرها بعد الخندق. اهـ ^(١)

وهي غير بدر القتال...، قالوا: لما أراد أبو سفيان بن حرب أن ينصرف يوم أحد نادى: الموعد بيننا وبينكم بدر الصفراء رأس الحول نلتقي . فأقام النبي صلى الله عليه وسلم ثمان ليالٍ ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان حتى نزل مَجَنَّةً من ناحية الظهران، وبعض الناس يقول: قد بلغ عُسْفَانَ ^(٢) ، ثم بدا له الرجوع فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عامٌ خصيبٌ ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإنَّ عامكم هذا عام جذب وإني راجع فارجعوا. فرجع الناس... ^(٣)

(١) وانظر ما رواه البخاري برقم (٤١٢٩)، و(٤١٣١)، ومسلم برقم (٨٤٢).

(٢) بلدة عامرة تقع شمال مكة على ثمانين كيلاً على المحجة إلى المدينة على التقاء وادي فيذة بوادي الصُّغْر، فيها آبار عذبة قديمة مجصصة، ومرقبة. "معجم معالم الحجاز" (٦ / ١١٥١).

(٣) "السيرة" لابن إسحاق (ص ٣٩١) بدون سند، "الطبقات" (٢ / ٥٥).

س٤٩ / كَمْ وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا؟

ج / فِيهَا سَرِيَّةٌ أَبِي سَلَمَةَ إِلَى بَنِي أَسَدٍ ^(١) فِي شَهْرِ مُحَرَّمٍ، وَفِي صَفَرٍ مِنْهَا
سَرِيَّةُ الرَّجِيعِ ^(٢)

^(١) لأنهم كانوا جمعوا جمعاً عظيماً، وعليهم طليحة بن خويلد وأخوه سلمة بن خويلد يريدون غزو المدينة، فبلغ قطناً وهو جبل فلم يلق كيذاً؛ وذلك أن الأعراب تفرقوا وأصاب نَعَمًا استاقها، ويقال: إنه لقيهم فقاتلهم، فظفر وغنم. ^(١)

^(٢) بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْنًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ، فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحِيٍّ مِنْ هُدَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لَحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَامٍ، فَاقْتَصُوا آثَارَهُمْ حَتَّى أَتَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى تَمْرِ تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرٌ يَثْرَبُ، فَتَبِعُوا آثَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَى عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَبُوا إِلَى فَدْفِدٍ ^(٢)، وَجَاءَ الْقَوْمُ فَأَحَاطُوا بِهِمْ، فَقَالُوا: لَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ إِنْ نَزَلْتُمْ إِلَيْنَا أَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا. فَقَالَ عَاصِمٌ: أَمَّا أَنَا فَلَا أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ. فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالنَّبْلِ، وَبَقِيَ حُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرٌ، فَأَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، فَلَمَّا أَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ نَزَلُوا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ حَلَّوْا أَوْتَارَ قَسِيهِمْ، فَرَبَطُوهُمْ بِهَا، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّلَاثُ الَّذِي مَعَهُمَا: هَذَا أَوَّلُ الْغَدْرِ، فَأَبَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ

(١) «الطبقات» (٢/٤٦-٤٧)، «الأنساب» للبلاذري (١/٤٥١-٤٥٢) بدون سند.

(٢) الفدغد: الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع. «النهاية» (٢/٣٥).

وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَتَلُوهُ.

وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ، وَزَيْدٍ حَتَّىٰ بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ، فَاشْتَرَىٰ خُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ، فَمَكَثَ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، حَتَّىٰ إِذَا أَجْمَعُوا قَتْلَهُ، اسْتَعَارَ مُوسَىٰ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَأَعَارَتْهُ، قَالَتْ: فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيِّ لِي، فَدَرَجَ إِلَيْهِ حَتَّىٰ أَتَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَيَّ فَخِذِهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَرِعْتُ فَرَعَةً عَرَفَ ذَلِكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ الْمَوْسَىٰ، فَقَالَ: أَتَخَشِينَ أَنْ أَقْتَلَهُ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ، وَإِنَّهُ لَمَوْثِقٌ فِي الْحَدِيدِ، وَمَا كَانَ إِلَّا رِزْقُ رِزْقِ اللَّهِ. فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ: دَعُونِي أَصْلِي رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ انصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: لَوْلَا أَنْ تَرَوَا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَزِدْتُ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكَعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، ثُمَّ قَالَ:

مَا أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا
عَلَىٰ أَيِّ شِقِّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأُ
يُبَارِكُ عَلَيَّ أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ، وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ إِلَىٰ عَاصِمٍ لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيمًا مِنْ عَظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ

مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ، فَحَمَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ. (١)

وعند ابن إسحاق في "السيرة" (ص ٣٧١) بإسناد مرسل أن القوم هم الذين

طلبوا من النبي ﷺ أن يبعث هؤلاء نفر إليهم حتى يعلموهم، فغدروا بهم. (٢)

(١) رواه البخاري برقم (٤٠٨٦).

(٢) وانظر "الطبقات" (٢/٥٥)، و"جوامع السيرة" (ص ١٤٠-١٤٢)، و"عيون الأثر" (٢/٥٨)،

و"الاكتفاء" للأندلسي (٢/١٠١-١٠٥)، و"المواهب اللدنية" (١/٤١٦-٤٢٤)، و"فتح الباري"

(٧/٤٨٢-٤٩٠).

ثُمَّ سَرِيَّةَ عَمْرٍو الصَّمْرِيِّ فِي صَفَرٍ أَيْضًا ①

وسبب ذلك أن أبا سفيان أرسل من يغتال النبي ﷺ، فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية، وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب وقال: «إِنْ أُصِبْتُمَا مِنْهُ غَرَّةٌ فَاقْتُلَاهُ»، فدخلوا مكة، ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية بن أبي سفيان فعرفه، فأخبر قريشاً بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية، وقالوا: لَمْ يَأْتِ عَمْرٍو لِحَيْرٍ. فحشد له أهل مكة، وتجمعوا، وهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عبيد الله بن مالك بن عبيد الله التيمي فقتله، وقتل آخر من بني الدليل سمعه يتغنى ويقول:

ولست بمسلم ما دمت حياً ولست أدين دين المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بَعَثْتُهُمَا يَتَحَسَّسَانِ الْخَبْرَ، فقتل أحدهما وأسر الآخر، فقدم به المدينة، فجعل عمرو يخبر رسول الله ﷺ خبره، ورسول الله ﷺ يضحك. (١)

ثُمَّ سَرِيَّةُ الْقُرَاءِ فِيهِ أَيْضًا ①، وَغَدَرَهُمْ رِغْلٌ، وَذَكَوَانٌ، وَعُصَيْيَةٌ، وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا، وَفَنَتَ النَّبِيُّ ﷺ شَهْرًا يَدْعُو عَلِيًّا مَنْ قَتَلَهُمْ ①، وَفِيهَا أَخَذَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ كِتَابَ يَهُودَ. [٢]

① قال أنس رضي الله عنه: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَنْ إِبْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُمْ: الْقُرَاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِئُونَ بِالْمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَسْبِغُونَ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْقُرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضُوا لَهُمْ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ، بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيَتْ عَنَّا. قَالَ: وَآتَى رَجُلٌ حَرَامًا، خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «إِنْ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيَتْ عَنَّا».

رواه البخاري برقم (٤٠٩٠)، ومسلم برقم (٦٧٧) واللفظ له، إلا أن سبب

(١) البخاري برقم (٤٠٨٩)، ومسلم برقم (٦٧٧).

[٢] وقع في المخطوط: [يهودي]، والمثبت هو الصواب؛ فقد قال زيد رضي الله عنه لما قدم النبي ﷺ المدينة ذَهَبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَعْجَبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَارِ مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بَضْعَ عَشْرَةِ سُورَةٍ. فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «يَا زَيْدُ، تَعَلَّمَ لِي كِتَابَ يَهُودَ؛ فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمِنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي» قَالَ زَيْدُ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتَهُ وَكُنْتُ أَفْرَأُ لَهُ كِتَابَهُمْ إِذْ كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ. رَوَاهُ أَحْمَدُ (١٨٦/٥) وَغَيْرُهُ، وَهُوَ حَسَنٌ، وَيَنْظُرُ «الصَّحِيحُ الْمُسْتَدْرَكُ» (٢٩٦/١) بِرَقْمِ (٣٤٩) لِشَيْخِنَا الْوَادِعِيِّ رحمته الله.

ذهابهم عند البخاري هو أن رِعْلًا وَعُصِيَّةً وَبَنِي لِحْيَانَ اسْتَمَدُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَدُوٍّ فَأَمَدَهُمْ بِسَبْعِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ كُنَّا نَسْمِيهِمُ الْقُرَاءَ فِي زَمَانِهِمْ.

قال الشيخ حافظ رحمته الله عن وقائع السنة الرابعة من الهجرة النبوية - على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم -:

فِيهَا سَرِيَّةٌ إِلَى بَنِي أَسَدٍ	هُم مِائَةٌ مِنْ بَعْدِ خَمْسِينَ فَقَدُوا
فِيهَا أَبُو سَلَمَةَ أَمِيرًا	فَأَسْتَأَقَ فِيهَا مَعْنًا كَثِيرًا [١]
وَكَانَ فِي مُحَرَّمٍ ثُمَّ قَضَى	بِجُرْحِهِ فِي أَحَدٍ إِذْ نَقَضَا
ثُمَّ سَرِيَّةَ الرَّجِيعِ فِي صَفَرٍ	بِهِمْ [٢] عَدُوٍّ مِنْ هُذَيْلٍ قَدْ غَدَرَ
ثُمَّ سَرِيَّةَ لِعَمْرٍو الضَّمْرِيِّ	لِلْفَتْكِ بَيْنَ حَرْبٍ إِنْ لَمْ يُخْبِرْ
وَبَعْدَهَا سَرِيَّةُ الْقُرَاءِ	فِي صَفَرٍ أَيْضًا بِإِلَاءِ مِرَاءِ
فَقَاتَلُوا بِغَدْرِ ذُكْوَانَ مَعًا	رِعْلٍ عُصِيَّةٍ عَصَاةٍ أَجْمَعًا
وَعَدُوَّهُمْ سَبْعُونَ ثُمَّ قَدْ ثَبَتَتْ	أَنَّ النَّبِيَّ بَعْدَ ذَلِكَ شَهْرًا قَتَلَتْ
يَدْعُو عَلَى [قَاتِلِهِمْ] [٣] ثُمَّ تَرَكَ	وَذَلِكَ بِكُلِّ نَازِلٍ [٤] أَفْعَلُ دُونَ شَكِّ
وَكَانَ إِجْلَاءً بَيْنِي النَّضِيرِ	مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ بِزَمَنِ يَسِيرِ

[١] في المخطوط جعل نقطة للباء وثلاثاً فوقها للشاء، فيأتي (كثيراً)، و(كبيراً)، وفي المطبوع (كبيراً).

[٢] في المخطوط: [بعد] بدل (بهم).

[٣] وقع في المخطوط: [قاتلهم].

[٤] أي: وبكل نازلة افعل القنوت دون أن تتشكك في فعله؛ لأنه قد ثبت بالدليل.

لَمَّا أَرَادُوا بِالرَّسُولِ مَكْرًا
 أَنَّهُ جِبْرِيلُ سَرِيعًا بِالْخَبِيرِ
 حَاصِرُهُمْ سِتًّا فَأَنْزَلُوا عَلَيَّ
 وَسُورَةَ (الْحَشْرِ) بِذَلِكَ أَنْزَلْتُ
 وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَيْبِعِ الْأَوَّلِ
 ثُمَّ إِلَيَّ عَطْفَانُ غَزْوَةِ تَلِي
 وَكَانَ فِيهَا [قِصَّةٌ] (١) الَّذِي أَرَادَ
 وَقِصَّةَ الْحَالِفِ أَنْ يُهْرِيَتْ فِي
 حَيْثُ رَمَى حَرَسَ النَّبِيِّ بِأَسْهُمِ
 وَجَابِرٍ قَدْ بَاعَ فِيهَا جَمَلَهُ
 وَذَلِكَ فِي اثْنَتَيْ جُمَادَى الْأُولَى
 عَلَيَّ الَّذِي رَوَاهُ أَهْلُ السِّيَرِ
 مِنْهُمْ مُحَمَّدٌ هُوَ الْبُخَارِيُّ
 وَذَلِكَ يُرَى أَوْجَهَ مَّا قَدَّمَ
 بُرْهَانَنَا فِيهَا شُهُودُ الْأَشْعَرِيِّ
 كَذَا أَبُو هُرَيْرَةَ وَكَانَنَا
 كَذَلِكَ ابْنُ عُمَرَ وَأَوَّلُ

وَاللَّهُ بِالَّذِي أَسْرُرُوا أَدْرَى
 أَنْ قُمْ وَصَبَّحَ بِالْجِيُوشِ مَنْ عَدَرَ
 حُكْمِهِ فَكَانَ ذَلِكَ الْحُكْمُ الْجَلَا
 كَذَا الْحُكْمِ كُلِّ فِيءٍ فَصَلَّتْ
 وَجَاءَ فِي الْحُمُورِ تَحْرِيمٌ جَلِي
 وَسُمِّيَتْ ذَاتَ الرَّقَاعِ فَاعْقِلِ
 بِالْمُصْطَفَى فَتَكَا فَخَابَ مَا أَرَادَ
 صَحْبِ النَّبِيِّ دَمًا وَفَا بِالْحَلْفِ
 وَهُوَ يُصَلِّي مَعَ نَزْفٍ بِالْدَمِ
 مِنَ النَّبِيِّ وَرَدَّ وَالْقِيَمَةَ لَهُ
 وَفِيهِ إِشْكَالٌ فَعِ الْمَنْقُولَا
 وَقَالَ آخِرُونَ: بَعْدَ خَيْرِ
 وَهُوَ إِمَامٌ نَاقِلِي الْأَخْبَارِ
 وَلَا حَ فِي الْأَوَّلِ أَنْ قَدْ وَهَمَا
 وَوَفْدُهُ بَعْدَ انْقِضَاءِ خَيْرِ
 إِسْلَامُهُ فِي خَيْرِ اسْتَبَانَا
 مَشْهَدِهِ الْخَنْدَقُ فِيهَا نَقَلُوا

[١] في المخطوط: [وكان فيها غزوة الذي أراد].

كَذَا صَلَاةَ الْخَوْفِ فِيهَا ذَكَرُوا
بَلْ كَانَ فِي عُسْفَانَ شَرْعِيَّتِهَا
وَكَانَ فِيهَا غَزُوبُ بَدْرِ الْمَوْعِدِ
لَكِنْ أَبُو سُفْيَانَ عَنْهَا اخْتَلَفَا
فِيهَا ثَمَانٍ قَامَ ثُمَّ انْقَلَبَا
وَزَيْدٌ فِيهَا أَخَذَ الْكِتَابَا [١]

وَكَانَ الْأَحْزَابُ وَلَيْسَتْ تُذَكَّرُ
بَدَاءً وَلَا تُعَلَّمُ قَطُّ قَبْلَهَا
فِي شَهْرِ شَعْبَانَ بِأَلَا تَرُدُّ
وَالْجَيْشُ رُدَّ وَبَوَّعِدِ مَا وَفَى
بِنِعْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ لِيُثْرَبَا
عَنِ الْيَهُودِ لِيَعْيِيَ الْخِطَابَا [٢]

[١] في المخطوط: [كفابا]، وهو خطأ من الناسخ.

[٢] في المخطوط: [الكفايا]، وهو خطأ.

س٥٠ / مَاذَا وَقَعَ فِي سَنَةِ حَمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ؟

ج / فِيهَا غَزْوَةٌ دُومَةَ الْجَنْدَلِ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ

وسببها أنه بلغ النبي ﷺ أن بدومة الجندل جمعًا كثيرًا، وأنهم يظلمون من مرَّ بهم من الضافطة^(١) وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة وهي طرف من أفواه الشام بينها وبين دمشق خمس ليالٍ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلةً، فندب رسول الله ﷺ الناس واستخلف على المدينة سباع بن عُرفطة الغفاري، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكْمُنُ النهار ومعه دليل من بني عُذرة يقال له: مذكور، فلما دنا منهم إذا هم مغرَّبون وإذا آثار النَّعْمِ والشَّاءِ، فهجم على ماشيتهم ورُعَاتهم فأصاب ما أصاب وهرب من هرب في كلِّ وجه، وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أحدًا فأقام بها أيامًا وبث السرايا وفرقها فرجعت ولم تُصَبْ منهم أحدًا، وأخذَ منهم رجلٌ فسأله رسول الله ﷺ عنهم؟ فقال: هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نَعَمَهُم، فعرض عليه الإسلام، فأسلم، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلقَ كيدًا...^(٢)

وذكر الواقدي أن سبب هذه الغزوة: أن رسول الله ﷺ أراد أن يدنو من الشام

ليفزع قيصر^(٣)، أما ابن إسحاق فذكرها باختصار ولم يذكر لها سببًا.^(٤)

(١) الضافطة: الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المُدُن. "النهاية" (٢ / ٨٧).

(٢) "الطبقات" (٢ / ٥٨-٥٩).

(٣) "المغازي" (١ / ٤٠٣) للواقدي.

(٤) "السيرة" (ص ٣٩٢) لابن إسحاق.

وَفِيهَا فِي شَهْرِ شَوَّالٍ غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ ①.....

وهي الخندق، وقد بَوَّبَ الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في "صحيحه": [باب غزوة الخندق وهي الأحزاب].

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في "فتح الباري" (٤٩٩/٧): يعني أن لها اسمين وهو كما قال والأحزاب جمع حزب، أي: طائفة.

فأما تسميتها الخندق فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمر النبي ﷺ، وكان الذي أشار بذلك سلمان فيما ذكر أصحاب المغازي.

وأما تسميتها الأحزاب فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين وهم قريش وغطفان واليهود ومن تبعهم. اهـ

وكون غزوة الأحزاب كانت في السنة الخامسة هو قول ابن إسحاق في "السيرة" (ص ٣٩٢)، وجزم به غيره من أهل المغازي.

وقال موسى بن عقبة: إنها في السنة الرابعة. وتابعه مالك، والبخاري، فقد ذكر ذلك معلقاً فقال: قال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في "فتح الباري" (٥٠٠/٧): وقد بين البيهقي سبب هذا الاختلاف وهو أن جماعة من السلف كانوا يعدون التاريخ من المحرم الذي وقع بعد الهجرة ويلغون الأشهر التي قبل ذلك إلى ربيع الأول، وعلى ذلك جرى يعقوب بن سفيان في "تاريخه"، فذكر أن غزوة بدر الكبرى كانت في السنة الأولى

وأن غزوة أحد كانت في الثانية، وأن الخندق كانت في الرابعة، وهذا عمل صحيح على ذلك البناء لكنه بناء وإمخالف لما عليه الجمهور من جعل التاريخ من المحرم سنة الهجرة^(١)، وعلى ذلك تكون بدر في الثانية، وأحد في الثالثة، والخندق في الخامسة وهو المعتمد. اهـ

أما سبب هذه الغزوة:

هو أن نفرًا من اليهود منهم سلام بن أبي الحُقَيْقِ النضري وحُيَيِّ بن أخطب النضري، وكنانة بن أبي الحُقَيْقِ النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل وهم الذين حزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إِنَّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُ. فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد؛ أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه. فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

فلما قالوا ذلك لقريش سرَّهم، ونشطوا لِمَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ

(١) لأن ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم؛ إذ البيعة وقعت في أثناء ذي الحجة وهي مقدّمة الهجرة، فكان أول هلال استهل بعد البيعة والعزم على الهجرة هلال المحرم فناسب أن يُجعل مبتدأ. وينظر التعليق على السؤال رقم (٣٨).

ﷺ؛ فاجتمعوا لذلك، وَاَتَعَدُّوا لَهُ، ثُمَّ خَرَجَ أَوْلَئِكَ النَّفَرُ مِنْ يَهُودٍ حَتَّى جَاءُوا غَطْفَانَ مِنْ قَيْسِ غَيْلَانَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَّ قَرِيشَ ^(١) قَدْ تَابَعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَاجْتَمَعُوا مَعَهُمْ فِيهِ، فَخَرَجَتْ قَرِيشٌ وَقَائِدُهَا أَبُو سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَخَرَجَتْ غَطْفَانُ وَقَائِدُهَا عَيْنَةُ بْنُ حَصْنِ بْنِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ فِي بَنِي فِزَارَةَ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّيِّ فِي بَنِي مَرَّةٍ، وَمَسْعَدُ بْنُ رَخِيلَةَ بْنِ نُؤَيْرَةَ بْنِ طَرِيفِ بْنِ سَمْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَلَالِ بْنِ خَلَاوَةَ بْنِ أَشْجَعِ بْنِ رَيْثِ بْنِ غَطْفَانَ فَيَمِّنُ تَابِعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أَشْجَعِ. ^(٢)

فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصُولَهُمْ ^(٣) مِنْ مَكَّةَ نَدَبَ النَّاسَ وَأَخْبَرَهُمْ خَبَرَ عَدُوَّهُمْ، وَشَاوَرَهُمْ فِي أَمْرِهِمْ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيُّ بِالْخَنْدَقِ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ، وَعَسَكَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَفْحِ سَلْعِ ^(٤)، وَجَعَلَ سَلْعًا خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةَ آلَافٍ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، ثُمَّ خَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ وَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ يَعْمَلُونَ مُسْتَعْجِلِينَ يِيَادِرُونَ قُدُومَ عَدُوَّهُمْ عَلَيْهِمْ، وَعَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ بِيَدِهِ؛ لِيَنْشِطَ الْمُسْلِمِينَ. ^(٥)

(١) كَذَا فِي "السَّيْرَةِ" لِابْنِ إِسْحَاقَ، وَقَرِيشٌ إِنْ أُرِيدَ بِهِ الْحَيُّ صُرِفَ، وَإِنْ أُرِيدَ بِهِ الْقَبِيلَةُ لَمْ يَصْرَفْ. "مَخْتَارُ الصَّحَاحِ" مَادَّةُ: قَرَشٌ.

(٢) ابْنُ إِسْحَاقَ (ص ٣٩٢-٣٩٣) بِإِسْنَادٍ مَرْسَلٍ.

(٣) أَي: خُرُوجِهِمْ.

(٤) هُوَ جَبَلٌ بِسُوقِ الْمَدِينَةِ كَمَا فِي "مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ" (٣/٢٦٨)، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: سَلْعٌ مَوْضِعٌ بِقَرْبِ الْمَدِينَةِ. "تَهْذِيبُ اللَّغَةِ" (٢/٩٩).

(٥) "الطَّبَقَاتُ" (٢/٦٢-٦٣).

قال البراء رضي الله عنه: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ، وَخَنَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الْخَنْدَقِ، حَتَّى وَارَى عَنِّي الْغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعْرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا
فَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِّينَا
وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَا قَيْنَا
وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا
إِنَّ الْأَلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا

قَالَ: ثُمَّ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِآخِرِهَا. (١)

وكان الصحابة يقولون:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا
عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا

والرسول ﷺ يقول:

اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَةِ
فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ (٢)

وكانوا رضي الله عنهم إذا واجهتهم أثناء الحفر صخرة لا يستطيعون على تكسيروها

يستعينون به ﷺ.

لذا قال جابر رضي الله عنه: إِنَّا يَوْمَ الْخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدَيْةٌ (٣) شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا

(١) رواه البخاري برقم (٤١٠٦)، ومسلم برقم (١٨٠٣).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٠٩٨)، ومسلم برقم (١٨٠٥).

(٣) الكُدَيْة: قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفاس. "النهاية" (٥٢٧ / ٢) مادة: كدا.

النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُذْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الْخَنْدَقِ. فَقَالَ: «أَنَا نَازِلٌ»، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوْاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِعْوَلَ فَضْرَبَ فِي الْكُذْيَةِ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلًا، أَوْ أَهْيَمًا. (١)

ولما رأى جابر رضي الله عنه ما رأى من الجوع الذي أصاب رسول الله ﷺ استأذنه قائلاً له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْذَنْ لِي إِلَى الْبَيْتِ. قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرًا، فَعِنْدَكَ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعِنَاقٌ (٢). فَذَبَحَتِ الْعِنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ، وَالْبُرْمَةُ بَيْنَ الْأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعِيمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: «كَمْ هُو؟» فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: «كَثِيرٌ طَيِّبٌ»، قَالَ: قُلْ لَهَا: «لَا تَنْزِعِ الْبُرْمَةَ، وَلَا الْخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِي»، فَقَالَ: «قَوْمُوا»، فَقَامَ الْمُهَاجِرُونَ، وَالْأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكَ، جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلْتِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا» فَجَعَلَ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ الْبُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرَّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الْخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: كُلِّي هَذَا وَأَهْدِي؛ فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ. (٣)

(١) رواه البخاري برقم (٤١٠١).

(٢) هي الأثني من أولاد المعز ما لم يتم له سنة. «النهاية» (٢/ ٢٦٤) مادة: عنق.

(٣) رواه البخاري برقم (٤١٠١)، ومسلم برقم (٢٠٣٩).

ولمسلم: قال جابر: وَهُمْ أَلْفٌ، فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَأَكْلُوا حَتَّى تَرَكَوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَتَنَا لَتُخْبِزُ كَمَا هُوَ.

وما حصل منه ﷺ يعتبر من دلائل نبوته وبركاته صلوات ربي وسلامه عليه.

ولمَّا فرغ ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من دومة بين الجرف وزغابة^(١) في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره.^(٢)

وذهب حيي بن أخطب عدو الله إلى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك، وعاهده، فما زال به حيي بن أخطب حتى نقض العهد.^(٣)

ولمَّا وصل الخبر إلى النبي ﷺ قال: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. ثُمَّ قَالَ: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. ثُمَّ قَالَ: «مَنْ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: أَنَا. ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٍّ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرِ».^(٤)

(١) وورد كذلك بلفظ: (زَغَابَة) بالعين المهملة. انظر "معجم ما استعجم" (٢/٦٩٨)، وللفادة ينظر

"معجم معالم الحجاز" (٤/٧٥٩-٧٦٠) للبلادى.

(٢) "تاريخ الطبري" (٢/٥٧٠) وهو مرسل.

(٣) "تاريخ الطبري" (٣/٥٧٠) مرسل.

(٤) رواه البخاري برقم (٤١١٤)، ومسلم برقم (٢٤١٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وكذلك أرسل النبي ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان وهو يومئذ سيد الأوس والخزرج، وسعد بن عباد بن ديلم أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وعبدالله بن رواحة في آخرين...، فقال لهم: «إِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لِحْنًا»^(١) أعرفه، وَلَا تَفْتُوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ»، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخصب ما بلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله ﷺ، وقالوا: مَنْ رَسُولُ اللَّهِ؟ لَا عَهْدَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَلَا عَقْدَ فَشَاتَمَهُمْ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ وَشَاتَمُوهُ، وَكَانَ رَجُلًا فِيهِ حِدَّةٌ، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ: دَعْ عَنْكَ مِشَاتَمَهُمْ، فَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَى مِنَ الْمِشَاتِمَةِ.

ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه ثم قالوا: عضل والقارة. أي: كغدر عضل، والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أَبْشُرُوا يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ».^(٢)

وحاصر الكفار المدينة وأمطروهم المسلمون بالنبل واشتد الحصار وطال أربعًا وعشرين ليلة.^(٣)

(١) اللحن هو أن يقول قولاً الشخص قولاً يفهمه من يتكلم معه دون غيره، قال ابن الأثير: يقال: لحن فلان إذا قلت له قولاً يفهمه ويخفى على غيره؛ لأنك تميله بالتورية عن الواضح المفهوم، ومنه قالوا: لحن الرجل، فهو لحن، إذا فهم وقطن لما لا يظن له غيره. «النهاية» (٢/٥٩٣) مادة: لَحَنَ.

(٢) ابن إسحاق بدون سند.

(٣) «الطبقات» (٢٠/٧٣) مرسل، «السيرة النبوية» للعمري (٢/٤٢٨).

وتيمم جماعة من قريش مكاناً ضيقاً من الخندق منهم عكرمة بن أبي جهل، وهيرة بن أبي وهب، وعمرو بن عبد ودّ، فضربوا خيلهم، فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسَلْع، وخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفرٍ معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، فطلب عمرو بن عبد ودّ المبارزة، فبرز له علي، فتنازلا وتجاولا فقتله علي، وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة. ^(١)

وفي ليلة من الليالي أرسل الله ريحاً شديدة تفعل بالمشركين ما تفعل لا تقر لهم قدراً، ولا ناراً، ولا بناءً.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

فما كان منه ﷺ إلا أن أرسل أحد أصحابه ليأتيه بخبر القوم.

قال حذيفة رضي الله عنه: لَقَدْ رَأَيْتَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذْتَنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ ^(٢)، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكْتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكْتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ

(١) ابن إسحاق (ص ٤٠١) بتصرف، و"تاريخ الطبري" (٢/ ٥٧١) مرسل.

(٢) القر هو البرد. "النهاية" (٢/ ٤٣٥) مادة: قَرَر.

الْقَوْمَ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «قُمْ يَا حُدَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبْرِ الْقَوْمِ»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «أَذْهَبُ فَأْتِنِي بِخَبْرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ»، فَلَمَّا وَكَيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سَفِيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ^(١) بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبْرِ الْقَوْمِ، وَفَرَعْتُ قُرْزُ^(٢)، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عِبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ»^(٣).

وفي رواية ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٧٤٤ / ٢) زاد: فدخلت في القوم والريح جنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقرر لهم قدرًا ولا نارًا، ولا بناءً، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر كلُّ امرئٍ مَنْ جليسه. قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: فلان ابن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام؛ لقد هلك الكراع^(٤) والخف^(٥)، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما

(١) أي: يذفته.

(٢) أي: بردت.

(٣) رواه مسلم برقم (١٧٨٨).

(٤) الكراع: اسم لجميع الخيل. «النهاية» (٥٣٤ / ٢) مادة: كَرَغَ.

(٥) الخف: الإبل. «النهاية» (٥١٢ / ١) مادة: حَقَفَ.

ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناءً، فارتحلوا؛ فإني مرتحل. ثم قام إلى جملة وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي: «ألا تحدث شيئاً حتى تأتيني» ثم شئت؛ لقتلته بسهم... وهو مرسل.

ثُمَّ غَزَوْهُ قُرَيْظَةَ مَرَجِعُهُ مِنَ الْخَنْدَقِ ① وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ:

لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السَّلَاحَ وَاعْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «قَدْ وَضَعْتَ السَّلَاحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ» قَالَ: «فَالِي أَيْنَ؟» قَالَ: «هَا هُنَا»، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ. ①

قال أنس رضي الله عنه: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْعَبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنَمٍ، مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. ②

وكان رضي الله عنه أمر أصحابه أن ينطلقوا إلى بني قريظة قائلاً لهم: «لَا يُصَلِّينَ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ» قال ابن عمر رضي الله عنهما: فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يَرِدْ مِنَّا ذَلِكَ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنْفَ وَاحِدًا مِنْهُمْ. ③

قال الحافظ رحمته الله في «فتح الباري» (٧/ ٥١٩): قوله لا يصلين أحد العصر كذا وقع في جميع النسخ عند البخاري، ووقع في جميع النسخ عند مسلم الظهر، مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد....، وقد جمع بعض العلماء بين الروایتين: باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها فقبل لمن لم يصلها لا يصلين أحد الظهر ولمن صلاها لا

① رواه البخاري برقم (٤١١٨)، ومسلم برقم (١٧٦٩) عن عائشة رضي الله عنها.

② رواه البخاري برقم (٤١١٩).

③ رواه البخاري برقم (١٣٢٠)، ومسلم برقم (١٧٧٠) إلا أن عنده: (الظهر) بدل: (العصر).

يصلين أحد العصر، وجمع بعضهم: باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة فقيل للطائفة الأولى: الظهر. وقيل للطائفة التي بعدها: العصر. وكلاهما جمع لا بأس به. انتهى المراد.^(١)

(١) وللفادة انظر: «الفصول» لابن كثير (ص ١١٤-١١٥)، و«زاد المعاد» (٣/ ١٣١-١٣٢).

تُقْتَلُ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَسَبِي ذَرَارِيهِمْ، وَغَنِيمَةُ أَمْوَالِهِمْ ^(١)، وَنَزَلَ فِيهِمْ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾﴾ [الأحزاب: ٩-٢٧].

^(٢) أُصِيبَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: حَبَّانُ بْنُ الْعَرِقَةِ، رَمَاهُ فِي الْأَكْحَلِ ^(١)، فَضْرَبَ النَّبِيَّ ﷺ خِيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ. ^(٢)

وَلَمَّا غَزَا النَّبِيُّ ﷺ بَنِي قُرَيْظَةَ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَفَرَدَ النَّبِيُّ ﷺ الْحُكْمَ إِلَيْهِ قَالٍ: فَإِنِّي أَحْكَمُ فِيهِمْ أَنْ تَقْتُلَ الْمُقَاتِلَةَ، وَأَنْ تُسَبِيَ النِّسَاءَ وَالذَّرِيَةَ، وَأَنْ تَقْسَمَ أَمْوَالَهُمْ. ^(٣)

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «قَضَيْتُ بِحُكْمِ اللَّهِ»، وَرَبَّمَا قَالَ: «قَضَيْتُ بِحُكْمِ الْمَلِكِ». ^(٤)

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَتَلْتُ رِجَالَهُمْ، وَقَسَمَ نِسَاءَهُمْ، وَأَوْلَادَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بَعْضَهُمْ لِحَقِّهَا بِالنَّبِيِّ ﷺ فَأَمْنَهُمْ، وَأَسْلَمُوا... ^(٥)

(١) الأكل: عِرْقٌ فِي وَسْطِ الذَّرَاعِ يَكْتَثُرُ فَضْدُهُ. «النهاية» (٢/٥٢٦) مادة: كَحَلَّ.

(٢) رواه البخاري برقم (٤١٢٢)، ومسلم برقم (١٧٦٩).

(٣) رواه البخاري برقم (٤١٢٢)، ومسلم برقم (١٧٦٩).

(٤) رواه البخاري برقم (٤١٢١)، ومسلم برقم (١٧٦٨).

(٥) رواه البخاري برقم (٤٠٢٨)، ومسلم برقم (١٧٦٦).

وقالت **رضي الله عنها**: لم يقتل من نسائهم إلا امرأة إنها لعندي تُحَدِّثُ تضحك ظهرًا وبطناً، ورسول الله **ﷺ** يقتل رجالهم بالسيوف إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا. قلت: وما شأنك؟ قالت: حَدَّثُ أحدثته. فأنطَلِقُ بها، فضربت عنقها، فما أنسى عجبًا منها أنها تضحك ظهرًا وبطناً وقد علمت أنها تقتل. ^(١)

قيل: إن الحدث الذي أحدثته هذه المرأة هو سبها للنبي **ﷺ**، وأما من كان دون سن البلوغ فلم يقتل، وإنما يجعل في السببي بعد التأكد من ذلك، قال عطية القرظي **رضي الله عنه**: كنت من سبي بني قريظة، فكانوا ينظرون: فمن أنبت الشعر قُتِلَ، ومن لم ينبت لم يقتل، فكنت فيمن لم ينبت. ^(٢)

(١) رواه أحمد (٢٧٧ / ٦)، وغيره، وهو حديث حسن، وقد حسنه شيخنا **رحمته الله** في "الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين" (٣ / ٢٩٩).

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٤٠٤) وغيره، وهو حديث صحيح، وصححه شيخنا **رحمته الله** في "الجامع الصحيح" (٣ / ٢٩٩).

س٥١ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْحَوَادِثِ؟

ج / فِيهَا مَوْتُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ عَقِبَ قَتْلِهِ ^(١) بَنِي قُرَيْظَةَ ^(٢) ، وَفِيهَا قُتِلَ ابْنُ أَبِي الْحَقِيقِ بَعْدَ قُرَيْظَةَ ، قَتَلَتْهُ الْخَزْرَجُ ، وَهُمْ خَمْسَةٌ الْمُبَاشِرُ مِنْهُمْ لِقَتْلِهِ: عِبْدَ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ ^(٣)

أي: عقب حكمه عليهم بذلك.

بعدهما حكم سعد رضي الله عنه على بني قريظة بما تقدم، وهو في الخيمة التي ضربت له في المسجد قال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَبُوا رَسُولَكَ صلى الله عليه وسلم وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؛ فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ، حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَأَفْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتِي فِيهَا. فَأَنْفَجَرْتُ مِنْ لَبَّتِهِ ^(١) فَلَمْ يُرْعَهُمْ - وَفِي الْمَسْجِدِ خَيْمَةٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ - إِلَّا الدَّمُ يَسِيلُ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَهْلَ الْخَيْمَةِ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِينَا مِنْ قِبَلِكُمْ؟ فَإِذَا سَعْدٌ يَغْدُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا رضي الله عنه. ^(٢)

كان سلام بن أبي الحقيق وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول

الله صلى الله عليه وسلم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يريح المسلمين منه ومن شره. ^(٣)

(١) اللَّبَّةُ هي: الهَزْمَةُ التي فوق الصدر، وفيها تُنْحَرُ الإِبِلُ. "النهاية" (٢/ ٥٨٠) مادة: لَبَبَ.

(٢) رواه البخاري برقم (٤١٢٣)، ومسلم برقم (١٧٦٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) ابن إسحاق (ص ٤٣٠).

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَبِي رَافِعٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَتِيكٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَتْبَةَ، فِي نَاسٍ مَعَهُمْ، فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى دَنَوْا مِنَ الْحِصْنِ ^(١)، فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكٍ: امْكُثُوا أَنْتُمْ حَتَّى أَنْطَلِقَ أَنَا فَأَنْظُرُ، قَالَ: فَتَلَطَّفْتُ أَنْ أَدْخُلَ الْحِصْنَ، فَفَقَدُوا حِمَارًا لَهُمْ، قَالَ: فَخَرَجُوا بِقَبَسٍ يَطْلُبُونَهُ، قَالَ: فَخَشِيتُ أَنْ أُعْرَفَ، قَالَ: فَغَطَّيْتُ رَأْسِي وَجَلَسْتُ كَأَنِّي أَقْضِي حَاجَةً، ثُمَّ نَادَى صَاحِبُ الْبَابِ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ فَلْيَدْخُلْ قَبْلَ أَنْ أُغْلِقَهُ، فَدَخَلْتُ، ثُمَّ اخْتَبَأْتُ فِي مَرْبِطِ حِمَارٍ عِنْدَ بَابِ الْحِصْنِ، فَتَعَشَّوْا عِنْدَ أَبِي رَافِعٍ، وَتَحَدَّثُوا حَتَّى ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ، فَلَمَّا هَدَّاتِ الْأَصْوَاتُ، وَلَا أَسْمَعُ حَرَكَةً خَرَجْتُ، قَالَ: وَرَأَيْتُ صَاحِبَ الْبَابِ، حَيْثُ وَضَعَ مِفْتَاحَ الْحِصْنِ فِي كَوْهَةٍ ^(٢)، فَأَخَذْتُهُ فَفَتَحْتُ بِهِ بَابَ الْحِصْنِ، قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ نَذْرَ ^(٣) بِي الْقَوْمِ انْطَلَقْتُ عَلَى مَهَلٍ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، فَغَلَقْتُهَا عَلَيْهِمْ مِنْ ظَاهِرٍ، ثُمَّ صَعَدْتُ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فِي سَلَمٍ، فَإِذَا الْبَيْتُ مُظْلَمٌ، قَدْ طَفِيَ سِرَاجُهُ، فَلَمْ أَدْرِ أَيْنَ الرَّجُلِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: فَعَمَدْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ وَصَاحَ، فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ كَأَنِّي أُغِيثُهُ، فَقُلْتُ: مَا لَكَ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ وَعَيَّرْتُ صَوْتِي، فَقَالَ: أَلَا أُعْجِبُكَ، لِأُمَّكَ الْوَيْلِ، دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ فَضْرَبَنِي بِالسَّيْفِ، قَالَ: فَعَمَدْتُ لَهُ أَيضًا فَأَضْرِبُهُ

(١) الحِصْنِ: القصر. "النهاية" (٣٨٨ / ١) مادة: حَصَنَ.

(٢) الكَوْهَةُ، تُفْتَحُ وتُضْم: الثقبه في الحائط. "المصباح المنير" (٥٤٥ / ٢).

(٣) أي: علم بي، وأصل الإنذار: الإعلام، يقال: أنذرته أنذره إنذارًا، إذا أعلمته، فأنا منذرٌ ونذير، أي:

مُخَوِّفٌ ومُحَذِّرٌ، ونذرت به إذا علمت. "النهاية" (٧٢٨ / ٢) مادة: نَذَرَ.

أُخْرَى، فَلَمْ تُغْنِ شَيْئًا، فَصَاحَ وَقَامَ أَهْلُهُ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ وَعَيَّرْتُ صَوْتِي كَهَيْئَةِ
الْمُغِيثِ فَإِذَا هُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَأَضَعُ السَّيْفَ فِي بَطْنِهِ ثُمَّ أَنْكَفَيْتُ عَلَيْهِ حَتَّى
سَمِعْتُ صَوْتَ الْعَظْمِ، ثُمَّ خَرَجْتُ دَهْشًا حَتَّى آتَيْتُ السُّلَمَ، أُرِيدُ أَنْ أَنْزَلَ فَأَسْقَطُ
مِنْهُ، فَانْخَلَعْتُ رِجْلِي فَعَصَبْتُهَا، ثُمَّ آتَيْتُ أَصْحَابِي أَحْجَلُ^(١)، فَقُلْتُ: انْطَلِقُوا
فَبَشِّرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِنِّي لَا أَبْرُحُ حَتَّى أَسْمَعَ النَّاعِيَةَ، فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ
الصُّبْحِ صَعِدَ النَّاعِيَةَ، فَقَالَ: أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ. قَالَ: فَقُمْتُ أَمْسِي مَا بِي قَلْبَةً، فَأَذْرَكْتُ
أَصْحَابِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَبَشَّرْتُهُ^(٢).

(١) الْحَجَلُ: هُوَ أَنْ يَرْفَعَ رِجْلًا وَيَقْفِزَ عَلَى الْأُخْرَى، وَقَدْ يَكُونُ بِالرِّجْلَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ قَفَزَ. وَقِيلَ: الْحَجَلُ:
مَشِي الْمُقَيَّدِ. وَالْمَرَادُ فِي الْحَدِيثِ هُوَ الْأَوَّلُ. "النهاية" (١ / ٣٣٨-٣٣٩).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ (٤٠٤٠).

وَبَعْدَهُ قُتِلَ خَالِدُ بْنُ نُبَيْحِ الْهُذَلِيِّ، قَتَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُنَيْسٍ ^(١)، وَفِيهَا تَرَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ وَبَزَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ^(١)، وَقَبَلَهَا بِأُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ ^(٢) فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَأُنزِلَتْ فِيهَا آيَاتٌ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ مِنْهَا آيَةُ الْحِجَابِ ^(٣).

قال عبد الله بن أنيس رضي الله عنه: دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ سُفْيَانَ بْنَ نُبَيْحٍ يَجْمَعُ لِي النَّاسَ لِيَعْرُزُونِي وَهُوَ بَعْرَنَةٌ ^(٤) فَأْتِيهِ فَاقْتُلْهُ»، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْعَتَهُ لِي حَتَّى أَعْرِفَهُ. قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَهُ وَجَدْتَ لَهُ أَفْشَعِرِيَّةً»، قَالَ: فَخَرَجْتُ مُتَوَشِّحًا بِسَيْفِي حَتَّى وَقَعْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ بَعْرَنَةٌ مَعَ ظُعْنٍ ^(٥) يَرْتَادُ لَهُنَّ مَنْزِلًا، وَحِينَ كَانَ وَقْتُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ وَجَدْتُ مَا وَصَفَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَفْشَعِرِيَّةِ، فَأَقْبَلْتُ نَحْوَهُ وَخَشِيتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مُجَاوِلَةٌ تَشْغَلُنِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَصَلَّيْتُ وَأَنَا أَمْشِي نَحْوَهُ أَوْمِي بِرَأْسِي الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ قَالَ: مَنْ الرَّجُلُ؟ قُلْتُ: رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ سَمِعَ بِكَ وَبِجَمْعِكَ لِهَذَا الرَّجُلِ فَجَاءَكَ لِهَذَا. قَالَ: أَجَلٌ أَنَا فِي ذَلِكَ. قَالَ: فَمَشَيْتُ مَعَهُ شَيْئًا حَتَّى إِذَا أَمَكَّنَنِي

(١) انظر "السيرة" لابن إسحاق (ص ٢٨٣).

(٢) انظر "السيرة" لابن إسحاق (ص ٢٨١).

(٣) انظر "صحيح مسلم" برقم (١٤٢٨).

(٤) عُرْتَةٌ: بوزن هُمزة وإِدْ بِحذاء عرفات. "معجم البلدان" (٤ / ١١١).

(٥) الطُّعْنُ: النساء، واحدهن طعينة، وأصل الطعينة الراحلة التي يرحل ويظعن عليها، أي: يُسَار، وقيل للمرأة: طعينة؛ لأنها تَطْعَنُ مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت، وقيل: الطعينة المرأة في اليهودج. ثم قيل: لليهودج بلا امرأة، وللمرأة بلا هودج: طعينة. "النهاية" (٢ / ١٤٠) مادة: طَعَنَ.

حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ حَتَّى قَتَلْتُهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَتَرَكْتُ ظَعَائِنَهُ مُكَبَّاتٍ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَنِي، فَقَالَ: «أَفْلَحَ الْوَجْهُ»، قَالَ: قُلْتُ: قَتَلْتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «صَدَقْتَ»، قَالَ: ثُمَّ قَامَ مَعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ بِي بَيْتِهِ فَأَعْطَانِي عَصًا فَقَالَ: «أَمْسِكْ هَذِهِ عِنْدَكَ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُنَيْسٍ» قَالَ: فَخَرَجْتُ بِهَا عَلَى النَّاسِ فَقَالُوا: مَا هَذِهِ الْعَصَا؟ قَالَ: قُلْتُ: أَعْطَانِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَمْسِكَهَا. قَالُوا: أَوْ لَا تَرْجِعْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْعَصَا؟ قَالَ: «آيَةٌ بِيُنْيِي وَيُنْيِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ أَقْلَ النَّاسِ الْمُتَخَصَّرُونَ يَوْمَئِذٍ»، فَقَرَنَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِسَيْفِهِ فَلَمْ تَزَلْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ أَمَرَ بِهَا فَصُبَّتْ مَعَهُ فِي كَفَنِهِ، ثُمَّ دُفِنَا جَمِيعًا. (١)

قال الشيخ حافظ رحمته الله عن وقائع السنة الخامسة:

(١) رواه أحمد (٤٩٦/٣)، وأبو يعلى (٢٠١-٢٠٢) برقم (٩٠٥)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٤٢/٤)، و"السنن" (٣/٢٥٦).

وهو حديث ضعيف؛ لأنه من طريق ابن عبد الله بن أنيس، عن أبيه، وابن عبد الله هذا هو عبد الله كما جاء التصريح باسمه عند البيهقي، ذكره البخاري في "التاريخ الكبير" (٣٢/٥)، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٩٠/٥)، ولم يذكر فيه جرْحًا ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في "الثقات" (٣٧/٥)، ورواه أبو نعيم في "الحلية" (٦-٥/٢)، و"أخبار أصبهان" (١٨٩/١) كما في "الصحيحة" (٢٩٨١) للألباني رحمته الله من طريق: محمد بن كعب، عن عبد الله بن أنيس الجهني أن رسول الله ﷺ قال: ... وذكره باختصار، وجوّد الألباني إسناده، لكنني لم أجد من ذكر محمد بن كعب من الرواة عن عبد الله بن أنيس؛ فيُخَشَى من سقوط واسطة بينهما، والله أعلم.

وانظر "السيرة" لابن هشام (٢٦٧/٤)، و"الطبقات" (٩١/٢)، و"أنساب الأشراف" (٣٧٦/١).

فِيهَا غَزَا أَثَرِ رَيْعِ الْأَوَّلِ
 وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا قِتَالٌ وَرَجَعُ
 وَكَانَ فِيهَا غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ
 أَسْبَابُهَا يَهُودُ أُمَّةِ الْغَضَبِ
 يَحُثُّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ لِلنَّبِيِّ
 وَنَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي قَدْ عَقَدُوا
 بِزَعْمِهِمْ لِلدِّينِ أَنْ يَسْتَأْصِلُوا
 فَبَادَرَ النَّبِيُّ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ
 وَكَمْ يَحْفَرُهُ مِنَ الْآيَاتِ قَدْ
 وَجَاءَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَسْفَلَ
 وَزَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَأَشْتَدَّ الْقَلْقُ
 وَنَجَّمَ النَّفَاقُ وَأَسْتَبَانَا
 وَقَدْ أَسَاءَ الشَّاكُّ الظُّنُونَا
 وَأَقْتَحَمَ الْخَنْدَقَ عَمْرُو إِذْ حَضَرَ
 نَارَ لَهُ عَلَيُّ دُونَ الْخَنْدَقِ
 وَانْقَلَبَتْ خِيُولُهُ مُهْزَمَةً
 وَكَانَ قَدْرُ مُدَّةِ الْحَصَارِ
 بِأَنْ تَخَاذَلَ الْعِدَا وَاخْتَلَفُوا
 لِنَحْوِ دَوْمَةٍ أَضْفَ لِلْجَنْدَلِ
 مِنْ بَعْدِ شَهْرٍ غَانِمًا كَذَا وَقَعُ
 فِي شَهْرِ شَوَّالٍ بِأَلَا ارْتِيَابِ
 إِذْ بَعَثُوا إِلَى قُرَيْشٍ مَنْ ذَهَبُ
 وَغَزَوْهُ مَعَ حِزْبِهِ بِيثْرِبِ
 مَعَ الرَّسُولِ فَاعْتَدُوا وَاتَّعَدُوا
 وَاللَّهُ لَا يُهْمِلُ لَكِنْ يُمְهِلُ
 بِرَأْيِ سَلْمَانَ الصَّدُوقِ الْمُتَّقِي
 أَظْهَرَهَا اللَّهُ لِأَرْيَابِ الرَّشْدِ
 عَدُوَّهُمْ وَأَشْتَدَّ إِذْ ذَاكَ الْبَلَا
 وَعَظُمَ الزَّلْزَالُ لِلْأَمْرِ الْأَشَقِّ
 وَازْدَادَ كُلُّ مُؤْمِنٍ إِيْمَانَنَا
 بِاللَّهِ وَازْدَادَ التَّقِي يَقِينَنَا
 مِيقَاتِ حَتْفِهِ فَسَاقَهُ الْقَدْرُ
 فَكَانَ ضَرْبَةً بِهِمَا مَاتَ الشَّقِي
 وَالرُّمْحُ أَلْقَى حِينَ فَرَّ عِكْرِمَةَ
 عَشْرِينَ ثُمَّ جَاءَ نَصْرُ الْبَارِي
 وَكَانَ فِي ذَا لِنَعِيمٍ شَرَفُ

وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِيحًا
وَقَدْ دَعَا النَّبِيَّ مُسْتَغِيثًا
فَرَدَّهُمْ بِالْغَيْظِ لَمْ يَتَالُوا
هَذَا وَلَمَّا انْقَلَبَ الرَّسُولُ
قَالَ: هَلْ وَضَعْتُمُ السَّلَاحَ لَا
بَنِي قُرَيْظَةَ [الألى] [١٦] قَدْ نَكثُوا
فَأَذَّنَ الرَّسُولُ يَأْمَنُ أَسْلَمُوا
حَاصِرَهُمْ خَمْسًا تَلِي عِشْرِينَ
لِحُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِيهِمْ
وَكَانَ قَدْ وَافَقَ ذَا الْحُكْمِ الْجَلِي
فَضْرِبَتْ أَعْنَاقُ كُلِّ مُحْتَلِمٍ
وَأُنزِلَتْ [مِنْ أَوْلٍ] [٢] الْأَحْزَابِ
مِنْ قَوْلِهِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ)
وَمَاتَ سَعْدٌ بَعْدَ ذَا شَهِيدًا
وَكَانَ قَتْلُ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ

كَذَا جُنُودًا لَمْ تَرَ صَرِيحًا
رَبَّ السَّمَاءِ فَعَاجِلًا أُغِيثَا
خَيْرًا وَقَدْ أَعْنَاهُمُ الزَّلْزَالُ
لِأَهْلِهِ إِذْ جَاءَهُ جَبْرِيْلُ
وَاللَّهُ إِنَّمَا لَمْ نَضَعُهُ أَذْهَبَ إِلَى
أَيَّانَهُمْ غَدْرًا وَلَمْ يَكْتَرِثُوا
أَنْ لَا تَصَلُّوا الْعَصْرَ إِلَّا فِيهِمْ
وَنَزَلُوا مِنْ بَعْدِ خَاسِئِنَا
بِالْقَتْلِ وَالسَّبِيِّ وَمَالٍ يُغْنِمُ
حُكْمَ الْإِلَهِ فَوْقَ عَرْشِهِ الْعَلِيِّ
مِنْهُمْ بِحُكْمِ اللَّهِ وَالْمَالِ قِسْمُ
أَيُّ اعْتِبَارٍ لِأَوْلِي الْأَبَابِ
إِلَى (قَدِيرٍ) جَاءَ مُسْتَتِينًا
كَانَ النَّبِيُّ لَهُ بِذَا [٣] شَهِيدًا
بَعْدَ قُرَيْظَةَ عَلَى التَّحْقِيقِ

[١٦] في المخطوط: [الذي] بدل: (الأولى).

[٢] في المخطوط: [وأنزلت في ذا من الآيات].

[٣] في المخطوط: [كان النبي بذا له شهيدًا].

وَقَتْلُهُ كَانَ بِأَيْدِي الْخَزْرَجِ لَيْلًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ مُحْرَجٍ
وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ قَتْلُ خَالِدِ ابْنِ نُبَيْحِ الْهَذَلِيِّ السَّارِدِ
عَبْدُ الْإِلَهِ بْنِ أَنْسِ قَتَلَهُ فَفَازَ بِالْوَعْدِ الَّذِي لَا خُلْفَ لَهُ
ثُمَّ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ ثُمَّ بَعْدَهَا بِزَيْنَبِ
وَقَدْ تَوَلَّى اللَّهُ عَقْدَهَا كَمَا يُتْلَى بِذِي الْقَعْدَةِ لَا تَوْهَمَا
وَأَنْزَلَتْ فِيهَا مِنَ الْأَحْزَابِ أَيُّ وَمِنْهَا آيَةُ الْحِجَابِ

س٥٢ / ما الَّذِي شُرِعَ فِي سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْعِبَادَاتِ؟

ج / فِيهَا شُرِعَتْ صَلَاةُ الْخَوْفِ فِي غَزْوَةِ عُسْفَانَ ① شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى،
فِيهَا [و] ① فِي ذِي الْقَعْدَةِ ② اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَّةِ وَصَدَّهُ
الْمُشْرِكُونَ، وَكَانَ فِيهَا بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ، وَفِيهَا بَيَانُ حُكْمِ الْمُحْصَرِ ③ ..

① سيأتي الكلام عليها في الجواب عن السؤال رقم (٥٣).

② هذا هو الصحيح، وهو قول الزهري، وقتادة، وموسى بن عقبة، ومحمد
ابن إسحاق، وغيرهم، وقال هشام بن عروة، عن أبيه: خرج رسول الله ﷺ إلى
الحديبية في رمضان، وكانت في شوال. وهذا وهم، وإنما كانت غزاة الفتح في
رمضان، وقد قال أبو الأسود عن عروة: إنها كانت في ذي القعدة على الصواب.
وفي «الصحيحين» عن أنس أن النبي ﷺ اعتمر أربع عُمَر كُلُّهُنَّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ،
فذكر منها عمرة الحديبية ... ②.

③ خرج النبي ﷺ فَلَمَّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَةِ ③، قَلَدَ الْهَدْيَ وَأَشَعَرَهُ ④، وَأَحْرَمَ مِنْهَا

[١] زدتها ليستقيم السياق وليست في المخطوط.

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٢٨٦-٢٨٧).

(٣) ذو الحليفة قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة. «معجم
البلدان» (٥/ ٢٢).

(٤) وهو أن يشق أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دمها، ويجعل ذلك لها علامة تُعرف بها أنها هدي.
«النهاية» (١/ ٨٨٢) مادة: شَعَرَ.

بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ (١) أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا جَمَعُوا لَكَ جُمُوعًا، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَمَانِعُوكَ. فَقَالَ: «أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرُونَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْنًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِلَّا تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ»، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَرَجْتَ عَامِدًا لِهَذَا الْبَيْتِ، لَا تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلَا حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ. قَالَ: «امْضُوا عَلَيَّ اسْمِ اللَّهِ». (٢)

وبينما النبي ﷺ في طريقه قال لأصحابه: «إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلٍ لِقُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ، فَخُذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ»، فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةِ الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ. (٣)

فلما أخبرهم خالد بن الوليد باقتراب النبي ﷺ خرجوا ليتركزوا بمياه الحديبية قبل وصول المسلمين.

(حَتَّى إِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ، حَلْ. فَأَلْحَتْ، فَقَالُوا: خَلَّاتُ الْقَصَوَاءُ، خَلَّاتُ الْقَصَوَاءُ. فَقَالَ النَّبِيُّ

(١) وغدير الأشطاط هو بملتقى الطريقين من عُسْفَانَ للخارج إلى مكة على يمينك لمقدار ميلين، وربما اجتمع فيه الماء وليس هناك غدير غيره. "معجم معالم الحجاز" (١/٩٨).

(٢) رواه البخاري برقم (٤١٧٨).

(٣) رواه البخاري برقم (٢٧٣١).

﴿عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾: «مَا خَلَّاتِ الْقَصَوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقِي، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، ثُمَّ رَجَرَهَا فَوُتِبَتْ، فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَفْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى تَمَدِّ قَلِيلِ الْمَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ^(١) النَّاسُ تَبَرُّضًا، فَلَمْ يَلْبَثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشُكِّيَ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ^(٢)، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ، مَا زَالَ يَجِيئُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ^(٣).

وَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ الْخَزَاعِيَّ إِلَى مَكَّةَ، وَحَمَلَهُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ: الثَّغْلَبُ. فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ عَقَرَتْ بِهِ قُرَيْشٌ وَأَرَادُوا قَتْلَ خِرَاشٍ فَمَنَعَهُمُ الْأَحَابِشُ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا عُمَرَ لِيُبْعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بَنِي عَدِيٍّ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفْتُ قُرَيْشَ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَذْذُكَ عَلَى رَجُلٍ هُوَ أَعَزُّ مِنِّي: عُثْمَانُ ابْنُ عَفَّانَ. فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ: أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ وَأَنَّهُ جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعْظَمًا لِحُرْمَتِهِ. فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ وَلَقِيَهُ أَبَانُ ابْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرَدِفَ خَلْفَهُ وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَغَ رِسَالَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاِنْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظْمَاءَ قُرَيْشٍ

(١) هو الأخذ قليلاً، والبرص بالفتح والسكون: اليسير من العطاء. "فتح الباري" (٤١٢/٥).

(٢) الكنانة: جعبة السهام. "تهذيب اللغة".

(٣) رواه البخاري برقم (٢٧٣١).

فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَرْسَلَهُ بِهِ فَقَالُوا لِعُثْمَانَ: إِنَّ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ. فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَاحْتَبَسَتْهُ فُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ. (١)

فدعا النبي ﷺ أصحابه إلى البيعة، فبادر الصحابة رضي عنهم إلى ذلك فبايعهم رضي عنهم تحت الشجرة، قال جابر رضي عنه: ولم يبايع عند شجرة إلا الشجرة التي بالحديبية. (٢)

والبيعة كانت على الموت كما في "صحيح البخاري" برقم (٤١٦٩)، ومسلم برقم (١٨٥٦)، ورواية على أنها على عدم الفرار كما في "صحيح مسلم" برقم (١٨٥٦).

ورواية على أنها على الصبر كما في "صحيح البخاري" برقم (٢٩٥٨).

قال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (١٤٣/٦): بايعهم على الصبر، أي: على الثبات وعدم الفرار، سواء أفضى بهم ذلك إلى الموت أم لا، والله أعلم. اهـ.

وكان بايعه رضي عنهم كل الذين كانوا معه إلا الجد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره. (٣)

(١) رواه أحمد (٤/٤٢٤-٤٢٥)، وسنده حسن لولا عنعنة ابن إسحاق، لكنه صرح بالتحديث كما في "السيرة" لابن هشام (٢/٨١١).

(٢) رواه مسلم برقم (١٨٥٦).

(٣) كما في "صحيح مسلم" برقم (١٨٥٦).

وقال النبي ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده فقال: «هذه

لعثمان» (١).

ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذُكِرَ من أمر عثمان باطل (٢).

وقال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ

بَايَعُوا تَحْتَهَا» (٣).

ثم أتى النبي ﷺ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تَهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ ابْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ (٤)، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ عَنِ الْبَيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَحِجْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ، وَأَضْرَبَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مَدَّةً، وَيُحْضِرُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا قَاتِلَنَّهُمْ عَلَيَّ أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي (٥)، وَلَيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ»، فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ.

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٩٩).

(٢) ابن هشام (٨١٢ / ٢).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٤٩٦).

(٤) العوذ المطافيل: يريد النساء والصبيان. «النهاية» (٢٧ / ٢) مادة: عَوَذَ.

(٥) السالفة: صفحة العنق، وهما سالفتان من جانبه، وكُنِيَ بانفرادها لأنها لا تنفرد عما يليها إلا =

قَالَ: فَانطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا. فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ نُخْبِرْنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ. وَقَالَ ذُوو الرَّاْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ. قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا، فَحَدَّثْتُهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: أَوْلَسْتِ بِالْوَالِدِ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَهَلْ تَتَّهْمُونِي؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ، فَلَمَّا بَلَّحُوا^(١) عَلَيَّ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْلِي وَوَالِدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ هَذَا قَدْ عَرَضَ لَكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، أَقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ. قَالُوا: أَتَيْهِ. فَآتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَاَحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وَجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا^(٢) مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفْرُوا وَيَدْعُوكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْضُصْ بَطْرُ اللَّاتِ، أَنْحَنُ نَفْرُ عَنْهُ وَنَدْعُهُ؟ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أَجْزِكَ بِهَا لِأَجْبَتِكَ. قَالَ: وَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَلَّمَا تَكَلَّمَا أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمِغْفَرُ،

= بالموت. وقيل: المراد: حتى يُفَرِّقَ بين رأسي وجسدي. "النهاية" (١/٧٩٦) مادة: سَلَفَ.
(١) بلح الرجل إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر أن يتحرك، فقلوه: (بلحوا علي)، أي: أبوا، كأنهم قد أعيوا عن الخروج معه وإعانتة. "النهاية" (١/١٥٥) مادة: بَلَحَ.
(٢) الأشواب هم الأخلاط من أنواع شتى، والأوباش: الأخلاط من السفلة. "تاج العروس".

فَكُلَّمَا أَهْوَى عُرْوَةَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ، وَقَالَ لَهُ: أَخْرُ
يَدَكَ عَنْ لِحْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَفَعَ عُرْوَةَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: الْمُغِيرَةُ بْنُ
شُعْبَةَ، فَقَالَ: أَيُّ عُدْرٍ (١)، أَلَسْتُ أَسْعَى فِي عَدْرَتِكَ؟ وَكَانَ الْمُغِيرَةُ صَحْبًا قَوْمًا
فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَتَلَهُمْ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا الْإِسْلَامُ
فَأَقْبَلْ، وَأَمَّا الْمَالُ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ»، ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ
بِعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا تَنْخَمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ،
فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى
وَضُوءِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ؛ تَعْظِيمًا لَهُ،
فَرَجَعَ عُرْوَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ
عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ (٢)، وَاللَّهِ، إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا
يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ، إِنْ تَنْخَمُ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ
مِنْهُمْ، فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ
عَلَى وَضُوءِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ؛ تَعْظِيمًا
لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ (٣) فَاقْبَلُوهَا. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ: دَعُونِي

(١) عُدْرٌ معدول عن غادر؛ للمبالغة، يقال للذكر: عُدر، وللأنثى: عُدَارٌ، كقطام، وهما مختصان بالنداء في الغالب. "النهاية" (٢/ ٢٩٠) مادة: عُدْرٌ.

(٢) من ملك الروم يقال له: قيصر. ومن ملك الفرس يقال له: كسرى. ومن ملك الحبشة يقال له: النجاشي. ومن ملك مصر يقال له: فرعون.

(٣) خطبة رشد، أي: أمرًا واضحًا في الهدى والاستقامة. "النهاية" (١/ ٥٠٥) مادة: حَطَطٌ.

آتيه. فقالوا: آتته. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له» فبعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه، قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت. فقام رجل منهم يقال له: مكرز بن حفص، فقال: دعوني آتية. فقالوا: آتته. فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: «هذا مكرز، وهو رجل فاجر»، فجعل يكلم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو...، قال النبي ﷺ: «لقد سهل لكم من أمركم»، فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم»، قال سهيل: أما الرحمن، فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم»، ثم قال: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل: والله، لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبي ﷺ: «والله، إني لرسول الله، وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله» قال الزهري^(١): وذلك لقوله: «لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها»، فقال له النبي ﷺ: «على أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به»، فقال سهيل: والله لا، تتحدث العرب أنا

(١) أحد رواة الحديث.

أُحِذْنَا ضُغْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ. فَكَتَبَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتُهُ إِلَيْنَا. قَالَ الْمُسْلِمُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ فِي قُبُورِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ سُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أَقْضَيْكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ»، قَالَ: فَوَاللَّهِ، إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَجِزْهُ لِي»، قَالَ: مَا أَنَا بِمُجِيزِهِ لَكَ. قَالَ: «بَلَى فَاَفْعَلْ»، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ. قَالَ مِكَرَزٌ: بَلْ قَدْ أَجَزْنَاكَ لَكَ. قَالَ أَبُو جَنْدَلٍ: أَيُّ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جِئْتُ مُسْلِمًا، أَلَا تَرُونَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عُدَّ عَذَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَاتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ، وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ تُعْطِي الدِّيَّةَ^(١) فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»، قُلْتُ: أَوْلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ»، قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ»، قَالَ: فَاتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ تُعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ

(١) أي: الخصلة المذمومة. "النهاية" (١/٥٨٦) مادة: دَنَا.

نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكَ بِغَرْزِهِ، فَوَاللَّهِ، إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَا
سَنَاتِي الْبَيْتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، أَفَأَخْبِرُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ:
فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ. قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا، قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ
الْكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قَوْمُوا فَاَنْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللَّهِ،
مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ
سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ،
أَخْرُجُ ثُمَّ لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ،
فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا
رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا
عَمَّا، ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] حَتَّى بَلَغَ بَعْضُ الْكَوَافِرِ فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ أَمْرَاتَيْنِ،
كَانَتَا لَهُ فِي الشَّرْكِ، فَتَزَوَّجَ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ
أُمَيَّةَ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ. (١)

(١) رواه البخاري برقم (٢٧٣١)، وللفائدة انظر "مجموع رسائل" لشيخنا النجمي رحمته الله * مع تعليقي

(ص ٢١٠-٢٢٥) ط/ دار الإمام أحمد.

وَفِيهَا فَرُضَ الْحَجُّ فِي قَوْلِ الشَّافِعِيِّ. ﴿٢٣٤﴾

وهو قول الجمهور من العلماء، قالوا: لأنها نزلت فيها قوله تعالى: ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وهذا ينبئ على أن المراد بالإتمام ابتداء الفرض ومن أهل العلم من قال: إنه فُرض في السَّنَةِ التاسعة. وقيل: سنة عشر. قال ابن كثير رحمته الله: وهو غريب.

ورجح ابن القيم رحمته الله قول من قال: إنه فُرض في السَّنَةِ التاسعة، قال: فَإِنَّ فَرَضَ الْحَجِّ تَأَخَّرَ إِلَى سَنَةِ تِسْعٍ أَوْ عَشْرٍ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، فَإِنَّهَا وَإِنْ نَزَلَتْ سَنَةً سِتِّ عَامِ الْحَدِيثِ، فَلَيْسَ فِيهَا فَرَضِيَّةُ الْحَجِّ، وَإِنَّمَا فِيهَا الْأَمْرُ بِإِتْمَامِهِ وَإِتْمَامِ الْعُمْرَةِ بَعْدَ الشَّرُوعِ فِيهِمَا، وَذَلِكَ لَا يَقْتَضِي وَجُوبَ الْإِبْتِدَاءِ؛ فَإِنْ قِيلَ: فَمَنْ أَيْنَ لَكُمْ تَأْخِيرُ نَزُولِ فَرَضِهِ إِلَى التَّاسِعَةِ أَوْ الْعَاشِرَةِ؟ قِيلَ: لِأَنَّ صَدْرَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ نَزَلَ عَامَ الْوَفُودِ، وَفِيهِ قَدِمَ وَفَدُّ نَجْرَانَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَصَالِحِهِمْ عَلَى أَدَاءِ الْجِزْيَةِ، وَالْجِزْيَةُ إِنَّمَا نَزَلَتْ عَامَ تَبُوكَ سَنَةَ تِسْعٍ، وَفِيهَا نَزَلَ صَدْرُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، وَنَظَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْمُبَاهَلَةِ، وَبَدَأَ عَلَيْهِمْ أَنْ أَهْلَ مَكَّةَ وَجَدُوا فِي نَفْسِهِمْ عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنَ التَّجَارَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَكَذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، فَأَعَاضَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ بِالْجِزْيَةِ، وَنَزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَالْمُنَادَاةِ بِهَا، إِنَّمَا كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ، وَبَعَثَ الصِّدِّيقَ

يؤذّن بذلك في مكة في مواسم الحج، وأردفه بعليٍّ رضي الله عنه، وهذا الذي ذكرناه قد قاله
غير واحد من السلف، والله أعلم. اهـ^(١)

(١) وانظر "المجموع" (٨٢ / ٧)، و"الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف" (٣ / ٣٥٠)، و"البداية
والنهاية" (٥ / ١٢٣)، و"الفصول في سيرة الرسول" (ص ٢٠٦)، و"زاد المعاد" (٢ / ١٠١-١٠٢)،
و"فتح الباري" (٣ / ٤٨٣).

س٥٣/ مَادَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْعَزَوَاتِ؟

ج/ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ عُسْفَانَ^(١) الَّتِي شُرِعَتْ فِيهَا صَلَاةُ الْخَوْفِ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ^(١).

خرج ﷺ في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه، وأظهر أنه يريد الشام؛ ليصيب من القوم غرة، فسلك على غراب - جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام - ثم على مخيض^(٢)، ثم على البتراء، ثم صفق ذات اليسار فخرج على بين، ثم على صحيرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة، فأخذ السير سريعاً حتى نزل على غران وهي منازل بني لحيان - وجران وإد بين أمج وعسفان إلى بلد يقال له ساية - فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال، فلما نزلها وأخطأه من غرتهم ما أراد قال: لو أننا هبطنا لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة، فخرج في ماتني راكب من أصحابه حتى نزل عسفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم^(٣)، ثم كرّ وراح رسول الله ﷺ قافلاً... (٤)

(١) انظر تفسير الآية: [١٠١-١٠٢] من سورة النساء عند ابن جرير، وانظر كذلك "البداية والنهاية"

(٤/٩٣-٩٤)، و"الصحيح المسند من أسباب النزول" (ص ٨٨-٩٠) لشيخنا الوادعي رحمته الله.

(٢) للفائدة ينظر "معجم معالم الحجاز" (٨/١٥٢٢) في الكلام على مخيض.

(٣) كراع الغميم: اسم موضع بين مكة والمدينة. "النهاية" (٢/٥٣٤) مادة: كَرَع.

(٤) انظر "السيرة" لابن إسحاق (ص ٤٣٤-٤٣٥)، و"السيرة" لابن هشام (٢/٧٨٢-٧٨٣)،

و"الطبقات" (٢/٧٤-٧٦)، و"أنساب الأشراف" (١/٤١٦).

وَفِيهَا عَزْوَةٌ ذِي قَرْدٍ، وَقِيلَ: فِي السَّابِعَةِ. وَهِيَ الَّتِي أَعَارَ فِيهَا عَيْنَهُ عَلَى سَرِحِ النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَفَذَهُ مِنْهُمْ سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ خَيْلُ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُ سَهْمَ الْفَارِسِ وَالرَّاجِلِ.

أغار عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل من غطفان على لِقَاحٍ (١) لرسول الله ﷺ بالغابة، وفيها رجل من بني غفار، وامرأة فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح. (٢)

يقول سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَذَّنَ بِالْأُولَى (٣)، وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرَعَى بِذِي قَرْدٍ (٤)، قَالَ: فَلَقِينِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أَخَذْتَ لِقَاحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ: غَطَفَانُ. قَالَ: فَصَرَحْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ: يَا صَبَاحَاهُ. (٥) قَالَ: فَاسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتِي (٦) الْمَدِينَةَ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ بِذِي قَرْدٍ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْقُونَ مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي، وَكُنْتُ رَامِيًا، وَأَقُولُ:

(١) اللقاح: هي ذوات الألبان. "النهاية" (٦٠٨/٢).

(٢) "السيرة" لابن إسحاق (ص ٤٣٦).

(٣) الأولى: هي صلاة الصبح.

(٤) هو ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر. "معجم البلدان" (٣٦٢/٩)، وينظر "معجم معالم الحجاز" (١٣٦٨/٧).

(٥) يا صباحاه: كلمة يقولها المستغيث، وأصلها إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح، فكأن القائل: يا صباحاه. يقول: قد عَشِينَا العدو. "النهاية" (٨/٢).

(٦) اللابة: الحرة والمدينة واقعة بين حرتين عظيمتين. نووي.

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ^(١)

وَقَالَ **صِيحٌ** **اللَّهُ**: فَوَاللَّهِ، مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ^(٢) بِهِمْ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ شَجَرَةً، فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا، ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ، حَتَّى إِذَا تَصَاقِقَ الْجَبَلُ، فَدَخَلُوا فِي تَصَاقِيهِ، عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَجَعَلْتُ أُرْدِيهِمْ بِالْحِجَارَةِ^(٣)، قَالَ: فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ^(٤) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا خَلَفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَخَلَوُا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، ثُمَّ أَتْبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، وَثَلَاثِينَ رُمْحًا، يَسْتَخْفُونَ وَلَا يَطْرُحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَامًا^(٥) مِنَ الْحِجَارَةِ يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى أَتَوْا مُتَصَاقِبًا مِنْ ثَنِيَّةٍ، فَإِذَا هُمْ قَدْ آتَاهُمْ فَلَانُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، فَجَلَسُوا يَنْصَحُونَ - يَعْنِي يَنْعَدُونَ - وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ^(٦).

قَالَ الْفَزَارِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟ قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرَحِ^(١)، وَاللَّهِ، مَا فَارَقْنَا

(١) رواه مسلم برقم (١٨٠٦).

(٢) أي: أقتل مركوبهم، يقال: عَقَرْتُ به: إذا قتلت مركوبه وجعلته راجلاً. "النهاية" (٢٣٤/٢) مادة: عَقَرَ.

(٣) أي: أرميهم بها، يقال: رَدَى يَرْدِي رَدْيًا، إِذَا رَمَى، وَالْمِرْدَى وَالْمِرْدَاةُ: الْحِجْر، وَأَكْثَرُ مَا يُقَالُ فِي الْحِجْرِ الثَّقِيلِ. "النهاية" (٦٥١/١) مادة: ردا.

(٤) الظهر: الإبل التي يُحْمَلُ عَلَيْهَا وَتُرَكَّبُ. "النهاية" (١٤٧/٢) مادة: ظهر.

(٥) الآرام: الأعلام، وهي حجارة تُجْمَعُ وَتُنْصَبُ فِي الْمَفَازَةِ يُهْتَدَى بِهَا، وَاحِدُهَا: إِرْمٌ، كَعَنْبٍ، وَكَانَ مِنْ عَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّهُمْ إِذَا وَجَدُوا شَيْئًا فِي طَرِيقِهِمْ لَا يُمْكِنُ لَهُمْ اسْتِصْحَابُهُ تَرَكَوْا عَلَيْهِ حِجَارَةً يَعْرِفُونَهَا حَتَّى إِذَا عَادُوا أَخَذُوهُ. "النهاية" (٥٤/١) مادة: أَرَمَ.

(٦) أي: على رأس جبل.

(١) البرح: الشدة. "النهاية" (١٢٠/١).

مُنْذُ غَلَسِ يَرْمِينَا حَتَّىٰ انْتَرَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا. قَالَ: فَلَيْقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةً. قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ، قَالَ: فَلَمَّا أَمَكُنُونِي مِنَ الْكَلَامِ، قَالَ: قُلْتُ: هَلْ تَعْرِفُونِي؟ قَالُوا: لَا، وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَدْرَكْتُهُ، وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيُدْرِكُنِي. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ. قَالَ: فَارْجِعُوا، فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّىٰ رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ، قَالَ: فَإِذَا أَوْلَهُمُ الْأَخْرَمَ الْأَسَدِيَّ، عَلَىٰ إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَعَلَىٰ إِثْرِهِ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بَعْنَانَ الْأَخْرَمِ، قَالَ: فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، قُلْتُ: يَا أَخْرَمُ، اخْذَرُهُمْ لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّىٰ يَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ. قَالَ: يَا سَلَمَةُ، إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ.

قَالَ: فَخَلَيْتُهُ، فَالْتَقَىٰ هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ^(١)، قَالَ: فَعَقَرَ بَعْدَ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ، وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ، وَتَحَوَّلَ عَلَىٰ فَرَسِهِ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الرَّحْمَنِ، فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَىٰ رِجْلَيَّ حَتَّىٰ مَا أَرَىٰ وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا غُبَارِهِمْ شَيْئًا حَتَّىٰ يَعْدُلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَىٰ شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ: ذُو قَرْدٍ ^(١) لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عَطَاشٌ.

(١) هو عبد الرحمن الفزاري، فقد جاء في الحديث عند مسلم أنه هو الذي أعار على ظهر رسول الله ﷺ واستاقه، وقتل راعيه، وتقدم عند ابن إسحاق أنه عينه الفزاري، ولا مانع من ذلك؛ فيكون عبد الرحمن وعينه اشتركا في ذلك، هذا إن صح أنه عينه؛ لأن ابن إسحاق ذكره بدون سند، ورواه البيهقي في "دلائل النبوة" (١٨٦/٤) مرسلًا.

(١) ذا قرد: قال النووي ﷺ: هكذا هو في أكثر النسخ المعتمدة (ذا) بألف، وفي بعضها (ذو قرد) بالواو، وهو الأوجه.

قَالَ: فَنَظَرُوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ، فَحَلَيْتُهُمْ عَنْهُ - يَعْنِي أَجَلَيْتُهُمْ عَنْهُ - فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ فَطْرَةً. قَالَ: وَيَخْرُجُونَ فَيَسْتَدُونَنِي فِي ثَنِيَّةٍ. قَالَ: فَأَعْدُو فَالْحَقُّ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصْكُهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضٍ (١) كَتِفِهِ. قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ. قَالَ: يَا ثَكَلَيْتَهُ أُمُّهُ، أَكْوَعُهُ بُكَرَةً؟ (٢) قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ، أَكْوَعَكَ بُكَرَةً، قَالَ: وَأَرْدُوا (٣) فَرَسَيْنِ عَلَيَّ ثَنِيَّةٍ، قَالَ: فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوفُهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَلَحِقَنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ فِيهَا مَذْقَةٌ (٤) مِنْ لَبَنٍ، وَسَطِيحَةٍ (٥) فِيهَا مَاءٌ، فَتَوَضَّأْتُ وَشَرِبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَيَّ الْمَاءِ الَّذِي حَلَّأْتُهُمْ (١) عَنْهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَنْقَذْتُهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكُلَّ

(١) النغض: هو العظم الرقيق على طرف الكتف. سمي بذلك لكثرة تحركه، وهو الناغض أيضًا. نووي.

(٢) أكوعه بكرة: برفع العين، أي: أنت الأكوع الذي كنت بكرة هذا النهار؛ ولهذا قال: نعم. وبكرة منصوب غير ممنون، قال أهل العربية: يقال: أتيت بكرة، بالتنوين إذا أردت أنك لقيته باكراً في يوم غير معين، قالوا: وإن أردت بكرة يوم بعينه قلت: أتيت بكرة. غير مصروف؛ لأنها من الظروف غير المتمكنة. انتهى، قاله النووي ﷺ (١٢ / ٣٨٨) في "شرح صحيح مسلم".

(٣) أردوا: أي: تركوهما هلكى من الردى وهو الهلاك، ورواية: (وأردوا) بالذال ومعناه: تركوا فرسين معينين لم يقدر على النهوض من الضعف والكلال، والرذية: المعيبة، وجمعها: رذايا، ومنه قول الشاعر: فَهَنْ رَذَايَا فِي الطَّرِيقِ وَدَائِعُ. والأخير أوجه. ينظر "المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم" (٧ / ١٢) للقرطبي ﷺ.

(٤) المذق: المزج والخلط، يقال: مذقت اللبن فهو مذيق إذا خلطته بالماء، والمذقة: الشربة من اللبن الممذوق. "النهاية" (٢ / ٣٤٥) مادة: مَذَقَ.

(٥) هي إناء من أواني المياه. وينظر "النهاية" (١ / ١٧٥) مادة: سَطَحَ.

(١) حلأتهم: أي: طردتهم عنه. نووي.

رُوحٍ وَبُرْدَةٍ^(١)، وَإِذَا بِلَالٌ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّذِي^(٢) اسْتَنْقَذْتُ مِنَ الْقَوْمِ، وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كِبِدِهَا وَسَنَامِهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَلَّنِي فَانْتَخِبْ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَاتَّبِعِ الْقَوْمَ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ. قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ، فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ، أَتُرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ. فَقَالَ: «إِنَّهُمْ الْآنَ لَيُقْرُونَ^(٣) فِي أَرْضِ غَطَفَانَ»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَانَ، فَقَالَ: نَحَرَ لَهُمْ فُلَانٌ جُزُورًا فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غُبَارًا، فَقَالُوا: أَتَاكُمْ الْقَوْمُ، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَالِنَا سَلَمَةُ»، قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْمَيْنِ: سَهْمَ الْفَارِسِ، وَسَهْمَ الرَّاجِلِ، فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا... .
الحديث. (٤)

(١) البردة: الشملة المخططة، وقيل: كساء أسود مرَّع فيه صور تلبسه العرب، وجمعها: بُرْدٌ. "النهاية"

(١/ ٦٢٢) مادة: بَرَدٌ.

(٢) كذا في أكثر النسخ (الذي)، وفي بعضها: (التي) وهو الأوجه؛ لأن الإبل مؤنثة، وكذا أسماء الجموع من غير الآدميين، والأول صحيح أيضًا، وأعاد الضمير إلى الغنيمة لا إلى الإبل. قاله النووي رحمته الله.

(٣) أي: يضافون.

(٤) رواه مسلم برقم (١٨٠٧).

وَفِي شَعْبَانَ مِنْهَا غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ. ^(١)

يرى المؤلف رحمته الله أن هذه الغزوة كانت سنة ست، وهو قول ابن إسحاق في "السيرة" (ص ٤٣٩)، وبه جزم خليفة ^(١)، والطبري "فتح الباري" (٧/ ٥٤٦)، وابن كثير في "الفصول" (ص ١٥٣).

وروى البيهقي من رواية قتادة، وعروة وغيرهما أنها كانت في شعبان سنة خمس، وكذا ذكرها أبو معشر قبل الخندق. ^(٢)

وكذلك قال موسى بن عقبة أنها سنة خمس، ورجح هذا القول ابن سعد في "الطبقات" (٢/ ٥٩)، وابن القيم في "زاد المعاد" (٣/ ٢٥٦)، والذهبي في "تاريخ الإسلام" (٢/ ٢٧٥).

وأما البخاري فذكر عن ابن عقبة تعليقاً أنها كانت سنة أربع، قال: وقال موسى بن عقبة: سنة أربع.

قال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٧/ ٥٤٦-٥٤٧): كذا ذكره البخاري، وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب: سنة خمس. فكتب: سنة أربع. والذي في "مغازي موسى بن عقبة" من عدة طرق أخرجها الحاكم، وأبو سعيد النيسابوري، والبيهقي في "الدلائل" وغيرهم: سنة خمس...، ويؤيده ما أخرج البخاري في الجهاد عن

(١) في "تاريخه" (ص ٣٥).

(٢) "فتح الباري" (٧/ ٥٤٦).

ابن عمر أنه غزا مع النبي ﷺ بني المصطلق في شعبان سنة أربع ولم يؤذن له في القتال؛ لأنه إنما أذن له فيه في الخندق كما تقدم وهي بعد شعبان، سواء قلنا: إنها كانت سنة خمس أو سنة أربع.

وقال الحاكم في «الإكلیل»: قول عروة وغيره إنها كانت في سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق.

قلت -الحافظ-: ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عباد في أصحاب الإفك كما سيأتي فلو كان المريسيع^(١) في شعبان سنة ست مع كون الإفك كان فيها لكان ما وقع في «الصحيح» من ذكر سعد بن معاذ غلطاً؛ لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة وكانت سنة خمس على الصحيح كما تقدم تقريره، وإن كانت كما قيل: سنة أربع. فهي أشد؛ فيظهر أن المريسيع كانت سنة خمس في شعبان؛ لتكون قد وقعت قبل الخندق؛ لأن الخندق كانت في شوال من سنة خمس أيضاً فتكون بعدها؛ فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع، ورُمي بعد ذلك بسهم في الخندق ومات من جراحته في قريظة...، ويؤيده أيضاً: أن حديث الإفك كان سنة خمس؛ إذ الحديث فيه التصريح بأن القصة وقعت بعد نزول الحجاب والحجاب كان في ذي القعدة سنة أربع عند جماعة؛ فيكون المريسيع بعد ذلك، فيرجح أنها سنة خمس... اهـ

(١) وهي غزوة بني المصطلق.

قلت: وغزوة بني المصطلق عند البخاري برقم (٢٥٤١)، ومسلم برقم (١٧٣٠) أنه ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، وأصاب يومئذ جويرية.

فائدة:

قال النووي رحمته في "شرح صحيح مسلم" (١٢/٢٦٤): وفي هذا الحديث جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة من غير إنذار بالإغارة، وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب حكاهما المازري، والقاضي:

أحدها: يجب الإنذار مطلقاً. قال مالك وغيره: وهذا ضعيف.

والثاني: لا يجب مطلقاً. وهذا أضعف منه، أو باطل.

والثالث: يجب إن لم تبلغهم الدعوة ولا يجب إن بلغتهم، لكن يستحب. وهذا هو الصحيح، وبه قال نافع مولى ابن عمر، والحسن البصري، والثوري، والليث، والشافعي، وأبو ثور، وابن المنذر، والجمهور.

قال ابن المنذر: وهو قول أكثر أهل العلم، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على معناه، فمنها هذا الحديث، وحديث قتل كعب بن الأشرف وحديث قتل ابن أبي الحقيق... اهـ^(١)

(١) وانظر "فتح الباري" (٦/١٣٢)، و"صحيح سنن أبي داود" (٧/١٠٠-١٠١)، وحاشية "صفة صلاة النبي ﷺ" (ص ٦٦-٦٨)، ومقدمة محمد الغزالي لكتابه "فقه السيرة" (ص ١٠-١١).

وَمِنْهُمْ جُوَيْرِيَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ السَّبَبُ فِي عِتْقِ سَبِيهِمْ^(١)، وَفِي هَذِهِ الْغُرُورَةِ
تَكَلَّمَ ابْنُ سُلُوفٍ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَزَلَتْ فِيهِ سُورَةُ الْمُتَفَقِينَ^(٢).

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ
جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ أَوْ لِابْنِ عَمِّ لَهُ وَكَاتَبَتْهُ
عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلُوءَةً مُلَاحَةً^(١) لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهَا، فَأَتَتْ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتَهَا عَلَى بَابِ
حُجْرَتِي فَكَّرِهُتُهَا وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سِيرَى مِنْهَا مَا رَأَيْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ، أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضَرَّارٍ سَيِّدِ قَوْمِهِ وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ
يَخْفَ عَلَيْكَ فَوَقَعْتُ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمِّ لَهُ فَكَاتَبْتُهُ
عَلَى نَفْسِي فَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ عَلَى كِتَابَتِي. قَالَ: «فَهَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟»
قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَقْضِي كِتَابَتِكَ وَأَتَزَوَّجُكَ»، قَالَتْ: نَعَمْ يَا
رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»، قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبْرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَأَرْسَلُوا مَا
بِأَيْدِيهِمْ قَالَتْ: فَلَقَدْ أَعْتَقَ بِتَزْوِيجِهِ إِيَّاهَا مِائَةَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَمَا
أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَهَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا.^(٢)

قال زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي، يَقُولُ: لَا

(١) أي: شديدة الملاحظة، وهو من أبنية المبالغة. «النهاية» (٢/ ٦٧٦) مادة: مَلَحَ.

(٢) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٢/ ٧٩٤-٧٩٥) بإسناد حسن صرح فيه ابن إسحاق

بالتحديث، ومن طريقه رواه أحمد (٦/ ٢٧٧).

تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَكِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعْزُ مِنْهَا الْأَذَلَّ. فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعَمْرٍ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَيَّ أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَّتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ﴾ [المنافقون: ١]، فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدٌ».^(١)

فائدة:

في بعض الروايات أن هذا كان في غزوة تبوك.

قال ابن كثير رحمته الله في "تفسيره" (٨/٤): فيه نظر، بل ليس بجيد؛ فإن عبد الله ابن أبي ابن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك، بل رجع بطائفة من الجيش، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسَّير أن ذلك كان في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق. اهـ

وقال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٨/٨٣١) تحت حديث رقم (٤٩٠٠):

والذي عليه أهل المغازي أنها غزوة بني المصطلق. اهـ

وتحت حديث رقم (٤٩٠٥) رَجَّحَ أن قول من قال: (إنها غزوة تبوك) وهم،

(١) رواه البخاري برقم (٤٩٠٠)، ومسلم برقم (٢٧٧٢).

والحديث المشار إليه من حديث جابر رضي الله عنه، قال: كنا في غزاة. ولم يُعَيِّنْهَا، وذكر قول ابن أبي: أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

ولكنه عند أحمد (٣/ ٣٩٢-٣٩٣) عَيَّنَ الغزوة وأنها غزوة بني المصطلق، فقال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة يرون أنها غزوة بني المصطلق. وإسناده صحيح.

﴿١﴾

وَفِيهَا أَيْضًا فَضِيَّةُ الْإِفْكِ.....

﴿٢﴾

تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذه القصة قائلة: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمَهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَمَا نَزَلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلْ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَإِذَا عَقْدٌ لِي مِنْ جَزَعٍ ^(١) ظَفَارٍ قَدِ انْقَطَعَ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ.

وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ ^(٢) الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِيفًا، لَمْ يَثْقُلْنَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا تَأْكُلُ الْعُلُقَةَ ^(٣) مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِفَةَ الْهُودَجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ، وَلَا مُجِيبٌ فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي

(١) الجزع بالفتح: الخرز اليماني، الواحدة جَزْعُه. "النهاية" (١/ ٢٦٣).

(٢) الرهط من الرجال: ما دون العشرة، وقيل: إلى الأربعين. ولا تكون فيهم امرأة. "النهاية" (١/ ٧٠٧) مادة: رَهَطٌ.

(٣) أي: تكتفي بالبلغة من الطعام. وينظر "النهاية" (٢/ ٢٤٧) مادة: عَلَقٌ.

الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَقْدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي
عَلَبْتَنِي عَيْنِي فَنِمْتُ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَدْلَجَ (١)
فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَيْتِي، وَكَانَ رَأَيْتِي
قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي،
وَوَاللَّهِ، مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّىٰ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ
فَوَطِئَ عَلَيَّ يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا
مُوغَرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ
أَبِي ابْنِ سَلُولٍ.

فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ
أَصْحَابِ الْإِفْكَ، لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيئِي فِي وَجْعِي، أَنِّي لَا أَعْرِفُ
مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْأَلُنِي ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُمُ؟» ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَلِكَ الَّذِي يَرِيئِي وَلَا
أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّىٰ خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ مَعِي أُمَّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ (٢)

(١) أدلج بالتخفيف: إذا سار من أول الليل، وأدلج بالتشديد: إذا سار من آخره، ومنهم من يجعل
الإدلاج لليل كله. "النهاية" (١/ ٥٧٨) مادة: دلج.

(٢) المناصع: هي المواضع التي يتخلى فيها لقضاء الحاجة، واحداها: منصع؛ لأنه يُبْرَز إليها، ويُظْهَرُ.
قال الأزهرى: أراها مواضع مخصوصة خارج المدينة. "النهاية" (٢/ ٧٥٠) مادة: نصع.

وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا، وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ قَرِيبًا مِنْ يُبُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّبَرُّزِ قَبْلَ الْغَائِطِ، فَكُنَّا نَتَأَذَى بِالْكَنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ يُبُوتِنَا، فَاَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَتهُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُنَاثَةَ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ بَيْتِي، وَقَدْ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرْتُ أُمَّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعَسَّ مِسْطَحُ، فَقُلْتُ لَهَا: بِسَّ مَا قُلْتَ، أَتُسَيِّنُ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَتْ: أَيُّ هَتَّاهُ^(١) أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَا قَالَ؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - تَعْنِي - سَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تَيْكُمُ؟» فَقُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبُوي؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينْتِ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَبُوي فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ، مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: يَا بِنِيَّةَ هُوْنِي عَلَيْكَ، فَوَاللَّهِ، لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا. فَقُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ! أَوْلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: بَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقُّ لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، حَتَّى أَصْبَحْتُ أَبْكِي.

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما حِينَ اسْتَلْبَثَ

(١) أي: يا هذه، وفتحت النون وتُسكن، وتضم الهاء الآخرة وتسكن... «النهاية» (٢/٩١٦) مادة: هتأ.

الْوَحْيِي، يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْلَكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُصَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقَكَ. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «أَيُّ بَرِيرَةَ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ؟» قَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمَصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ^(١) فَتَأْكُلُهُ. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَعَذَرَ يَوْمَئِذٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي^(٢) مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَدَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لِعَمْرِ اللَّهِ^(٣)، لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِ. فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُصَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ

(١) الداجن هي: الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم. "النهاية" (١/٥٤٤) مادة: دَجَنَ.

(٢) أي: من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه فلا يلوئمني. "النهاية" (٢/١٧٣) مادة: عَذَرَ.

(٣) للفائدة انظر رسالة "الإعلان بأن لعمرى ليست من الأيمان" للعلامة حماد الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ تَسْتَفِد.

لِسَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَنَقْتُلَنَّكَ؛ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ.

فَتَشَاوَرَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، وَسَكَتَ.

قَالَتْ: فَمَكَثْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يِرْقًا لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، قَالَتْ: فَأَصْبَحَ أَبُو آيٍ عِنْدِي وَقَدْ بَكَيتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، وَلَا يِرْقًا لِي دَمْعٌ، يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي. قَالَتْ: فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي، وَأَنَا أَبْكِي فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ، دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ. قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً فَسَيِّرْ تُكِ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».

قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتهُ قَلَصَ ^(١) دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيَمَا قَالَ. قَالَ: وَاللَّهِ، مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ: مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ

(١) أي: ارتفع وذهب، يقال: قَلَصَ الدَّمْعُ. مُحَفَّفًا، وَإِذَا شُدَّ فَلِلْمَبَالِغَةِ. «النهاية» (٢/ ٤٨٤) مادة:

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنَّ لَا أَفْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ فَلَيْنُ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئَةٌ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَيْنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقَنِي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلًا إِلَّا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ، قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَأَنَا حِينِيذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبْرِّئِي بِرَّاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلُ فِي شَأْنِي وَحِيًّا يُتَلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتَلَى، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنَّ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبْرِئُنِي اللَّهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ، مَا رَامَ ^(١) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ ^(٢)، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي يُنْزَلُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُرِّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: «يَا عَائِشَةُ، أَمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكَ» فَقَالَتْ أُمِّي: قَوْمِي إِلَيْهِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ ^(٣)، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ

(١) يقال: ما رام مكانه، وما رام من مكانه: ما فارقه. "المعجم الوسيط" (١/ ٣٨٦).

(٢) أي: شدة الكرب، من ثقل الوحي. "النهاية" (١/ ١٢٠) مادة: بَرَحَ.

(٣) معناه: قالت لها أمها: قومي، فاحديه وقبلي رأسه، واشكره لنعمة الله تعالى التي بشرتك. فقالت عائشة رضي الله عنها ما قالت إِدْلاً على، وعتباً لكونهم شكوا في حالها مع علمهم بحسن طرائقها وجميل أحوالها، وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراه قوم ظالمون، ولا حجة له ولا شبهة فيه، قالت: =

عَزَّ وَجَلَّ، فَانزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ﴾ [النور: ١١] العَشْرَ الْآيَاتِ كُلَّهَا. (١)

قال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٦١٢/٨) -معلقاً على قول عائشة رضي الله عنها: (العشر الآيات) -: لكن وقع في رواية عطاء الخرساني عن الزهري: فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، وعدد الآي إلى هذا الموضوع ثلاث عشر آية؛ فلعل في قولها: (العشر الآيات) مجازاً بطريق إلغاء الكسر، وفي رواية الحكم بن عتيبة مرسلًا عن الطبري: لما خاض الناس في أمر عائشة فذكر الحديث مختصراً وفي آخره: فأنزل الله تعالى خمس عشرة آية من سورة النور حتى بلغ: ﴿الْحَيْثُ لَلْخَيْثِينَ﴾ [النور: ٢٦]، وهذا فيه تجوز، وعدة الآي إلى هذا الموضوع ست عشرة، وفي مرسل سعيد بن جبير عند أبي حاتم والحاكم في "الإكليل": فنزلت ثماني عشرة آية متوالية كذبت من قذف عائشة ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَرَزَقُكُمْ كَرِيمٌ﴾، وفيه ما فيه أيضاً، وتحرير العدة سبع عشرة. اهـ

= وإنما أحمد ربي سبحانه وتعالى الذي أنزل براءتي وأنعم علي بما لم أكن أتوقعه كما قالت: ولشأنني أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالى فيَّ بأمرٍ يتلى. "شرح صحيح مسلم" (١١٢/١٧) للنووي. (١) رواه البخاري برقم (٤٧٥٠)، ومسلم برقم (٢٧٧٠).

وَنَزَلَتْ فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً^(١) مِنْ سُورَةِ النُّورِ، وَأُقِيمَ الْحَدُّ عَلَى قَدْفَتِهَا ، وَعَدَّ بَعْضُهُمُ الْحُدَيْبِيَّةَ غَزْوَةً؛ لِاعْتِبَارِ آخِرِ أَمْرِهَا وَالْبَيْعَةِ فِيهَا، وَلَمْ يُعَدَّهَا بَعْضُهُمُ غَزْوَةً؛ لِأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمْ يَخْرُجْ لِقِتَالٍ.

روى البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٥٠ / ٨) من طريق محمد بن إسحاق، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد ابن زرارة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قالت: لما تلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القصة التي نزل بها عذري على الناس نزل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمر برجلين وامرأة ممن كان باء بالفاحشة في عائشة، فجلدوا الحد، قال: وكان رماها عبدالله بن أبيي، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، رموها بصفوان ابن المعطل السلمي.

وهو حديث حسن، وابن إسحاق وإن كان مدلساً فقد صرح؛ فأمننا تدليسه.

حكم من رمى أمر المؤمنين بما تقدم بعد براءتها من ذلك:

قال العماد بن كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «تفسيره» (١٩٨ / ١٠): وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به الذين ذكروا؛ فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان أصحهما: أنهن كهي. والله أعلم. اهـ

(١) ينظر ما نقلته عن الحافظ تعليقا على قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (العشر الآيات كلها)، تقدم قريبا.

س٥٤ / كَيْفَ صِفَةُ صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ؟

ج / وَقَعَ الصُّلْحُ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ، وَعَلَى أَنْ مَنْ آتَاهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ ، وَمَنْ آتَاهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُرُدُّوهُ، وَأَنْ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ، وَمَنْ شَاءَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ دَخَلَ، فَدَخَلَتْ خِزَاعَةٌ فِي عَقْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَنُو بَكْرٍ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ ، وَعَلَى أَنْ يَرْجِعَ مِنْ عَامِهِ ذَلِكَ لَا يَدْخُلُ مَكَّةَ، وَيَعْتَمِرُ مِنْ قَابِلٍ، وَيَخْرُجُونَ عَنْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يَخْرُجُ عَنْهُمْ وَخَتَمَ الْكِتَابُ عَلَى ذَلِكَ.....

و معنى ' هذا أنه يخلي بينهم وبينه لا أنه يبعثهم إليهم؛ لذا قال الإمام الشافعي رحمه الله في "الأم" (٥/٤٥٩): وإذا صالح الإمام على أن يبعث إليهم من جاءه منهم، أو يبعث إليهم بمن كان يقدر على البعثة منهم ممن لم يأتهم لم يجز الصلح؛ لأن رسول الله ﷺ لم يبعث إليهم منهم بأحد، ولم يأمر أبا بصير ولا أصحابه بإتيانهم وهو يقدر على ذلك، وإنما معنى: «رددناه إليكم»: لم نمنعه كما نمنع غيره. اهـ

قوله: (ومن شاء أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ...) إلخ. رواه ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" (٣/٣٠٨) بإسناد حسن، ورواه من طريق ابن إسحاق أحمد (٥/٣٢٥).

وَنَزَلَتْ فِيهِ سُورَةُ الْفَتْحِ بِكَمَالِهَا ، فَكَانَ ذَلِكَ الصُّلْحَ فَتْحًا قَرِيبًا.

قَالَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ (١)، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ فَقَالَ: «بَلَى». فَقَالَ: أَلَيْسَ قِتَالَنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتْلَاهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا؟ أَنْزِجُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا»، فَاذْطَلَقَ عُمَرُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا. فَزَلَّتْ سُورَةُ الْفَتْحِ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُمَرَ إِلَى آخِرِهَا، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْفَتْحَ هُوَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» (٢).

(١) الحديبية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت بيئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وقال الخطابي في «أماليه»: سميت الحديبية بشجرة حذباء كانت في ذلك الموضع. قال البلادي: تعرف اليوم بالشميسي، وهي غرب مكة خارجة عن حدود الحرم بينها وبين المسجد الحرام قرابة اثنين وعشرين كيلاً. «معجم معالم الحجاز» (٢/ ٤٢٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٣١٨٢)، ومسلم برقم (١٧٨٥).

وانظر «أسباب النزول» لشيخنا الوداعي رَحِمَهُ اللهُ (ص ٢١٠-٢٢٤).

س ٥٥ / مَاذَا أَنْزَلَ فِي نَسْخِ بَعْضِ الْآيَاتِ؟

ج / نَزَلَتْ فِي الْمَهَاجِرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ آيَاتُ الْإِمْتِحَانِ ^(١) ، وَأَنَّهُ إِذَا عَلِمَ إِيمَانُهُنَّ لَا يَحِلُّ إِزْجَاعُهُنَّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ، وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ

^(٢) وهي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ^ط اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يُحْكَمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ^ط﴾ [المتحنة: ١٠].

وسبب نزولها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَاتَبَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو يَوْمَئِذٍ كَانَ فِيهَا اشْتَرَطَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَّا أَحَدٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلَّا رَدَدْتُهُ إِلَيْنَا، وَخَلَيْتَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ. فَكَرِهَ الْمُؤْمِنُونَ ذَلِكَ وَامْتَعْضُوا مِنْهُ وَأَبَى سُهَيْلُ إِلَّا ذَلِكَ، فَكَاتَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، فَزَدَ يَوْمَئِذٍ أَبَا جَنْدَلٍ إِلَى أَبِي سُهَيْلٍ بْنُ عَمْرٍو، وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ إِلَّا رَدَّهُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ، وَإِنْ كَانَ مُسْلِمًا، وَجَاءَتِ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ، وَكَانَتْ أُمُّ كَلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، وَهِيَ عَاتِقٌ ^(١) ، فَجَاءَ أَهْلُهَا يَسْأَلُونَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُرْجِعَهَا إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يُرْجِعَهَا إِلَيْهِمْ، لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَجِرَاتٍ

(١) العاتق هي: الشابة أول ما تدرك. وقيل: هي التي لم تبين من والديها، ولم تزوج وقد أدركت وشبت. وتجمع على: العتق، والعواتق. "النهاية" (٢/ ١٥٧) مادة: عتق.

فَأَمَّتَحُونُهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيْمَنِهِنَّ ﴿﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا هُمْ يَحْلُونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]. (١)

فائدة:

قال ابن الجوزي رحمته الله في "كشف المشكل من حديث الصحيحين" (٤/٥٨):
والمشهور أن هذه الآية نزلت في أم كلثوم، وقد روي عن ابن عباس أنها في سبيعة
بنت الحارث. وقيل: في أميمة بنت بشر. قال الماوردي: وقد اختلف العلماء هل
دخل رد النساء في عقد الهدنة لفظاً أو عموماً؟

فقالت طائفة: كان شرط ردهن في عقد الهدنة لفظاً صريحاً، فنسخ الله تعالى
ردهن من العقد ومنع منه وأبقاه في الرجال على ما كان، وهذا يدل على أن للنبي
صلوات الله وسلامه أن يجتهد برأيه في الأحكام، ولكن الله عز وجل لا يقره على خطأ.

وقالت طائفة: لم يشرط ردهن في العقد لفظاً صريحاً وإنما أطلق العقد، فكان
ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال؛ لأنهم قالوا: لا يأتيك منا أحد. فبين الله
عز وجل خروجهن من عموم اللفظ وفرق بينهن وبين الرجال لأمرين:

أحدهما: أنهن ذوات فروج، فحرمن عليهن. والثاني: أنهن أرق قلوباً وأسرع
تقلباً، فأما المقيمة على شركها فمردودة عليهن. اهـ

وَتَرَكْتُ قُرَيْشٌ مِنْ شَرَطِهَا: أَنْ لَا يُرَدَّ مَنْ هَاجَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؛ لِاجْتِمَاعِهِمْ بِطَرِيقِ
غَيْرِهِمْ، وَقَطَعَ الطَّرِيقَ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَدَّهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ. ﴿١﴾

﴿١﴾ بَعْدَمَا صَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ، وَتَمَّ الْعَقْدُ، وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ جَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ
مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلْبِهِ رَجُلَيْنِ، فَقَالُوا: الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا.
فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَزَرُّوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمَرٍ لَهُمْ،
فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا. فَاسْتَلَّهُ
الْآخَرَ، فَقَالَ: أَجَلٌ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ، ثُمَّ جَرَّبْتُ. فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ:
أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ. فَأَمَكَنَهُ مِنْهُ، فَضْرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَفَرَ الْآخَرَ حَتَّى آتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ
الْمَسْجِدَ يَعْذُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ: «لَقَدْ رَأَى هَذَا ذُعْرًا» فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ. فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ،
قَدْ وَاللَّهِ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ، قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي اللَّهُ مِنْهُمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«وَيْلُ أُمَّهِ، مِسْعَرُ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ» فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُّدُهُ إِلَيْهِمْ،
فَخَرَجَ حَتَّى آتَى سَيْفَ الْبَحْرِ. قَالَ: وَيَنْفَلْتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلٍ ^(١) بَنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ
بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ قُرَيْشٍ رَجُلٌ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى
اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ، فَوَاللَّهِ، مَا يَسْمَعُونَ بَعِيرٍ خَرَجَتْ لِقُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا
اعْتَرَضُوا لَهَا، فَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ، فَأَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تَنَاشِدُهُ

(١) لَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَدِ رَدَّهُ لِأَبِيهِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحَدِيدِيِّ كَمَا تَقَدَّمَ فِي التَّعْلِيقِ عَلَى الْجَوَابِ رَقْمِ

بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ: لَمَّا ^(١) أَرْسَلَ، فَمَنْ أَنَاهُ فَهُوَ آمِنٌ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْبُعْهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦]. ^(٢)

مسألة في الهدنة مع الكفار:

قال ابن قدامة رحمته الله في «المغني» (١٣ / ١٦١ - ١٦٢): والشروط في عقد الهدنة تنقسم قسمين:

صحيح: مثل أن يشترط عليهم مالا، أو معونة المسلمين عند حاجتهم إليهم، أو يشترط لهم أن يرد من جاءه من الرجال مسلما أو بأمان، فهذا يصح، وقال أصحاب الشافعي: لا يصح شرط رد المسلم إلا أن يكون له عشيرة تحميه وتمنعه.

ولنا أن النبي ﷺ شرط ذلك في صلح الحديبية ووفى لهم به فرد أبا جندل وأبا بصير ولم يخص بالشرط ذا العشيرة؛ ولأن ذا العشيرة إذا كانت عشيرته هي التي تفتنه وتؤذيه فهو كمن لا عشيرة له، لكن لا يجوز هذا الشرط إلا عند شدة الحاجة إليه وتعيين المصلحة فيه، ومتى شرط لهم ذلك لزم الوفاء به، بمعنى: أنهم إذا

(١) كلمة (لَمَّا) بتشديد الميم هنا بمعنى: (إِلَّا)، أي: (إِلَّا أَرْسَلَ، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ نَفْسًا عَلَيَّ حَافِظًا﴾ [الطارق: ٤]، أي: (إِلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ. «عمدة القاري» (٢١ / ١٤) للعيني.

(٢) قطعة من حديث طويل رواه البخاري برقم (٢٧٣١)، وتقدم أكثره تعليقا على الجواب رقم (٥٢).

جاءوا في طلبه لم يمنعهم^(١) أخذه ولا يجبره الإمام على المضي معهم، وله أن يأمره سرًّا بالهرب منهم ومقاتلتهم؛ فإن أبا بصير لما جاء النبي ﷺ وجاء الكفار في طلبه قال له النبي: «إِنَّا لَا يَصْلِحُ فِي دِينِنَا الْغَدْرُ، وَقَدْ عَلِمْتَ مَا عَاهَدْنَاكُمْ عَلَيْهِ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ فَرْجًا وَمُخْرَجًا».^(٢)

فلما رجع مع الرجلين قتل أحدهما في طريقه ثم رجع إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، قد أوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم فأنجاني الله منهم. فلم ينكر عليه النبي ﷺ ولم يلمه بل قال: «وَيْلٌ أُمَّهُ، مَسْعَرُ حَرْبٍ لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ»، فلما سمع ذلك أبو بصير لحق بساحل البحر وانحاز إليه أبو جندل بن سهيل ومن معه من المستضعفين بمكة فجعلوا لا تمر عليهم عير^(٣) لقريش إلا عرضوا لها فأخذوها وقتلوا من معها...، فيجوز حينئذ لمن أسلم من الكفار أن يتحيزوا ناحية ويقتلون من قدروا عليه من الكفار ويأخذون أموالهم ولا يدخلون في الصلح وإن ضمهم الإمام إليه بإذن الكفار دخلوا في الصلح وحرّم عليهم قتل الكفار وأموالهم.

الثاني: شرطٌ فاسدٌ مثل أن يشترط رد النساء أو مهورهن، أو رد سلاحهم، أو إعطاءهم شيئاً من سلاحنا من آلات الحرب، أو يشترط لهم مالاً في موضع لا يجوز بذله، أو يشترط نقضها متى شاءوا، أو أن لكل طائفة منهم نقضها، أو

(١) وتقدم هذا القول قريباً عن الإمام الشافعي رحمه الله.

(٢) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ٤٩٤)، وأحمد (٤/ ٣٢٥)، وهو حديث حسن.

(٣) العير: الإبل بأحمالها، وانظر «النهاية» (٢/ ٢٧٨-٢٧٩) مادة: عير.

يشترط رد الصبيان أو رد الرجال مع عدم الحاجة إليه، فهذه كلها شروط فاسدة لا يجوز الوفاء بها... اهـ.

فائدة:

قال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٥ / ٤٤١): ولا يعد ما وقع من أبي بصير غدرًا؛ لأنه لم يكن في جملة من دخل في المعاهدة التي بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش؛ لأنه إذ ذاك كان محبوسًا بمكة، لكنه لما خشي أن المشرك يعيده إلى المشركين درأ عن نفسه بقتله ودافع عن دينه بذلك ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم قوله ذلك.

وفيه: أن من فعل مثل فعل أبي بصير لم يكن عليه قود ولا دية.

وفيه: أنه كان لا يرد على المشركين من جاء منهم الا بطلب منهم؛ لأنهم لما طلبوا أبا بصير أول مرة أسلمه لهم ولما حضر إليه ثانيًا لم يرسله لهم.

وفيه: أن شرط الرد أن يكون الذي حضر من دار الشرك باقياً في بلد الإمام ولا يتناول من لم يكن تحت يد الإمام ولا متحيزاً إليه... اهـ.

س٥٦ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا؟

ج / فِيهَا سَرِيَّةٌ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى ذِي الْقَصَّةِ. (١)

في شهر ربيع الآخر، قالوا: أجذبت بلاد بني ثعلبة وأنمار، ووقعت سحابة بالمِرَاضِ (١) إلى تغلمين، والمِرَاضِ على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، فسارت بنو محارب، وثعلبة، وأنمار إلى تلك السحابة، وأجمعوا أن يُغَيِّرُوا على سرح المدينة وهو يرعى بهيفا - موضع على سبعة أميال من المدينة - فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً من المسلمين حين صلوا المغرب، فمشوا إليهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية (٢) الصبح، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصاب رجلاً واحداً، فأسلم وتركه، فأخذ نَعَمًا من نعمهم فاستاقه ورثته (٣) من متاعهم، وقدم بذلك المدينة، فخَمَسَهُ رسول الله ﷺ، وقَسَمَ ما بقي عليهم. (٤)

قَسَمَهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ إِخْرَاجِ الْخُمْسِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسُهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية

[الأطفال: ٤١].

(١) ينظر "معجم معالم الحجاز" (٨ / ١٥٤٤) للبلادي.

(٢) العماية هي: بقية ظلمة الليل. "النهاية" (٢ / ٢٦٠).

(٣) الرثة هي: متاع البيت الدون. "النهاية" (١ / ٦٣٤).

(٤) "الطبقات" (٢ / ٨٢) بدون سند، وانظر "أنساب الأشراف" (١ / ٤٥٥)، و"المواهب اللدنية" (١ / ٤٧٦).

ففي الآية دليلٌ على أن الغنيمة إذا أُخرج منها الخُمُس تُقسم على الغانمين؛ لأنه أضاف الغنيمة إليهم، وأخرج منها خُمُسُها؛ فدل على أن الباقي لهم يقسم على ما قسمه رسول الله ﷺ: للرجال سهمٌ، وللنساء سهمان: لفرسه، وسهم له.

وأما هذا الخمس، فيقسم خمسة أسهم: سهم لله ولرسوله، يصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين لمصلحة؛ لأن الله جعله له ولرسوله، والله ورسوله غنيان عنه، فعلم أنه لعباد الله، فإذا لم يعين الله له مصرفاً، دل على أن مصرفه للمصالح العامة.

والخمس الثاني: لذي القربى، وهم قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، وأضافه الله إلى القرابة دليلاً على أن العلة فيه مجرد القرابة، فيستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ذكرهم وأثامهم.

والخمس الثالث: لليتامى، وهم الذين فقدت آباؤهم وهم صغار، جعل الله لهم خمس الخمس رحمة بهم، حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم، وقد فقد من يقوم بمصالحهم.

والخمس الرابع: للمساكين، أي: المحتاجين الفقراء من صغار وكبار، ذكور وإناث. والخمس الخامس: لابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، وبعض المفسرين يقول: إن خمس الغنيمة لا يخرج عن هذه الأصناف، ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء، بل ذلك تبعٌ للمصلحة، وهذا هو الأولى. "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" (ص ٣٢١-٣٢٢) لابن سعدي.

وَسَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ ، وَسَرِيَّةُ فِي جُمَادَى الْأُولَى إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ. (١)

في شهر ربيع الآخر بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى بني سليم، فسار حتى ورد الجُموم ناحية بطن نخل عن يسارها - وبطن نخل من المدينة على أربعة بُرد- فأصابوا عليه امرأة من مزينة يقال لها: حليمة، فدلّتهم على محلّة من محالّ بني سليم، فأصابوا في تلك المحلّة نعمًا وشاء، وأسرى، فكان فيهم زوج حليمة المزنية، فلما قفل زيد بن حارثة بما أصاب، وهب رسول الله ﷺ للمزنية نفسها وزوجها، فقال بلال ابن الحارث في ذلك شعراً:

لَعَمْرُكَ مَا أَخْنَى الْمَسْؤُولَ وَلَا وَنْتَ حَلِيمَةَ حَتَّى رَاكَ رَكْبُهُمَا مَعَا (١)

الذي وقفت عليه من السرايا إلى بني ثعلبة لزيد بن حارثة سرية ذي القصة المتقدم ذكرها، وكانت في شهر ربيع الآخر.

وسرية أخرى إلى الطرف خرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً، فأصاب نعمًا، وشاء، وهربت الأعراب، وصبح زيد بالنعمة المدينة وهي عشرون بعيراً، ولم يلق كيداً. (٢)

لكن كانت هذه السرية في جمادى الآخرة، ولم تكن في الأولى. (٣)

(١) "الطبقات" (٨٣/٢) بدون سند.

(٢) "الطبقات" (٨٤/٢) بدون سند، "أنساب الأشراف" (٤٥٥/١)، "المواهب اللدنية" (٤٧٨/١).

(٣) ينظر المصادر السابقة.

وَسَرِيَّتُهُ أَيْضًا فِي هَذَا الشَّهْرِ لِعَيْرِ أَبِي الْعَاصِ ، وَأَجَارَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِزَوْجَتِهِ زَيْنَبَ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَدَّهُ مَعَ تِجَارَتِهِ. وَفِيهَا سَرِيَّةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ لِدُومَةَ الْجَنْدَلِ (١) [وَأَسْلَمُوا، وَفِيهَا حَدِيثُ الْعُرَيْنِينَ الَّذِينَ حَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَقَتَلُوا رَاعِي النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَأْقُوا الْإِبِلَ، فَأُذِرْكُوا فَصَلَبُوا وَقَتَلُوا، وَقَطَعَتْ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَسُمِلَتْ أَعْيُنُهُمْ]. (٢)

كانت هذه السرية إلى العيص (٣) ، وبينها وبين المدينة أربع ليالٍ، بلغ النبي ﷺ أن عَيْرًا لقريش قد أقبلت من الشام، فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب يتعرَّض لها، فأخذوها وما فيها، وأخذوا يومئذٍ فِضَّةً كَثِيرَةً لصفوان بن أمية، وأسرُوا ناسًا ممن كان في العَيْرِ منهم: أبو العاصِ بن الربيع، وقدم بهم المدينة، فاستجار أبو العاصِ بزَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فأجارته ونادت في الناس حين صلى رسول الله ﷺ الفجر: إنِّي قد أجزت العاص. فقال رسول الله ﷺ: «وما علمت بشيءٍ من هذا، وقد أجزنا من أجزت»، وردَّ عليه ما أخذ منه. (٤)

(١) «السيرة» لابن إسحاق (ص ٦٩٣)، و«الطبقات» (٢/ ٨٥).

(٢) انظر «صحيح البخاري» برقم (٢٣٣)، و«صحيح مسلم» برقم (١٦٧١).

وما بين المعقوفتين ليست في المخطوط المصور عن مخطوط مكتبة صامطة السلفية، وإنما هو موجود في نسخة شيخنا الفيقي، وكلاهما بخطه إلا أنه خطها مرة أخرى، وترتيب التي عنده يختلف عن الأول من حيث الخط.

(٣) ينظر «معجم معالم الحجاز» (٦/ ١٢٢٤) للبلادي.

(٤) «الطبقات» (٢/ ٨٣) بدون سند، «أنساب الأشراف» (١/ ٤٥٥)، «البداءة والنهاية» (٣/ ٣٣٣-٣٣٤)، «الروض الأنف» (٣/ ٦٩).

س ٥٧ / كَمْ كَتَبَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمُلُوكِ؟

ج / بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ. ①

① كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا إِلَى قَيْصَرَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَبَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَيْهِ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، وَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بَصْرَى لِيَدْفَعَهُ إِلَى قَيْصَرَ، وَكَانَ قَيْصَرٌ لَمَّا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ جُنُودَ فَارِسَ، مَشَى مِنْ حِمَصَ إِلَى إِبِلْيَاءَ شُكْرًا لِمَا أَبْلَاهُ اللَّهُ، فَلَمَّا جَاءَ قَيْصَرَ كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ حِينَ قَرَأَهُ: التَّمَسُّوا لِي هَا هُنَا أَحَدًا مِنْ قَوْمِهِ؛ لِأَسْأَلَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وكان بالشام رجال من قريش قدموا تجارًا في المدة التي كانت بين رسول الله

ﷺ وبين كفار قريش.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ - وَهُوَ الَّذِي يَرُوي هَذِهِ الْقِصَّةَ -: فَوَجَدْنَا رَسُولَ قَيْصَرَ بَعْضِ الشَّامِ، فَانْطَلَقَ بِي وَبِأَصْحَابِي، حَتَّى قَدِمْنَا إِبِلْيَاءَ، فَأَدْخَلْنَا عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسِ مُلْكِهِ، وَعَلَيْهِ التَّاجُ، وَإِذَا حَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، فَقَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلُّهُمْ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا إِلَيَّ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ نَسَبًا. قَالَ: مَا قَرَابَةُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟ فَقُلْتُ: هُوَ ابْنُ عَمِّي، وَلَيْسَ فِي الرَّكْبِ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ غَيْرِي. فَقَالَ قَيْصَرٌ: أَذْنُوهُ. وَأَمَرَ بِأَصْحَابِي، فَجَعَلُوا خَلْفَ ظَهْرِي عِنْدَ كَتْفِي، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لِأَصْحَابِهِ: إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا الرَّجُلَ عَنِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؛ فَإِنْ كَذَبَ فَكَذِّبُوهُ. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَاللَّهِ، لَوْلَا الْحَيَاءُ يَوْمَئِذٍ، مِنْ أَنْ يَأْتُرَ أَصْحَابِي عَنِّي الْكَذِبَ،

لَكَذَّبْتُهُ حِينَ سَأَلَنِي عَنْهُ، وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ أَنْ يَأْتُرُوا الْكَذِبَ عَنِّي، فَصَدَّقْتُهُ.

ثُمَّ قَالَ لِتَرْجَمَانِهِ: قُلْ لَهُ كَيْفَ نَسَبُ هَذَا الرَّجُلِ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ. قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا. فَقَالَ: كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ عَلَى الْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضَعَفَاؤُهُمْ؟ قُلْتُ: بَلْ ضَعَفَاؤُهُمْ. قَالَ: فَيَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ. قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ الْآنَ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ، نَحْنُ نَخَافُ أَنْ يَغْدِرَ. قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَلَمْ يُمَكِّنِي كَلِمَةٌ أُدْخِلَ فِيهَا شَيْئًا أَنْتَقِصَهُ بِهِ، لَا أَخَافُ أَنْ تُؤَثِّرَ عَنِّي غَيْرُهَا.

قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ أَوْ قَاتَلَكُمُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَيْفَ كَانَتْ حَرْبُهُ وَحَرْبُكُمْ؟ قُلْتُ: كَانَتْ دُولًا وَسِجَالًا، يُدَالُ عَلَيْنَا الْمَرَّةَ، وَنُدَالُ عَلَيْهِ الْأُخْرَى. قَالَ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟ قَالَ: يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ.

فَقَالَ لِتَرْجَمَانِهِ حِينَ قُلْتُ ذَلِكَ لَهُ: قُلْ لَهُ: إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فِيكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ذُو نَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرَّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا. فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَالَ هَذَا

الْقَوْلَ قَبْلَهُ، قُلْتُ رَجُلٌ يَأْتُمُ بِقَوْلٍ قَدْ قِيلَ قَبْلَهُ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَهْمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَرَعَمْتَ أَنْ لَا. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَرَعَمْتَ أَنْ لَا. فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ، قُلْتُ: يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ. وَسَأَلْتُكَ: أَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضِعْفَاؤُهُمْ؟ فَرَعَمْتَ أَنْ ضِعْفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرَّسْلِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ فَرَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَرَعَمْتَ أَنْ لَا، فَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخْلُطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ، لَا يَسْخَطُهُ أَحَدٌ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَرَعَمْتَ أَنْ لَا. وَكَذَلِكَ الرَّسْلُ لَا يَغْدِرُونَ. وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ وَقَاتَلَكُمْ؟ فَرَعَمْتَ أَنْ قَدْ فَعَلَ، وَأَنَّ حَرْبَكُمْ وَحَرْبُهُ تَكُونُ دَوْلًا، وَيُدَالُ عَلَيْكُمْ الْمَرَّةَ وَتَدَالُونَ عَلَيْهِ الْأُخْرَى، وَكَذَلِكَ الرَّسْلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ لَهَا الْعَاقِبَةُ، وَسَأَلْتُكَ: بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَرَعَمْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَأَكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ.

قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ، قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَكِنْ لَمْ أَظُنَّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا، فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ، وَلَوْ أَرَجُو أَنْ أَخْلَصَ إِلَيْهِ، لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ قَدَمِيهِ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَرَأَ، فَإِذَا فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْتَ تَسَلَّمَ، وَأَسْلِمْتُ يُؤْتِنَكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ؛ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ، فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيسِيِّينَ ^(١) وَ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَلَمَّا أَنْ قَضَى مَقَالَتَهُ، عَلَتْ أَصْوَاتُ الَّذِينَ حَوْلَهُ مِنْ عُظَمَاءِ الرُّومِ، وَكَثُرَ لَعْنُهُمْ، فَلَا أَدْرِي مَاذَا قَالُوا، وَأَمْرٌ بِنَا، فَأُخْرِجْنَا، فَلَمَّا أَنْ خَرَجْتُ مَعَ أَصْحَابِي، وَخَلَوْتُ بِهِمْ قُلْتُ لَهُمْ: لَقَدْ أَمَرَ أَمْرٌ ^(٢) ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، هَذَا مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ ^(٣) يَخَافُهُ.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ ذَلِيلًا مُسْتَيْقِنًا بِأَنَّ أَمْرَهُ سَيَظْهَرُ، حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ قَلْبِي الْإِسْلَامَ وَأَنَا كَارِهِ. ^(٤)

(١) هم الخدم والخول، يعني لصدّه إياهم عن الدين كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا﴾،

أي: عليك مثل إثمهم. "النهاية" (٥٢/١) مادة: أَرَسَ.

(٢) أمير أمر ابن أبي كبشة، أي: كثر وارتفع شأنه. يعني النبي ﷺ. "النهاية" (٧٥/١).

(٣) وبنو الأصفر هم الروم؛ لأن أباهم الأوّل كان أصفر اللون. "النهاية" (٣٧/٢) مادة: صَفَرَ.

(٤) رواه البخاري برقم (٢٩٤١)، ومسلم برقم (١٧٧٣).

وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ إِلَى كِسْرَى مَلِكِ فَارِسٍ. (١)

يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ (١)، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنْ يُمَزَّقُوا كُلُّ مُمَزَّقٍ. (٢)

وَأَمَّا نَصُّ رِسَالَتِهِ صلى الله عليه وسلم فَرَوَاهَا الطَّبْرِيُّ فِي "تَارِيخِهِ" كَمَا يَلِي: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسٍ، سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ اتِّبَاعِ الْهُدَى، وَأَمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَدْعُوكَ بِدَعَاءِ اللَّهِ؛ فَإِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَةً؛ لِأَنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا، وَيُحِقَّ الْقَوْلَ عَلَيَّ الْكَافِرِينَ، فَأَسْلَمَ تَسْلَمَ؛ فَإِنِ ابْتِغَى إِثْمَ الْمَجُوسِ عَلَيْكَ». (٣)

وَهُوَ مَرْسَلٌ صَحِيحٌ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ، وَوَرَدَ عِنْدَ أَبِي عُبَيْدٍ فِي "الْأَمْوَالِ" (ص ٢٣) مَرْسَلًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ كَمَا ذَكَرَ الْعَلَامَةُ الْأَبَانِيُّ رحمته الله فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَيَّ "فَقْهَ السَّيْرَةِ" (ص ٣٥٨)، وَبِمَجْمُوعِ الطَّرِيقَيْنِ حَسَنَةً.

(١) هُوَ الْمُنْذَرُ بْنُ سَاوَى، ذَكَرَ ذَلِكَ الزَّرْقَانِيُّ فِي "شَرْحِ الْمَوَاهِبِ" (٣/٣٤١)، وَالْحَافِظُ فِي "فَتْحِ الْبَارِيِّ" (٨/١٦٠).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ (٤٤٢٤).

(٣) "تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ" (٢/٦٥٤-٦٥٥).

وَعَمَرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ. ①.....

لقب النجاشي يطلق على كل من ملك الحبشة كما قال النووي ^(١) **رحمته الله**،
وإذا كان الأمر كذلك فهل النجاشي الذي أرسل إليه النبي **ﷺ** هو النجاشي الذي
صلى عليه؟

الأدلة تدل على أنه غيره؛ فقد جاء في "صحيح مسلم" برقم (١٧٧٤) عن أنس
رضي عنه الله أن نبي الله **ﷺ** كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار،
يدعوهم إلى الله تعالى، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي **ﷺ**.

وإلى هذا مال أبو محمد بن حزم **رحمته الله** في "جوامع السيرة" (ص ٢٥)، قال:
والنجاشي وهو غير الذي هاجر إليه أصحاب رسول الله **ﷺ** مات ذلك رضوان
الله عليه مسلماً. اهـ

ومال إليه ابن القيم **رحمته الله** في "زاد المعاد" (١/ ١٢٠)، فقال **رحمته الله**: والظاهر قول
ابن حزم. اهـ

واستظهره المؤلف **رحمته الله** في جوابه عن السؤال رقم (٧٠) كما سيأتي.

وممن رجح هذا من مشايخنا: العلامة ربيع المدخلي **رحمته الله تعالى**، فعندما مر بنا
الحديث السابق أثناء قراءتنا عليه في "صحيح مسلم" قال: وهذا الكتاب بعد وفاة
النجاشي. اهـ

(١) "شرح صحيح مسلم" (١٢/ ١٣).

وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْسِ مَلِكِ الإسْكَندَرِيَّةِ ① ، وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرِ وَعَبْدِ ① ابْنِي الْجَلَنْدِيِّ الأَزْدِيِّينَ ② مَلِكِي ③ عُمَانَ.....

① ولم تثبت، وفيها: أنَّ المقوقس لم يسلم، وأهدى للنبي ﷺ ماريه وأختها سيرين، وقيسرى، فتسرى بمارية القبطية وهي أمُّ ولده إبراهيم، ووهب سيرين لحسان بن ثابت، وهي أم ولده عبد الرحمن، وأهداه ألف مثقال ذهب وبغلة اسمها دُذُلْدُل، وجارية سوداء اسمها بريرة، وغلاماً خصياً اسمه مأبور، وحماراً أشهب يقال له: يعفور... إلى آخر ما ذكر في القصة. ④

فائدة:

- ❑ كان قديماً من ملك اليمن يقال له: تُبَّع.
- ❑ ومن ملك الفُرس: كسرى.
- ❑ ومن ملك مصر: فرعون.
- ❑ ومن ملك الحبشة: النجاشي.
- ❑ ومن ملك الروم: قيصر.

وغير ذلك من أعلام الأجناس، وانظر تفسير سورة الدخان من "تفسير ابن كثير".

[١] في المخطوط: [عباد]، والتصويب من كتب السير.

[٢] انظر "الطبقات" (١/٢٦٢-٢٦٣)، و"الروض الأثف" (٤/٢٥٠)، و"إعلام السائلين" لابن طولون (ص ٩٢-٩٦).

[٣] في المخطوط: [ملك]، والتصويب من كتب السير، وقد جاء على الصواب في الجواب عن السؤال رقم (٧٠) كما سيأتي.

[٤] انظر "الطبقات" (١/١١١)، "سيرة ابن هشام" (١/٢٤٧)، "إعلام السائلين" (ص ٧٧/٨١)، "الاكتفاء" (٢/٣٩٣).

وَسَلِيْطَ بَنِ عَمْرٍو إِلَى ثُمَامَةَ بِنِ أَثَالٍ، وَهُوْدَةَ بِنِ عَلِيِّ الْحَنْفِيَّيْنَ مَلِكِي الْيَمَامَةِ،
وَالْعَلَاءَ بَنِ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بِنِ سَاوِي الْعَبْدِيِّ مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ (١)،
وَشُجَاعَ بَنِ وَهْبِ الْأَسَدِيِّ إِلَى الْحَارِثِ بِنِ أَبِي شَمْرِ الْعَسَانِيِّ مَلِكِ نَحْوِ
الشَّامِ، وَقِيلَ: إِلَى جَبَلَةَ بِنِ الْأَبْهَمِ الْعَسَانِيِّ (٢)، وَبَعَثَ الْمُهَاجِرَ بَنِ أَبِي أُمَيَّةَ
الْمَخْزُومِيَّ إِلَى الْحَارِثِ بِنِ عَبْدِ كِلَالِ الْحَمَيْرِيِّ (٣)، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ ذِي
الْحِجَّةِ فِيمَا ذَكَرَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ﴿١﴾

﴿٢﴾ ولم يثبت من ذلك إلا بعثه ﷺ إلى قيصر، وكسرى، والنجاشي.

قال الشيخ حافظ رحمه الله عن أحداث السنة السادسة في منظومته:

فِيهَا غَزَا إِلَى بَنِي لِحْيَانَا	وَمَالَ إِذْ فَرُّوا إِلَى عُسْفَانَا
وَهِيَ الَّتِي صَلَّى بِهَا الْخَوْفَ كَمَا	ذَكَرْتُ فِي الْبَحْثِ الَّذِي تَقَدَّمَ (٤)
أَوْلَى جُمَادَى بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ	بَعْدَ بَنِي فُرَيْظَةَ فَلْتَحْصُرِ [٥]
وَكَانَ فِيهَا غَزْوَةٌ لِيَذِي قَرْدٍ	وَقِيلَ صَدَرَ عَامٍ سَابِعٍ وَرَدٍ
وَهِيَ الَّتِي عُيِّنَتْهُ أَغَارَا	فِيهَا عَلَى سَرْحِ النَّبِيِّ فَسَارَا

(١) انظر "الطبقات" (١/ ٢٦٢)، و"تاريخ الطبري" (٣/ ٦٤٤-٦٤٥)، و"السيرة النبوية" لابن كثير (٣/ ٥١٥).

(٢) انظر "الطبقات" (١/ ٢٦١)، و"الروض الأنف" (٤/ ٢٥٠)، و"إعلام السائلين" لابن طولون (ص ١٠٢).

(٣) انظر "عيون الأثر" (٢/ ٣٢١).

(٤) في البيت رقم (٢٨١)، و(٢٨٢).

[٥] في المخطوط: [فليحصري].

فِي أَثَرِهِمْ سَلَمَةُ بِنُ الْأَكْوَعِ
فَأَسْتَنْقِذَ السَّرْحَ وَفَرُّوا هَرَبًا
مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْرِكَهُ الْخَيُْولُ
وَبَعْدَهَا غَزَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ
وَقُتِلَ الْمُقْتُولُ مِنْهُمْ وَسُيِّي
وَمِنْهُمْ مَوْزُجُ النَّبِيِّ جُوَيْرِيَّةُ
وَقَالَ فِيهَا ابْنُ سَلُولٍ بِسْمَا
وَسُورَةُ (الْمُنَافِقِينَ) أَنْزَلْتُ
وَجَاءَ فِيهَا (عُصْبَةٌ بِالْإِنْفِكِ)
خَمْسُ تَلِي عَشْرًا مِنَ الْآيَاتِ
مِنْ قَوْلِهِ (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا)
وَبَرَّئْتُ مِنْ ذَلِكَ الصَّادِقَةَ
وَضَرَبَ الْحَدُّ الَّذِينَ أَفْصَحُوا
وَالرَّافِضِي يُكْفَرُ حَتَّى الْآنِ
وَخَرَجَ الرَّسُولُ كَيْ يَعْتَمِرًا
وَصَدَّهُ قُرَيْشٌ بِالْعُدُونِ

إِذْ لَيْسَ مِنْهُ فَارِسٌ بِأَسْرَعِ
وَمِنْهُمْ مَوْبِعُضُ الْمَتَاعِ اسْتَبَا
وَبَعْدُ فِي الْجَمْعِ أَتَى الرَّسُولُ
فِي شَهْرِ شَعْبَانَ لَدَى الْمُحَقِّقِ
بَاقِيَهُمْ^[١] وَقَسَمُوا فِي النَّصَبِ
وَسَبَبُ الْعِنَقِ لَسَبِيهِمْ هِيَ
قَالَ لِأَصْحَابِ الرَّسُولِ الْكُرَمَا
فِي شَأْنِهِ فَأَوْضَحَتْ وَفَصَّلَتْ
وَأَنْزَلْتُ فِيهِ بِدُونِ شَكِّ
مِنْ سُورَةِ (النُّورِ) مُفَصَّلَاتِ
إِلَى (كَرِيمِ) سَاءَ الْاِئْتِرَاءُ
كَمَا هِيَ الْبَرَاءُ فِي الْحَقِيقَةِ
فِي شَأْنِهَا بِإِفْكِهِمْ وَصَرَّحُوا
بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنَ الْقُرْآنِ^(٢)
فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ غَيْرِ مَرَا
وَكَانَ فِيهَا بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ

[١] في المخطوط: [باقيهم].

[٢] انظر "الانتصار" لشيخنا ربيع بن هادي المدخلي وفقه المولى.

لَمَّا النَّبِيُّ أَرْسَلَ عُثْمَانَ ذُكِرَ
لِلْبَيْعَةِ الصَّحْبِ [١] فَكُلُّ انْتَدَبَ
مِنَ الْمِئِينَ فَالْجَمِيعُ بَايَعُوا
عَشْرَ سِنِينَ وَهُوَ فَتْحٌ مَا خَفِيَ
مِنَ قَابِلٍ وَأَنْ يَرُدَّ مَنْ يَفِرُّ
يَفِرُّ لَا رَدَّ لَهُ عَلَيْهِمْ [٢]
يَدْخُلُ لَا بَأْسَ بَأَيِّ ذِينَ
بَكَرٌ وَلِلنَّبِيِّ خِزَاعَةٌ تَلَا
هَدْيًا مَعَ التَّحْلِيقِ حَيْثُ أَحْصِرَا
وَاللَّهُ وَالرَّسُولُ مِنْهُمْ أَعْلَمُ
قَدْ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ ذَاكَ فَاتْلُهَا
جَمِيعَ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
إِذْ لَمْ يُبَايِعْ مَعَهُمْ بَلِ اعْتَزَلَ
فِي هِجْرَةِ النِّسَاءِ بِالتَّيْبَانِ
لُمُشْرِكٍ مَعَ صِدْقِ إِيْمَانٍ بَدَا

وَكَانَ مِنْ أَسْبَابِهَا فِيمَا أَثِرُ
أَنْ قُرَيْشًا قَتَلُوهُ فَتَدَبَّ
هَذَا وَهُمْ مِنْ بَعْدِ أَلْفِ أَرْبَعٍ
وَأَنْعَقَدَ الصُّلْحَ بِوَضْعِ الْحَرْبِ فِي
وَأَنْ يَعُودَ عَامَهُ وَيَعْتَمِرُ
مِنْهُمْ إِلَيْهِ وَالَّذِي إِلَيْهِمْ [٢]
وَمَنْ يَشَافِي أَحَدِ الْعُقَدَيْنِ
فَكَانَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ دَخَلًا
وُخْتِمَ الْكِتَابُ ثُمَّ نَحَرَا
وَأَشْتَدَّ ذَا عَلَى الَّذِينَ أَسْلَمُوا
وَسُورَةُ (الْفَتْحِ) الْمُبِينِ كُلُّهَا
وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّيِّرَانِ
وَمِنْهُمْ اسْتَشْنِي صَاحِبُ الْجَمَلِ
وَنَزَلَتْ آيَاتُ الْاِمْتِحَانِ
وَلَا يَجِلُّ رُدُّهُنَّ أَبَدًا

[١] في المخطوط: [النبي] بدل: (الصحب).

[٢] في المخطوط: [إليهم].

[٣] في المخطوط: [عليهم].

فِيهَا سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ
وَبِعَثُ زَيْدٍ وَهُوَ ابْنُ حَارِثِهِ
أَوَّلَهَا إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ
وَتَانِيًا إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ
وَعَمُوا فِيهَا وَثَالِثًا إِلَى
وَقَدْ أَجَارَهُ النَّبِيُّ لِابْنَتِهِ
وَذَلِكَ قَبْلَ الصُّلْحِ فَأَعْلَمْنَاهُ
كَذَا سَرِيَّةِ ابْنِ عَوْفٍ تَعْلَمُ
ثُمَّ حَدِيثُ الْعُرَيْنِيِّ الْأَلِيِّ
وَكَفَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَسْلَمُوا
فَأُذِرُوا فَضَلُّوا وَقُتِلُوا
وَالْحَجُّ فِيهَا عِنْدَ قَوْمٍ فُرِضَ
وَأَرْسَلَ الرَّسُولُ فِي ذِي الْحِجَّةِ
فَحَاطَبٌ مِنْهُمْ إِلَى الْمُقَوْسِ
وَهَبُّ لِحَارِثٍ هُوَ الْعَسَّانِي
لَهُوَذَةُ سُلَيْطٌ أَعْنِي الْعَامِرِي

فِي أَرْبَعِينَ قَاصِدًا ذَا الْقِصَّةِ
ثَلَاثَ مَرَّاتِ النَّبِيِّ بَاعِثُهُ
فَرَجَعُوا بِمَعْنَمٍ عَظِيمٍ
أَوَّلَى جُمَادَى كَانَ دُونَ مَرِيَّةِ
عَبْرِ أَبِي الْعَاصِ بِذَا الشَّهْرِ أَنْجَلَى
رَيْنَبَ ثُمَّ رَدَّ مَعَ تِجَارَتِهِ
مِمَّا مَضَى دُونَ ذُهُولِ عَنْهُ
لِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ ثُمَّ أَسْلَمُوا
قَدْ حَارَبُوا اللَّهَ وَمَنْ قَدْ أَرْسَلَا
وَقَتَلُوا الرَّاعِي وَسَيْقَ النِّعَمِ
وَقَطَّعَتْ أَيْدِيَهُمْ وَالْأَرْجُلُ
كَمَا نَحَاهُ الشَّافِعِيُّ وَارْتَضَى
إِلَى الْمُلُوكِ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ
وَإِبْنُ حُدَافَةَ لِكِسْرَى فَارِسِ
وَدَحِيَّةُ لِقَيْصَرَ النَّصْرَانِي
وَاللَّجَاشِي عَمْرُو وَهُوَ الضَّمْرِي

س٥٨ / مَاذَا وَقَعَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ؟

ج / كَانَ فِيهَا غَزْوَةٌ ذِي قَرَدٍ ^(١) فِي قَوْلِ «الْبُخَارِيِّ» ^(٢) ، وَهُوَ الصَّحِيحُ ^(١) فِي صَدْرِ هَذِهِ السَّنَةِ ، ثُمَّ بَعْدَهَا غَزْوَةٌ خَيْرٍ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ كَمَا صَرَّحَ بِهَا سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ^(٣) ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهَا مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ إِلَّا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.....

^(١) تقدم ذكرها في أحداث السنة الثالثة في الجواب عن السؤال رقم (٥٣).

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : باب غزوة ذات القرد وهي الغزوة التي أغاروا على لقاح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل خيبر بثلاث. ^(٢)

^(٣) قال في آخر الحديث الطويل الذي رواه مسلم برقم (١٨٠٧) في غزوة قرد: فوالله، ما لبثنا إلا ثلاث ليالٍ حتى خرجنا إلى خيبر....

وقد خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خيبر وصحابته الكرام وهم بين يديه يرتجزون الأراجيز.

قَالَ سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ ، فَسَرْنَا لَيْلًا ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ لِعَامِرٍ : يَا عَامِرُ ، أَلَا تَسْمِعُنَا مِنْ هُنَيْهَاتِكَ؟ ^(٣) وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا

(١) انظر «فتح الباري» (٧/ ٥٨٥) تحت حديث رقم (٤١٩٤).

(٢) «البخاري» (٧/ ٥٨٤) مع «الفتح».

(٣) أي: من كلماتك، أو من أراجيزك. «النهاية» (٢/ ٩١٦) مادة: هنا.

شَاعِرًا، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالْقَوْمِ يَقُولُ:

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا اقْتَفَيْنَا وَتَبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنْ لَأَقَيْنَا

وَأَلْقَيْنَ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَبَيْنَا

وَبِالصِّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا^(١)

فلما وصلوا إلى خيبر حاصروها، قال سلمة رضي الله عنه: فَاتَيْنَا خَيْبَرَ فَحَاصَرْنَا هُمْ

حَتَّى أَصَابَتْنَا مَخْمَصَةٌ^(٢) شَدِيدَةٌ^(٣).

وَكَانَ حَامِلُ اللِّوَاءِ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، فَانصَرَفَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ مِنَ الْغَدِ

فَخَرَجَ فَرَجَعَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ، وَأَصَابَ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ شِدَّةٌ وَجَهْدٌ^(٤) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ: «إِنِّي دَافِعُ اللِّوَاءَ غَدًا إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ لَا

يَرْجِعُ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ»، قَالَ الرَّاوي: فَبِتْنَا طَيِّبَةً أَنْفُسَنَا أَنَّ الْفَتْحَ غَدًا، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى الْغَدَاةَ ثُمَّ قَامَ فَائِمًا فَدَعَا بِاللِّوَاءِ وَالنَّاسُ عَلَى مَصَافِهِمْ، فَدَعَا

(١) رواه البخاري برقم (٤١٩٦)، ومسلم برقم (١٨٠٢).

(٢) المخمصة: الجوع والمجاعة. «النهاية» (١/٥٣٤) مادة: حَمَصَ.

(٣) رواه البخاري برقم (٤١٩٦)، ومسلم برقم (١٨٠٢).

(٤) الجهد: المشقة، وبالضم (الجهد): الوسع والطاقة، والمراد هنا هو الأول، وينظر «النهاية»

(١/٣١٤)، مادة: جَهَدَ.

عَلِيًّا وَهُوَ أَرْمَدٌ^(١) فَتَقَلَّ فِي عَيْنَيْهِ وَدَفَعَ إِلَيْهِ اللَّوَاءَ، وَفُتِحَ لَهُ....^(٢)

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبِرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»، قَالَ الرَّاوي: فَخَرَجُوا يَسْعُونَ فِي السَّكِّ، فَتَقَلَّ النَّبِيُّ ﷺ الْمُقَاتَلَةَ، وَسَبَى الدَّرِيَّةَ.^(٣)

(١) الرَّمَدُ بفتح الراء والميم: ورم حار يعرض في الطبقة الملتحمة من العين، وهو بياضها الظاهر، وسببه انصباب أحد الأخلاط، أو أبخرة تصعد من المعدة إلى الدماغ؛ فإن اندفع إلى الخياشيم أحدث الزكام، أو إلى العين أحدث الرمَد، أو إلى اللهاة والمنخرين أحدث الخَنَان - بفتح الخاء المعجمة والنون- أو إلى الصدر أحدث النزلة، أو إلى القلب أحدث الشوصة، وإن لم ينحدر وطلب نفاذاً أحدث الصداع. "فتح الباري" (١٠ / ١٩٤).

(٢) رواه أحمد (٥ / ٣٥٣)، وهو حديث صحيح، وصححه شيخنا الوادعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في "الجامع الصحيح" (٣ / ٣١٠)، وأصله في "صحيح البخاري" برقم (٤٢١٠).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٢٠٠)، ومسلم برقم (١٣٦٥).

وَصَرَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَجْرِهِ وَسَهْمِهِ، وَفُتِحَتْ حُصُونُهَا، وَغُنِمَتْ أَمْوَالُهُمْ، وَقَسَمَ [نِصْفًا] (١) لِلْمُقَاتِلَةِ وَأَعَدَّ النِّصْفَ الْآخَرَ لِلنَّوَائِبِ ، وَقَدْ أَسْهَمَ النَّبِيُّ ﷺ [لِبَعْضٍ] (٢) مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا بِإِذْنٍ مَنْ شَهِدَهَا.....

قال سهل بن أبي حثمة رضي عنه الله: قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ خَيْرَ نِصْفَيْنِ: نِصْفًا لِنَوَائِبِهِ وَحَاجَتِهِ، وَنِصْفًا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، قَسَمَهَا بَيْنَهُمْ عَلَى ثَمَانِيَةِ عَشْرَ سَهْمًا. (٣)
وَهُمْ أَهْلُ السَّفِينَةِ مِمَّنْ هَاجَرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ.

قال أبو موسى الأشعري رضي عنه الله: بَلَّغْنَا مَخْرَجَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ، أَنَا وَأَخْوَانٌ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ، وَالْآخَرُ أَبُو رُهْمٍ - إِمَّا قَالَ: فِي بِضْعٍ، وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلَاثَةِ وَخَمْسِينَ، أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي -، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَالْقَتْنَا سَفِينَتَنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، وَوَأَفَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ عِنْدَهُ، فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَنَا هَاهُنَا، وَأَمَرَنَا بِالْإِقَامَةِ، فَأَقِيمُوا مَعَنَا، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَأَفَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ

(١) كلمة لم تتضح، ولكن غلب على ظني بعد التأمل ما أثبت، كذلك السياق يدل عليه كقوله: وأعد النصف الآخر.

[٢] ليست واضحة في المخطوط، وبالرجوع إلى المنظومة في "السيرة" للمؤلف ظهر لي ما أثبت حيث قال رضي عنه الله:

وَأَسْهَمَ النَّبِيُّ لِبَعْضٍ مَا شَهِدَ لَكِنْ بِإِذْنِ الشَّاهِدِينَ فَأَعْتَمَدَ

(٣) رواه أبو داود برقم (٣٠١٠)، وإسناده حسن؛ رجاله كلهم ثقات سوى أسد بن موسى وهو حسن الحديث، وصححه شيخنا في "الجامع الصحيح" (٣/٣٠٨).

خَيْبِرَ، فَأَسْهَمَ لَنَا، أَوْ قَالَ: فَأَعْطَانَا مِنْهَا، وَمَا قَسَمَ لِأَحَدٍ غَابَ عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ مِنْهَا شَيْئًا، إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ مَعَهُ، إِلَّا أَصْحَابَ سَفِينَتِنَا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، قَسَمَ لَهُمْ مَعَهُمْ. (١)

وتقدم قريباً أنه غاب جابر بن عبد الله رضي الله عنه وهو ممن حضر بيعة الرضوان، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سهمه، إلا أنني لم أقف عليه إلا معلقاً عند البخاري في [كتاب فرض الخمس] الباب الخامس عشر (٦/٢٩٠) مع "الفتح".

(١) رواه البخاري برقم (٣١٣٦)، ومسلم برقم (٢٥٠٢).

وَعَامَلِ النَّبِيِّ ﷺ أَهْلَ خَيْبَرَ عَلَى شَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَفِيهَا حُرِّمَتْ لُحُومُ
الْحُمْرِ الْإِنْسِيَّةِ ، وَفِيهَا حُرِّمَ نِكَاحُ الْمُتَمَعَةِ ، وَقِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ^(١)

لحديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشرط ما خرج
منها من زرع، أو ثمر. (١)

لحديث جابر رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمرة
الأهلية، وأذن في لحوم الخيل. (٢)

لحديث علي رضي الله عنه : أن النبي ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن أكل
لحوم الحمرة الإنسية. (٣)

جاءت أحاديث تدل على أن المتعة حُرِّمَتْ يوم خيبر، ثم أُبيحت في فتح
مكة، ثم حُرِّمَتْ مؤبداً، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: رخص رسول الله ﷺ عام
أوطاس في المتعة ثلاثاً، ثم نهى عنها. (٤)

وعن سبرة الجهني رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بالمتعة عام الفتح حين
دخلنا مكة، ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها. (٥)

(١) رواه البخاري برقم (٤٢٤٨)، ومسلم برقم (١٥٥١)، واللفظ له.

(٢) رواه البخاري برقم (٥٥٢٠)، ومسلم برقم (١٩٤١).

(٣) رواه البخاري برقم (٤٢١٦)، ومسلم برقم (١٤٠٧).

(٤) رواه مسلم برقم (١٤٠٥).

(٥) رواه مسلم برقم (١٤٠٦).

فيقال: كانت المتعة قبل خيبر مباحة ثم حرمت في خيبر، ثم أُبيحت في أوطاس وهي فتح مكة، ثم حُرِّمت تحريمًا مؤبدًا؛ ولذا بوب النووي رحمته الله في "شرحه لصحيح مسلم": باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيع ثم نسخ، ثم أبيع ثم نسخ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة.

وقال في شرح الأحاديث المتقدم ذكرها: الصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين، فكانت حلالًا قبل خيبر، ثم حرمت يوم خيبر، ثم أُبيحت يوم فتح مكة، وهو يوم أوطاس؛ لاتصالهما، ثم حرمت يومئذٍ بعد ثلاثة أيام تحريمًا مؤبدًا إلى يوم القيامة واستمر التحريم. اهـ

وَفِيهَا قِصَّةُ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ ① ، وَكَلَامُ الذَّرَاعِ ② ، وَفِيهَا قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مُهَاجِرَةِ الْحَبَشَةِ وَمَعَهُمْ وَفُدُّ الْأَشْعَرِيِّينَ ③ ، وَفِيهَا إِسْلَامُ أَبِي هُرَيْرَةَ ④ ، وَفِي رُجُوعِهِ ﷺ بَنَى بِصَفِيَّةَ ⑤

① وقصة الشاة المسمومة في "صحيح البخاري" برقم (٣١٦٩)، ورقم (٢٤٧٤)، و"صحيح مسلم" برقم (٢١٩٠).

② حديث تكلم الذراع رواه أبو داود برقم (٤٥١٢)، والدارمي برقم (٦٨)، وصححه الألباني في تعليقه على "مشكاة المصابيح" (٣/١٦٦٧-١٦٦٨).

③ تقدم قريباً من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

④ لما فتح الله على النبي ﷺ الحصن بخيبر سبى الذرية، وكان في السبي صافية، فصارت إلى دحية الكلبي، ثم صارت إلى النبي ﷺ، فجعل عتقها صداقها. ②

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ، حَتَّى إِذَا جَعَلَهَا فِي ظَهْرِهِ نَزَلَ، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَيْهَا الْقَبَّةَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ زَادٍ، فَلْيَأْتِنَا بِهِ»، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِفَضْلِ التَّمْرِ، وَفَضْلِ السَّوِيقِ، حَتَّى جَعَلُوا مِنْ ذَلِكَ

(١) انظر "الاستيعاب" (١/٣٧٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢٠١)، ومسلم برقم (١٣٦٥).

سَوَادًا حَيْسًا، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْسِ^(١)، وَيَشْرَبُونَ مِنْ حِيَاضٍ إِلَى
جَنبِهِمْ مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَقَالَ أَنَسٌ: فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
عَلَيْهَا.^(٢)

(١) الحيس هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن، وقد يُجعل عوض الأقط الدقيق أو الفتيت.
”النهاية“ (٤٥٨ / ١) مادة: حَيْسَ.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢١١)، ومسلم برقم (١٣٦٥)، واللفظ له.

وَحَاصِرَ وَادِي الْقُرَى، فَفَتَحَهُ وَعَامَلَهُمْ مُعَامَلَةَ أَهْلِ خَيْبَرَ، وَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَدَكَ ﴿١﴾
لَمْ يُوجِفْ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ.

قال أبو هريرة رضي عنه الله: افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهباً ولا فضةً إنما غنمنا البقر
والإبل والمتاع والحوائط، ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى. (١)
فدعا أهلها إلى الإسلام فامتنعوا من ذلك وقاتلوا، ففتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنوةً، وغنمه الله أموال أهلها، وأصاب المسلمون منها أثاثاً ومتاعاً، فخمّس
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وترك الأرض والنخل في أيدي يهود وعاملهم على نحو ما
عامل عليه أهل خيبر... (٢).

لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك (٣)
حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر؛ فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلحونه على
النصف من فدك، فقدمت عليهم رسله بخيبر بالطريق أو بعدما قدم المدينة، فقبل
ذلك منهم، فكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا
ركاب. (٤).

(١) رواه البخاري برقم (٤٢٣٤).

(٢) "أنساب الأشراف" (١/٤٢١-٤٢٢)، "عيون الأثر" (٢/١٨٦-١٨٧)، "المواهب اللدنية"
(١/٥٣٦).

(٣) فدك بلدة عامرة كثيرة النخل والزرع والسكان على ظهر الحرة شرق خيبر، ماؤها إلى وادي الرمة،
وتسمى اليوم: الحائط، وهي من أكبر قرى حرة خيبر، ويضاف إليه الجزء الشرقي من الحرة
فتسمى: حرة فدك. "معجم معالم الحجاز" (٢/٣٩٧-٣٩٨)، (٧/١٣٠٦).

(٤) ابن إسحاق "سيرة ابن هشام" (٢/٨٤٤)، "الاكتفاء" (٢/١٩٢)، "الفصول" (ص١٦٨).

س٥٩ / ماذا وقع فيها من السرايا؟

ج / فيها سرية أبي بكر الصديق إلى فزارة. (١)

قال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: غزونا فزارة وعلينا أبو بكر، أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا، فلما كان بيننا وبين الماء ساعة، أمرنا أبو بكر فعرسنا، ثم شن الغارة، فورد الماء، فقتل من قتل عليه، وسبى، وأنظر إلى عنق (١) من الناس فيهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما رأوا السهم وقفوا، فجئت بهم أسوقهم وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع (٢) من آدم معها ابنة لها من أحسن العرب، فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر، فنقلني أبو بكر ابنتها، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوباً، فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق، فقال: «يا سلمة، هب لي المرأة»، فقلت: يا رسول الله، والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً، ثم لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد في السوق، فقال لي: «يا سلمة، هب لي المرأة لله أبوك»، فقلت: هي لك يا رسول الله، فوالله ما كشفت لها ثوباً، فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة، ففدى (٣) بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة. (٤)

(١) أي: جماعة من الناس. "النهاية" (٢/ ٢٦٤).

(٢) قيل: أراد بالقشع الفرو الحلق. "النهاية" (٢/ ٤٥٦).

(٣) الفداء بالكسر والمد والفتح مع القصر: فكاك الأسير، يقال: فداه تغدية فداءً وفدى، وفاداه يفاديه مفاداةً إذا أعطى فداءه، وأنقذه، وفداه بنفسه وفداه إذا قال له: جعلت فداك، والفدية: الفداء. وقيل: المفاداة: أن تفك الأسير بأسير مثله. "النهاية" (٢/ ٣٥٠) مادة: فدا.

(٤) رواه مسلم برقم (١٧٥٥).

وَسَّرِيَّةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى هَوَازِنَ ① وَسَّرِيَّةُ ابْنِ رَوَاحَةَ إِلَى يُسَيْرِ
ابْنِ رَزَامٍ ② وَمَنْ مَعَهُ، فَقَتَلَهُمْ.....

① بعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين رجلاً إلى عَجْزِ هَوَازِنَ بتربة، وهي بناحية العبلاء على أربع ليالٍ من مكة طريق صنعاء ونجران، فخرج وخرج معه دليل من بني هلال، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتى الخبر هوازِن؛ فهربوا، وجاء عمر بن الخطاب محالهم، فلم يلق منهم أحداً فانصرف راجعاً إلى المدينة. (١)

② لما قُتِلَ أبو رافع سلام بن أبي الحُقَيْقِ أَمَّرت يهود عليهم أسير [٢] بن زارم [٣]، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر في شهر رمضان سراً، فسأل عن خبره وَغَرَّتْهُ فَأخبر بذلك، فقدم على رسول الله ﷺ، فأخبره، فندب رسول الله ﷺ الناس، فانتدب له ثلاثون رجلاً، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة، فقدموا على أسير، فقالوا: نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له؟ قال: نعم، ولي منكم مثل

(١) "الطبقات" (٢/ ١١٠-١١١) بدون سند، "عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير" (٢/ ١٨٨).

[٢] وفي بعض المصادر من كتب السير: (يسير)، وأما المخطوط ففيها: (سبير)، وما أثبت هو مراده كما في المنظومة.

[٣] وفي بعض المصادر: (رزام) بتقديم الراء على الزاي.

ذلك؟ وقالوا: نعم. فقلنا: إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خير ويحسن إليك. فطمع في ذلك فخرج، وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين، حتى إذا كنا بقرقرة ثبار^(١) ندم أسير، فقال عبدالله بن أنيس - وكان في السرية - فأهوى بيده إلى سيفي، ففطنت له، ودفعت بعيري، وقلت: غدراً أي عدو الله، فعل ذلك مرتين، فنزلت فسقت بالقوم حتى انفراد لي أسير، فضربته بالسيف، فأندرت عامة فخذة وساقه، فسقط عن بعيره ويده مخرش من شوحط^(٢)، فضربني فشجني مأمومة^(٣)، وملنا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شداً، ولم يُصب من المسلمين أحد، ثم أقبلنا إلى رسول الله ﷺ، فحدثناه الحديث، فقال: «قد نجاكم الله من القوم الظالمين»^(٤).

(١) قرقرة ثبار، ويقال: قرقرة الكدر: قاع قبيل خيبر مما يلي المدينة على ستة أميال من خيبر يطؤه الطريق ويشرف عليه من الغرب جبل الصهباء، وهما في سواء الحرة حرة النار المعروفة اليوم: بحرة خيبر. «معجم معالم الحجاز» (٧/ ١٣٧١).

(٢) الشوحط: ضرب من شجر الجبال تُتخذ منه القسي. «النهاية» (٢/ ٨٩٦).

(٣) المأمومة هي: الشجة التي بلغت أم الرأس، وهي الجلدة التي تجمع الدماغ. «النهاية» (١/ ٧٧) مادة: أمم.

(٤) «الطبقات» (٢/ ٨٨-٨٩) بدون سند، «أنساب الأشراف» (١/ ٤٥٧).

وَبَعَثَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ عَلَى الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، وَعَاتَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَتْلِهِ [الَّذِي] ^[١] نَطَقَ بِالشَّهَادَةِ. [Ⓜ]

Ⓜ قال أسامة رضي الله عنه: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَصَبَّحْنَا الْحُرَقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَأَدْرَكْتُ رَجُلًا فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَطَعَنْتُهُ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ. قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟»، فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ. ^(٢)

لكن هل كان أسامة رضي الله عنه أميراً لهذه السرية؟ الذي في كتب السير أنه كان في سرية غالب بن عبد الله الليثي، أي: إنه لم يكن أميراً، وذكروا أن قتل الرجل الذي نطق بلا إله إلا الله كان فيها.

أما الإمام البخاري رحمته الله فإنه يميل إلى أن أمير السرية هو أسامة؛ لذا بَوَّبَ: باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة.

وهذا ما اختاره المؤلف؛ حيث نسب السرية إلى زيد رضي الله عنه.

وعلق الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٦٥٩/٧) تحت حديث رقم (٤٢٦٩)

[١] غير واضح في المخطوط، وأثبتته من النظم حيث قال رحمته الله:

بَعَثَ إِلَى جُهَيْنَةَ وَقَتَلَ فِيهَا أَسَامَةَ (الَّذِي) قَدِ هَلَلَا

وانظر "صحيح البخاري" برقم (٤٢٦٩)، و"صحيح مسلم" برقم (٩٦).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢٦٩)، ومسلم برقم (٩٦)، واللفظ له.

على قول أسامة رضي الله عنه: «بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة»، فقال: ليس في هذا ما يدل على أنه كان أمير الجيش كما هو ظاهر الترجمة، وقد ذكر أهل المغازي سرية غالب ابن عبد الله الليثي إلى الميعة بتحتانية ساكنة وفاء مفتوحة، وهي وراء بطن نخل، وذلك في رمضان سنة سبع، وقالوا: إن أسامة قتل الرجل في هذه السرية؛ فإن ثبت أن أسامة كان أمير الجيش فالذي صنعه البخاري هو الصواب؛ لأنه ما أمر إلا بعد قتل أبيه بغزوة موتة وذلك في رجب سنة ثمان، وإن لم يثبت أنه كان أميرها رجع ما قال أهل المغازي. اهـ

قلت: فإن رُجِح قول الإمام البخاري فيكون اختيار المؤلف صحيحًا، لكن ليس في السنة السابعة كما أراد، وإنما هو في السنة الثامنة. ^(١)

(١) وانظر «الطبقات» (٢/١١٢)، «أنساب الأشراف» (١/٤٥٨)، «الاكتفاء» (٢/٣٠٣)، «عيون الأثر» (٢/١٩٠).

وَسَرِيَّةُ أَبِي الْحَدَرْدِ إِلَى الْعَابَةِ. ①

بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ قَيْسَ بْنَ رِفَاعَةَ يُرِيدُ أَنْ يَجْمَعَ قَيْسًا عَلَى حَرْبِهِ، وَكَانَ ذَا اسْمٍ فِي جُشَمٍ وَشَرْفٍ. قَالَ ابْنُ أَبِي حَدَرْدٍ: فَدَعَانِي النَّبِيُّ ﷺ وَرَجُلَيْنِ مَعِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: «أُخْرَجُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ حَتَّى تَأْتُوا مِنْهُ بِخَبْرٍ وَعِلْمٍ...»، فَخَرَجْنَا وَمَعَنَا سِلَاحُنَا مِنَ النَّبْلِ ① وَالسِّيُوفِ حَتَّى إِذَا جِئْنَا قَرِيبًا مِنَ الْحَاضِرِ عَشِيَشِيَّةً ② مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، كَمَنْتُ فِي نَاحِيَةٍ وَأَمَرْتُ صَاحِبِي فَكَمْنَا فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى مِنْ حَاضِرِ الْقَوْمِ وَقُلْتُ لَهُمَا: إِذَا سَمِعْتُمَانِي قَدْ كَبَّرْتَ وَشَدَدْتُ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ فَكَبِّرَا وَشُدَّا مَعِي. قَالَ: فَوَاللَّهِ، إِنَّا لِكَذَلِكَ نَنْتَظِرُ غِرَّةً ③ الْقَوْمِ أَوْ أَنْ نُصِيبَ مِنْهُمْ شَيْئًا، وَقَدْ غَشِينَا اللَّيْلَ حَتَّى ذَهَبَتْ فَحَمَةُ الْعِشَاءِ وَقَدْ كَانَ لَهُمْ رَاعٍ قَدْ سَرَحَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَخَوْفُوا عَلَيْهِ. فَقَامَ صَاحِبُهُمْ ذَلِكَ رِفَاعَةُ بْنُ قَيْسٍ، فَأَخَذَ سَيْفَهُ فَجَعَلَهُ فِي عُنُقِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَا تَتَّبِعَنَّ أَثَرَ رَاعِينَا هَذَا، وَلَقَدْ أَصَابَهُ سَرٌّ. فَقَالَ لَهُ نَفَرٌ مِمَّنْ مَعَهُ: وَاللَّهِ لَا تَذْهَبُ نَحْنُ نَكْفِيكَ. قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ إِلَّا أَنَا. قَالُوا: فَنَحْنُ مَعَكَ. قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَتَّبِعُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ. وَخَرَجَ حَتَّى مَرَّ بِي، فَلَمَّا أَمَكَّنِي نَفْحَتَهُ بِسَهْمِي، فَوَضَعْتَهُ فِي فُؤَادِهِ. قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا تَكَلَّمْتُ، فَوُتِّبْتُ إِلَيْهِ فَاحْتَرَزْتُ رَأْسَهُ، وَشَدَدْتُ فِي نَاحِيَةِ الْعَسْكَرِ وَكَبَّرْتُ، وَشَدَّ صَاحِبَايَ وَكَبَّرَا،

① النبل: السهام العربية ولا واحد لها من لفظها، فلا يقال: نَبْلَةٌ، وإنما يقال: سَهْمٌ ونُسَابَةٌ. "النهاية" (٧٠٥/٢) مادة: نَبَلٌ.

② عشيشية: تصغير عشية. "النهاية" (٢١٢/٢).

③ الغرة: الغفلة. "النهاية" (٢٩٧/٢).

فَوَاللَّهِ، مَا كَانَ إِلَّا النَّجَاءَ مِمَّنْ فِيهِ عِنْدَكَ، عِنْدَكَ^(١)، بِكُلِّ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ نِسَائِهِمْ
وَأَبْنَائِهِمْ، وَمَا خَفَّ مَعَهُمْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَاسْتَقْنَا إِبِلًا عَظِيمَةً وَغَنَمًا كَثِيرَةً، فَجِئْنَا بِهَا
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَجِئْتُ بِرَأْسِهِ أَحْمِلُهُ، فَأَعَانَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ تِلْكَ الْإِبِلِ
بِثَلَاثَةِ عَشَرَ بَعِيرًا.^(٢)

(١) عندك عندك: كلمتان بمعنى الإغراء. "سبل الهدى والرشاد" (٦/١٨٩).

(٢) ابن إسحاق كما في "سيرة ابن هشام" (٤/٣٦٧-٣٦٩) بإسناد ضعيف، و"عيون الأثر" (٢/٢٠٩-
٢١١).

وَسَرِيَّةُ الرَّجُلِ الَّذِي أَمَرَ أَصْحَابَهُ بِدُخُولِ النَّارِ؛ لِيُخْتَبِرَ طَاعَتَهُمْ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ»^(١)، وَفِيهَا سَرِيَّةٌ إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ. Ⓜ.....

Ⓜ وهذه هي سرية ابن أبي العوجاء السلمي، بعثه النبي ﷺ في خمسين رجلاً إلى بني سليم، فخرج إليهم وتقدمه عين لهم كان معه، فحذرهم، فجمّعوا، فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم معدون له، فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا. فتراموا بالنبل ساعة، وجعلت الأمداد تأتي حتى أحرقوا بهم من كل ناحية، فقاتل القوم قتالاً شديداً حتى قتل عامتهم، وأصيب ابن أبي العوجاء جريحاً مع القتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ، فقدموا المدينة في أول يوم من صفر سنة ثمان^(٢).^(٣)

(١) رواه البخاري برقم (٧٢٥٧)، ومسلم برقم (١٨٤٠).

(٢) هذا بالنسبة لرجوعهم، أما ذهابهم فكان في ذي الحجة سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ. انظر "الطبقات" (١١٥/٢).

(٣) "مغازي الواقدي" (١٦/٧٤٢) بسنده إلى الزهري، وانظر "الطبقات" (١١٥/٢-١١٦).

وَفِيهَا اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عُمْرَةَ الْقَضَاءِ ① فِي ذِي الْقَعْدَةِ كَمَا تَقَدَّمَ ② الْعَقْدُ، وَفِي رُجُوعِهِ بَنَى بِمَيْمُونَةَ وَهَمَّا حَلَالَانِ ③ ، وَفِيهَا رَدَّ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَتَهُ زَيْنَبَ إِلَى أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ وَقَدْ أَسْلَمَ، رَدَّهَا عَلَيْهِ بِالْعَقْدِ الْأَوَّلِ عَلَى الصَّحِيحِ ④.

① التي قاضى قريشاً عليها، ومنهم من يجعلها قضاء الحديبية؛ حيث صُدَّ ومنهم من يقول: عمرة القصاص. والكل صحيح. قاله ابن كثير رحمته الله. ② (١)

③ في الجواب عن السؤال رقم (٥٢)، وانظر التعليق عليه.

④ وهو الصواب كما ثبت في "صحيح مسلم" برقم (١٤١١) من حديث ميمونة رضي الله عنها، قال يزيد بن الأصم: حَدَّثَنِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلَالٌ. قَالَ: وَكَانَتْ خَالَتِي، وَخَالَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وأما ما جاء في "الصحيحين" عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن النبي ﷺ تزوجها وهو محرم فقد عدّه النقاد من الوهم. ② (٢)

③ انظر مبحثاً في الزوجين يسلم أحدهما قبل الآخر في "زاد المعاد" (١٣٣/٥).

قال الشيخ حافظ رحمته الله عن وقائع السنة السابعة:

(١) "الفصول" (ص ١٦٩)، وانظر "فتح الباري" (٧/٥٠٠).

(٢) وانظر لذلك "تنقيح التحقيق" (٢/٤٣٧-٤٤٠)، و"زاد المعاد" (٣/٣٧٢-٣٧٤)، و"نصب الراية" للزيلعي (٣/١٧٤).

فِي صَدْرِهَا غَزْوَتُهُ لِيَذِي قَرْدٍ
وَبَعْدَهَا غَزْوَتُهُ لِيَحْيِيْرَا
وَمَا تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنْ إِنْسَانٍ
إِلَّا ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَابِرًا وَقَدْ
وَفُتِحَتْ حُصُونُهَا وَغَنِمَتْ
عَلَى ثَلَاثِينَ وَسِتَّةَ أَسْهُمٍ
فَقُسِمَ النِّصْفُ لِفَارِسٍ عَلَى
وَذَاكَ بَعْدَ الْخُمْسِ ثُمَّ فَصَّلَا
وَأَسْهُمَ النَّبِيِّ لِبَعْضِ مَا شَهِدَ
وَالنِّصْفُ قَدْ أَعِدَّ لِلنَّوَائِبِ
وَعَامَلَ النَّبِيُّ أَهْلَهَا عَلَى
وَحَرَّمَتْ فِيهَا لُحُومَ الْحُمُرِ
وَأَطْعَمَ السُّمَّ رَسُولَ اللَّهِ فِي
وَكَانَ بَعْدَهَا قُدُومُ جَعْفَرِ
وَفِي الرُّجُوعِ بِصَفِيَّةَ بَنَاتَا

عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَلِلأَوَّلِ رَدًّا (١)
كَمَا بِهِ فَتَحًا قَرِيْبًا فَسَّرَا
مِنَ الْمُبَايَعِينَ فِي الرِّضْوَانِ
أُعْطِيَ سَهْمَهُ وَفِي الْأَجْرِ يُعَدُّ
أَمْوَالَهُمْ بِالْقَهْرِ ثُمَّ قُسِمَتْ
وَكُلَّ سَهْمٍ مِائَةٌ فَلْيُفْهِمُ
ثَلَاثَةَ وَالرَّاجِلُ السَّهْمُ أَنْجَلًا [٢]
فِيهَا ابْنُ إِسْحَاقَ الَّذِي قَدْ أَجْمَلَا
لَكِنْ بِإِذْنِ الشَّاهِدِينَ فَاعْتَمَدَ
كَالْوَفْدِ وَالْعُدَّةِ فَافْهَمُ تَصَبُّبِ
شَطْرٍ وَإِنْ شَا فَعَلَيْهِمُ الْجَلَا
أَعْنِي بِهِ الْإِنْسِيَّةَ افْهَمُ وَأَثْرِ
شَاةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْهُ قَدْ كُفِّي
[وَصَحْبِهِ وَمَعَهُ] [٣] وَقَدْ الْأَشْعَرِي
وَهِيَ أُمَّ كُلِّ مَنْ قَدْ آمَنَا

(١) أي: القول المتقدم أنها وقعت في سنة ست، وقد تقدم الكلام في التعليق على الجواب عن سؤال رقم (٥٣)، والجواب عن سؤال رقم (٥٨).

[٢] في المخطوط: [انجلا].

[٣] في المخطوط: [ومن معه منهم].

وَفَتْحُهُ وَقَسَمُ مَغْنَمِ جَرَى
وَعَامَلُ الْيَهُودِ فِيهِ مِثْلَمَا
جَاءَ النَّبَا يُهُودَ تَيْمًا بَدَلُوا
وَفِيهِ إِشْكَالٌ إِذِ الْجَزِيَّةُ فِي
وَفَدَكَ مَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ
[كَذَابَهَا] [٢٢] سَرِيَّةُ الصَّادِقِ
سَرِيَّةٌ إِلَى هَوَازِنٍ كَذَا
إِلَى يُسَيْرِ بْنِ رَزَامِ الْغَادِرِ
بَعَثَ إِلَى جُهَيْنَةَ وَقَتَلَا
كَذَا أَبُو حَذْرَدٍ نَحْوَ الْغَابَةِ
كَذَا سَرِيَّةُ الَّذِي قَدْ أَمَرَا
قَالَ النَّبِيُّ فِي ذَلِكَ لَيْسَ لِأَحَدٍ
وَكَانَ فِيهَا عُمُرَةُ الْقَضَاءِ
وَفِي رُجُوعِهِ الرَّسُولُ قَدْ نَكَحَ
وَبَعَثَ النَّبِيُّ سَرِيَّةً إِلَى
ابْنِ الرَّيِّعِ زَيْنَبًا بِالْعَقْدِ

وَفَتْحُهُ وَقَسَمُ مَغْنَمِ جَرَى
عَامَلُ أَهْلِ خَيْبَرَ وَحِينَمَا
صُلْحًا بِجَزِيَّةٍ كَذَا قَدْ نَقَلُوا
تَاسِعِ عَامٍ شُرِعَتْ فَلْيُعْرِفِ [١]
عَلَى رُسُولِهِ وَمُضْطَفَاهُ
إِلَى فَزَارَةَ وَلِلْفَارُوقِ
سَرِيَّةٌ لِابْنِ رَوَاحَةَ خُذَا
وَأَخِذُوا أَخَذَ الْعَزِيزِ الْقَادِرِ
فِيهَا أَسَامَةُ الَّذِي قَدْ هَلَّلَا
فَعَادَ غَانِمًا بِلَا كَابَهُ
مَنْ مَعَهُ دُخُولَ نَارٍ سَجَّرَا
طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ الصَّمَدِ
كَمَا مَضَى الْعَقْدُ بِلَا مِرَاءِ [٣]
مَيْمُونَةً وَهُوَ حَلَالٌ فِي الْأَصْحِ
بَنِي سُلَيْمٍ وَبِهَا رَدَّ عَلَى
الْأَوَّلِ عِنْدَ عَلَمَاءِ النَّقْدِ

[١] في المطبوع: (فلتعرف)، وانظر أحداث السنة التاسعة للهجرة.

[٢] في المخطوط: [فيها روى] بدل: (كذابها).

[٣] انظر الأبيات السابقة من البيت رقم (٣٤٦) إلى (٣٦٨).

س٦٠ / مَاذَا وَقَعَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ مِنَ الْغَزَوَاتِ؟

ج / فِي شَهْرِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْهَا كَانَتْ غَزْوَةٌ مُؤْتَةً ① الَّتِي اسْتُشْهِدَ فِيهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.....

① بوب الإمام البخاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في "صحيحه" (٧ / ٦٥٠) مع "الفتح": [بَابُ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ].

فذكر مؤتة بغير همزة، فقال الحافظ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: موتة بضم الميم وسكون الواو بغير همز لأكثر الرواة، وبه جزم المبرد، ومنهم من همزها وبه جزم ثعلب والجوهري، وابن فارس، وحكى صاحب "الواعي" الوجهين، قال ابن إسحاق: هي بالقرب من البلقاء. وقال غيره: هي على مرحلتين من بيت المقدس... اهـ

وأمر رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الغزوة زيد بن حارثة، فقال: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ، فَجَعْفَرُ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ». (١)

فَانْطَلَقَ الْجَيْشُ، فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى: الصَّلَاةَ جَامِعَةً. (٢) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَابَ خَيْرٌ أَوْ ثَابَ خَيْرٌ - شَكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ (٣) - أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟ إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا حَتَّى

(١) رواه البخاري برقم (٤٢٦١).

(٢) قوله: الصلاة جامعة، تنصب (الصلاة) بتقدير: احضروا الصلاة، و(جامعة) على الحال، ولو صرح بالعامل وهو: احضروا. لجاز. انظر "أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك" (٤ / ٨٠).

(٣) هو الإمام عبد الرحمن بن مهدي، أحد رجال السند.

لَقُوا الْعَدُوَّ فَأَصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ - فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ - ثُمَّ أَخَذَ
اللُّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا أَشْهَدَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ
فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَأَنْبَتَ قَدَمَيْهِ حَتَّى أُصِيبَ
شَهِيدًا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ، ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَمْرَاءِ هُوَ
أَمَرَ نَفْسَهُ «فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أُصْبَعِيهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِكَ
فَأَنْصُرْهُ»، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَرَّةً: «فَأَنْتَصِرُ بِهِ»؛ فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ: سَيْفَ
اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «انْفِرُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ وَلَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ»، فَفَرَ
النَّاسُ فِي حَرِّ شَدِيدٍ مُشَاهَةً وَرُكْبَانًا. (١)

(١) رواه أحمد (٢٩٩/٥)، وهو حديث صحيح، رجاله كلهم ثقات، أما قول الحافظ في أحد رجاله وهو خالد بن سمير: إنه صدوق يهيم قليلاً. فلا يوافق عليه؛ فقد وثقه النسائي، وذكره ابن حبان في «الثقات»، ووثقه العجلي كما في «تهذيب التهذيب»، ولا نعلم أحداً جرحه إلا أن ابن جرير وابن عبد البر، والبيهقي ذكروا له حديثاً أخطأ في لفظة منه، وهذا لا يكفي في تنزيل حديثه إلى مرتبة صدوق، فكيف بصدوق يهيم قليلاً، وقد أصاب أصحاب «التحريج» في تعقبهم على الحافظ. وصحح شيخنا الوادعي رحمته الله حديثه في «الجامع الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٣/٣١٥-٣١٦) برقم (٢٠٩٦).

وانظر «السيرة» لابن إسحاق (ص ٥٠٤-٥١٢)، وابن هشام (٢/٨٥٨-٨٧٠)، و«الافتاء» (٢/٢٠٥-٢١٤)، و«عيون الأثر» (٢/١٩٦-٢٠٠)، و«الفصول» (ص ١٢٣-١٢٥).

وَفِيهَا فِي رَمَضَانَ غَزْوَةُ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ، وَسَبَبُهُ نَكْتُ قُرَيْشٍ الْعَهْدَ بِمُسَاعَدَتِهِمْ
[بني] ^[١] بَكَرٍ عَلَى قَتْلِ خُرَاعَةَ فِي الْحَرَمِ.

كان في صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل،
ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل، فتواثبت خزاعة وقالوا: نحن
ندخل في عقد محمد وعهده. وتواثبت بنو بكر وقالوا: نحن ندخل في عقد قريش
وعهدهم. فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرا.

ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلا بماء يقال له: الوتير. وهو قريب من
مكة ^(٢)، وقالت قريش: ما يعلم بنا محمد وهذا الليل وما يرانا من أحد، فأعانوهم
عليهم بالكُرَاع ^(٣) والسلاح وقتلوهم معهم للضغن ^(٤) على رسول الله ﷺ، وأن
عمرو بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم على
رسول الله ﷺ يخبر الخبر وقد قال أبيات شعر، فلما قدم على رسول الله ﷺ
أنشدها إياه:

[١] ما بين المعقوفتين لا يوجد في المخطوط، وتم تصويبه من كتب السير.

(٢) وهو ماء بأسفل مكة لخزاعة، ويُعرف اليوم بالوتائر، كجمع وتير، وقد يقال: الوتران، وهما: شعبان
جنوب غربي مكة، بطرف حدود الحرم تصب في العكيشة من الغرب تأتي من سود حُمَي، ثم
يذهب ماؤها إلى عُرنة وهي في ديار خزاعة، وتبعد عن مكة ستة عشر كيلاً، وكانت قديماً من ديار
خزاعة أيضاً. "معجم معالم الحجاز" (٩/ ١٧٩٢).

(٣) الكُرَاع: اسم لجميع الخيل كما تقدم.

(٤) الضغن: الحقد، والعداوة، والبغضاء، وكذلك الضغينة، وجمعها: الضغائن. "النهاية" (٢/ ٨٥)
مادة: ضَغَنَ.

لأهمّ إني ناشدُ محمداً حلف أبيه وأبينا الاتلدا
 قد كنتم وُلدًا وكنّا والدًا ثمّت أسلمنا فلم ننزع يدا
 فانصر رسول الله نصرًا أعتدا^(١) وادع عباد الله يأتوا مددا
 فيهم رسول الله قد تجردا إن سيم^(٢) خسفًا^(٣) وجهه تربدا
 في فيلق كالبحر يجري مُزبدا إن قريشا أخلفوك الموعدا
 ونقضوا ميثاقك المؤكدا وجعلوا لي في كداءٍ رُصدًا
 وزعموا أن لست أدعو أحدا فهم أذل وأقل عددا
 هم يبتوننا بالوتير هُجّدا وقتلوننا ركعا وسجّدا

فقال رسول الله ﷺ: «نصرت يا عمرو بن سالم»، فما برح حتى مرت بنا
 عنانة^(٤) في السماء، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني
 كعب»، وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وكتمهم مخرجه، وسأل الله أن يعمي
 على قريش خبره حتى يبعثهم في بلادهم.^(٥)

واستخلف ﷺ على المدينة أبا رهم كلثوم بن حُصين.^(٦)

(١) أي: حاضرًا. «شرح غريب السيرة» (٧٥ / ٣).
 (٢) سيم، أي: طُلبَ منه وكُلّف. «شرح غريب السيرة» (٧٥ / ٣).
 (٣) الخسف: الذل، وتربد، أي: تغير إلى السواد. «شرح غريب السيرة» (٧٥ / ٣).
 (٤) العنان: السحاب، والواحدة: عنانة. «النهاية» (٢٦٦ / ٢).
 (٥) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن كما في «البداية والنهاية» (٥٠٩ / ٦ - ٥١٠)، وصرح ابن إسحاق فيه
 التحديث.
 (٦) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (ص ٥٢١) بإسناد حسن، وصرح فيه بالتحديث.

وخرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة يصومون حتى بلغ الكديد^(١)، وهو ماء بين عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ - أفطروا.^(٢)

فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب: واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة^(٣) قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر.

قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الأراك، فقلت: لعلي أجد بعض الحطّابة، أو صاحب لبن^(٤) أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة.

قال: فوالله، إني لأسير عليها وألتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبُديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيراناً

(١) ويُعرف الكديد اليوم بالحمّض؛ لكثرة نبات العَصَلَاءِ فيه، وهو مكان من أسفل غُرَانِ قبل مصبه في وادي أَمَجٍ كثير الرمال يزرع فيه الدُّخْنُ عَثْرِيًّا، ومياهه مالحة لا تصلح للزرع، والطريق بين الدف وعُسْفَانَ يَطُّ طرف الكديد الغربي على (٩٢) كيلًا من مكة، و(١٧) كيلًا من عُسْفَانَ. "معجم معالم الحجاز" (٧/ ١٤٣٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢٧٦)، ومسلم برقم (١١١٣).

(٣) أي: قهراً وغلبةً، وهو مِنْ: عَنَّا يَعْنُو، إِذَا ذَلَّ وَخَضَعَ. "النهاية" (٢/ ٢٦٨) مادة: عَنَّا.

(٤) وصاحب اللبن هو الذي يطلب اللبن في المراعي، والبوادي. ينظر "النهاية" (٢/ ٥٨٤) مادة: لَبَنٌ.

قط ولا عسكرياً. قال: يقول بُدَيْل: هذه والله خزاعة حمشتها^(١) الحرب.

قال: يقول أبو سفيان: خزاعة أذَلُّ وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها.

قال: فعرفت صوته فقلت: يا أبا حنظلة؟ فعرف صوتي.

فقال: أبو الفضل؟ قال: قلت: نعم.

قال: مالك فداك أبي وأمي! قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان، هذا رسول الله

ﷺ في الناس.

واصبح قريش والله، قال: فما الحيلة فداك أبي وأمي؟ قال: قلت والله لئن

ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله ﷺ

فأستأمنه لك.

قال: فركب خلفي ورجع صاحبا.

قال: فجئت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا

بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عم رسول الله ﷺ على بغلته. حتى مررت بنار

عمر بن الخطاب فقال: من هذا؟ وقام إلي، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة

قال: أبو سفيان عدو الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد.

ثم خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ، وركضت البغلة فسبقت بما تسبق الدابة

(١) أي: أحرقتها وألهبتهها. انظر "النهاية" (٢/ ٤٣٢).

البطيئة الرجل البطيء، فافتحمت عن البغلة، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر، فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلاضرب عنقه. قال: قلت: يا رسول، إني قد أجرته.

ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت: والله لا ينجيه الليلة دوني رجل.

فلما أكثر عمر في شأنه قال قلت: مهلا يا عمر، فوالله أن لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف.

فقال: مهلا يا عباس، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم.

فقال رسول الله ﷺ: « اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به ».

قال: فذهبت به إلى رحلي فبات عندي، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله، فلما رآه رسول الله قال: « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ » فقال: بأبي أنت وأمي! ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد. قال: « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ » قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئا! فقال له العباس: ويحك أسلم

واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك؟ قال: فشهد شهادة الحق فأسلم.

قال العباس: فقلت يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر فاجعل له شيئا. قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»^(١).

وَرَتَّبَ النَّبِيُّ ﷺ الْجَيْشَ لِدُخُولِ مَكَّةَ، وَوَجَّهَهُمْ بِبَعْضِ التَّوَجِيهَاتِ، فَجَعَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْمُجَنَّبَةِ الْيُمْنَى، وَجَعَلَ الزُّبَيْرَ عَلَى الْمُجَنَّبَةِ الْيُسْرَى، وَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْبِيَاذِقَةِ^(٢)، وَبَطْنَ الْوَادِي، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، ادْعُ لِي الْأَنْصَارَ»، فَدَعَوْهُمْ، فَجَاءُوا يُهْرَوُونَ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «انظُرُوا، إِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا»، وَأَحْفَى^(٣) بِيَدِهِ وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، وَقَالَ: «مَوْعِدُكُمْ الصَّفَا»^(٤) الحديث.^(٥)

(١) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (ص ٥٢١) قال: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس... .

وهذا إسناد حسن، وصرح فيه ابن إسحاق بالتحديث، وأما قوله: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» إلى قوله: «من دخل المسجد فهو آمن» فهي عند مسلم برقم (١٧٨٠) من حديث طويل كما سيأتي قريبا.

(٢) البياذقة: هم الرجال، وهو فارسيٌّ معربٌ، وأصله بالفارسية: أصحاب ركاب الملك، ومن يتصرف في أموره، قيل: سموا بذلك؛ لخفتهم وسرعة حركتهم. نوي.

(٣) أحفى بيده، أي: أمالها وضمًّا للحصد والمبالغة في القتل، ومنه: أمره ﷺ أن تحفى الشوارب، أي: يبالغ في قصها، وكل شيء استؤصل فقد احتفى. وينظر «النهاية» (١/ ٤٠٠-٤٠١)، مادة: حفا.

(٤) الصفا: هو أحد جبلي المسعى. «النهاية» (٢/ ٤٠) مادة: صفا.

(٥) رواه مسلم برقم (١٧٨٠).

وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ كَدَاءٍ ^(١) الَّتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ. ^(٢)

فَمَا أَشْرَفَ يَوْمَئِذٍ لَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنَامُوهُ، وَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّفَا، وَجَاءَتْ
الْأَنْصَارُ فَاطْفَأُوا بِالصَّفَا، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ
قُرَيْشٍ لَا قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ
آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السَّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ...» الحديث. ^(٣)

وأهدر النبي ﷺ دم جماعة ممن أَلْحَقَ الأذى الشديد بالمسلمين، وعددهم:
سبعة عشر، بلغ عدد الرجال تسعة، والنساء ثمان، جمع الحافظ أسماءهم من
روايات متفرقة في "فتح الباري" (١٣/٨).

ودخل النبي ﷺ مكة، وَحَوْلَ الكعبة ثلاثمائة وستون نصبًا، فجعل يطعنها
بعودٍ كان بيده ويقول: «جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا، جَاءَ

(١) كدَاءُ بالفتح والمد: الثنية العليا بمكة مما يلي المقابر وهو المعلا، وكُدِّي بالضم والقصر: الثنية
السفلى مما يلي باب العمرة.

وأما كُدِّي بالضم وتشديد الياء فهو موضع بأسفل مكة. "النهاية" (٥٢٨/٢).

وكدَاءُ اليوم يقال لها: الحَجُون، وكُدِّي تعرف اليوم بربع الرسام؛ لأنه جعل فيها زمن الأشراف
مركز لرسم البضائع الآتية من جُدَّة؛ فسميت بذلك، وهي ثنية يخرج منها الطريق من الحرم إلى
جَرَوْل تفصل بين نهاية قعيقعان في الجنوب الغربي وجبل الكعبة، وأما كُدِّي فهي ثنية معروفة إلى
الآن بهذا الاسم يخرج فيها الطريق من مسفلة مكة إلى جبل ثور، والخارج منها يدع جبل المشيب
يمينه ثم يهبط على بطحاء قريش. ينظر "معجم معالم الحجاز" (١٤٢٨-١٤٣٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢٩٠).

(٣) رواه مسلم برقم (١٧٨٠).

الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ. (١)

ولم يدخل ﷺ البيت حتى مُحِيتِ الصور التي كانت فيه، قال ابن عباس رضي الله عنهما:
 إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ، أَبِي أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْآلِهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا
 فَأُخْرِجَتْ، فَأُخْرِجَ صُورَةُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا مِنَ الْأَزْلَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ
ﷺ: «قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، لَقَدْ عَلِمُوا: مَا اسْتَقْسَمَ بِهَا قَطُّ»، ثُمَّ دَخَلَ الْبَيْتَ، فَكَبَّرَ مِنْ
 نَوَاحِي الْبَيْتِ، وَخَرَجَ وَلَمْ يُصَلِّ (٢) (٣).

وهكذا تم تطهير البيت العتيق من مظاهر الوثنية، وأوضار (٤) الجاهلية؛ ليعود
 كما أراد الله تعالى، وكما قصد بنائه إبراهيم، وإسماعيل مكاناً لعبادة الله
 وتوحيده، ولاشك أن تطهير البيت من الأصنام كان أكبر ضربة للوثنية في أرجاء
 الجزيرة العربية حيث كانت الكعبة أعظم مراكزها، وكانت العرب تنتظر نهاية
 الصراع بين المسلمين وقريش، فلما كان الفتح أقبلت بجموعها وبادرت لإعلان
 إسلامها. (٥)

(١) رواه البخاري برقم (٢٤٧٩)، ومسلم برقم (١٧٨١).

(٢) من الصحابة من نفى أنه ﷺ صلى في الكعبة عام الفتح، ومنهم من أثبت ذلك، وهناك كلام طيب
 جداً للحافظ في "فتح الباري" (٣/ ٥٩١) تحت حديث رقم (١٦٠١) فراجع إن شئت.

(٣) رواه البخاري برقم (٤٢٨٨).

(٤) أي: آثار. وانظر "النهاية" (٢/ ٨٥٧) مادة: وَضَرَ.

(٥) "السيرة" للعمري (٢/ ٤٨٣-٤٨٤).

قال عمر بن أبي سلمة: كَانَتْ الْعَرَبُ تَلَوُّمٌ ^(١) بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ، فَيَقُولُونَ:
اتْرُكُوهُ وَقَوْمَهُ؛ فَإِنَّهُ إِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صَادِقٌ. فَلَمَّا كَانَتْ وَقَعَةُ أَهْلَ الْفَتْحِ،
بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ. ^(٢)

وبعد أن أظهر الله الإسلام، ونصر أهله، وخذل المشركين، بدأت الدعوة
الإسلامية تنتشر، فأرسل النبي ﷺ رُسُلَهُ لهدم مظاهر الشرك والوثنية كما سيأتي.

(١) أي: تنتظر.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢٨٨).

وَهُوَ الْفَتْحُ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَكُسِرَتِ الْأَصْنَامُ، ثُمَّ بَعْدَهُ غَزْوَةُ هَوَازِنَ ..

لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان بذرايرهم ونعمهم ومع النبي ﷺ عشرة آلاف ومعه الطلقاء (١) ... (٢)

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: فجاء المشركون بأحسن صفوفٍ رأيتُ، فصفت الخيلُ، ثم صفت المقاتلة، ثم صفت النساء من وراء ذلك، ثم صفت الغنم... (٣)

قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: فلزمتُ أنا وأبو سُفيانَ بنَ الحارثِ بنِ عبدِ الْمُطَّلِبِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ نَفَارِقْهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيَّ بِغَلَّةٍ لَهُ بِيضَاءُ أَهْدَاهَا لَهُ فَرَوْهُ بَنُ نُفَاثَةَ الْجَذَامِيِّ، فَلَمَّا التَّقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْكَفَّارُ وَلِيَ الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغَلَتَهُ قِبَلَ الْكُفَّارِ، وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغَلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَكْفُهَا إِرَادَةً أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ عَبَّاسٍ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمْرَةِ»، فَقَالَ عَبَّاسٌ: وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمْرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللَّهِ، لَكَانَ

(١) الطلقاء هم الذين خلى عنهم يوم فتح مكة، وأطلقهم ولم يسترقهم. "النهاية" (١٢٠/٢ - ١٢١) مادة: طَلَّقَ.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٣٣٧)، ومسلم برقم (١٠٥٩).

(٣) رواه مسلم برقم (١٠٥٩).

عَظَفْتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةَ الْبَقْرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبِيكَ، يَا لَبِيكَ. فَاقْتَتَلُوا وَالْكَفَّارَ^(١)، وَالِدَعْوَةَ فِي الْأَنْصَارِ^(٢) يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ. ثُمَّ فُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بَنِي الْحَارِثِ ابْنِ الْخَزْرَجِ، يَا بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ. فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَعْلَتِهِ كَأَلْمِ تَطَاوُلٍ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا حِينَ حَمِيَ الْوَطِيسُ» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصِيَّاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «أَنْهَزْمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ» قَالَ: فَدَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا الْقِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، قَالَ: فَوَاللَّهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصِيَّاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا^(٣)، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا^(٤).

فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنَائِمَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.^(٥)

وَنَبِهَ اللَّهُ الصَّحَابَةَ عَلَى أَنْ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِهِ، سِوَاءَ قَلِّ الْجَمْعِ أَوْ كَثْرٍ، فَقَالَ

تَعَالَى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَصَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

(١) وهو بنصب (الكفار)، أي: مع الكفار. نووي.

(٢) أي: الاستغاثة والمناداة إليهم.

(٣) أي: ما زلت أرى قوتهم. نووي.

(٤) رواه مسلم برقم (١٧٧٥).

(٥) رواه مسلم برقم (١٧٧٧).

قال الحافظ ابن كثير رحمته الله في "تفسيره" (١٦٦/٨): يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله، وأن ذلك من عنده تعالى، وبتأييده وتقديره، لا بعددهم ولا بعدتهم ونبهم على أن النصر من عنده، سواء قل الجمع أو كثر؛ فإنَّ يوم حُنين أعجبتهم كثرتهم، ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئاً فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أنزل الله نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه... اهـ.

وَفِيهَا وَفَعَهُ حُنَيْنٌ، ثُمَّ غَزَوْهُ الطَّائِفِ وَحِصَارُهُ ^(١)، وَلَمْ يَكُنْ فَتَحَ حَتَّى جَاءُوا مِنْ
عَامٍ قَابِلٍ مُسْلِمِينَ ^(١)، وَفِي رُجُوعِهِ أَهْلَ بَعْمُرَةَ مِنَ الْجِعْرَانَةِ بَعْدَ قَسِيمَةِ الْغَنَائِمِ ^(٢)
فِي ذِي الْقَعْدَةِ.

بعد أن هزم المسلمون هوازن وكان النصر حليفهم يوم حنين اتجهوا إلى ^(١)
الطائف لغزو ثقيف، وكان ملك هوازن مالك بن عوف النصرى دخل حصن
ثقيف ليتحصن هنالك معهم، فَحَاصَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَنْلُ مِنْهُمْ شَيْئًا، قَالَ: «إِنَّا
قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»، فَتَقَلَّ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: نَذْهَبُ وَلَا نَفْتَحُهُ، وَقَالَ مَرَّةً: «نَقْفُلُ».
فَقَالَ: «اغْدُوا عَلَيَّ الْقِتَالِ». فَغَدَوْا فَأَصَابَهُمْ جِرَاحٌ، فَقَالَ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ
اللَّهُ»، فَأَعْجَبَهُمْ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ. ^(٢)

رجع النبي ﷺ من غزوة الطائف إلى حنين؛ لأنه ترك هنالك الغنائم إلا ^(٣)
أنه لم يقسمها إلا بعد بضع عشرة ليلة كان يأمل في إسلام هوازن.

فلما لم يحصل شيء من ذلك قام ﷺ بتوزيعها، فقسم في المهاجرين والطلقاء

[١] في المخطوط: [المسلمين] بالألف واللام، والصواب ما أثبت، وهو موافق لما في المنظومة، فقد
قال ﷺ:

وَهُوَ قَدُومُهُمْ بِثَانِي الْعَامِ
جَمِيعُهُمْ سَعِيًّا إِلَى الْإِسْلَامِ
أي: إنهم جاءوا مسلمين.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٣٢٥)، ومسلم برقم (١٧٧٨).

(٣) كما في "صحيح البخاري" برقم (٤٣٣٨).

ولم يعط الأنصار شيئاً، فقالت الأنصار: إذا كانت شديدة ندعى، ويعطى الغنيمة غيرنا. فبلغه ذلك، فجمعهم في قبة، فقال: «مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ»، فَقَالَ فَقَهَاءُ الْأَنْصَارِ: أَمَّا رُؤُسَاؤُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئاً، وَأَمَّا نَاسٌ مِّنَّا حَدِيثُهُ أَسْنَا نُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا، وَسَيُوفِنَا تَقَطُّرٌ مِّنْ دِمَائِهِمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ، فَوَاللَّهِ، لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِّمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ رَضِينَا. فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «سَتَجِدُونَ أُثْرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ فَإِنِّي عَلَى الْحَوْضِ». (١)

وبعدما قام النبي ﷺ بقسمة الغنائم جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرده إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ، فَاخْتَارُوا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا السَّبِيَّ، وَإِمَّا الْمَالَ، وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمْ».

قال الراوي: وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ انْتَهَرَهُمْ بِضِعِّ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ حِينَ قَفَلَ مِنَ الطَّائِفِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ رَادٍّ إِلَيْهِمْ إِلَّا إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، قَالُوا: فَإِنَّا نَخْتَارُ سَبِينَا. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ هَؤُلَاءِ قَدْ جَاءُوا تَائِبِينَ، وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَرُدَّ إِلَيْهِمْ سَبِيَّهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يُطَيَّبَ بِذَلِكَ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَظِّهِ حَتَّى نُعْطِيَهُ إِيَّاهُ مِنْ أَوَّلِ مَا يُفِيءُ اللَّهُ عَلَيْنَا فَلْيَفْعَلْ» فَقَالَ النَّاسُ:

(١) رواه البخاري برقم (٤٣٣٧)، ومسلم برقم (١٠٥٩).

قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَدِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ لَمْ يَأْذَنْ، فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعَ إِلَيْنَا عُرْفَاؤُكُمْ أَمْرُكُمْ» فَرَجَعَ النَّاسُ، فَكَلَّمَهُمْ عُرْفَاؤُهُمْ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ: أَنَّهُمْ قَدْ طَيَّبُوا وَأَذِنُوا. (١)

ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة معتمراً. (٢)

فلما فرغ من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة، واستخلف عتاب بن أسيد

على مكة، وخلف معه معاذ بن جبل يُفَقِّهُ النَّاسَ فِي الدِّينِ. (٣)

(١) رواه البخاري برقم (٢٣٠٧)، و(٢٣٠٨).

(٢) رواه البخاري برقم (١٧٧٨)، ومسلم برقم (١٢٥٣).

(٣) ابن إسحاق (ص ٥٨٨) بدون سند، بتصرف يسير جداً.

س ٦١ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا ؟

ج / فِيهَا سَرِيَّةُ شُجَاعِ بْنِ وَهَبٍ إِلَى هَوَازِنَ ① وَبِعَثُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرٍ ② إِلَى قُضَاعَةَ ③

بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جَمْعٍ من هوازن بالسِّي ناحية رُكبة ② من وراء المعدن، وهي من المدينة على خمس ليالٍ، وأمره أن يغير عليهم، وكان يسير الليل ويكمن النهار حتى أصبحهم وهم غارزون، فأصابوا نَعْمًا كثيرًا وشاء، واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة، واقتسموا الغنيمة، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرًا، وعدلوا البعير بعشر من الغنم، وغابت السرية خمس عشرة ليلة. ③

بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى أطلّاح ④ من أرض الشام فوجدوا جمعًا من جمعهم كثيرًا، فدعاهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل، فلما رأوا ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قُتلوا وأفلت منهم رجل جريح في القتلى، فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ، فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهم بالبعث إليهم، فبلغهم أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم. ⑤

[١] في المخطوط: [عمر]، والتصويب من كتب السير.

[٢] أما اليوم فقد يطلق على كل ذلك السهل الذي كان بعضه رُكبة وبعض السِّي اسم: رُكبة. ولم يُعد

السِّي معروفًا. "معجم معالم الحجاز" (٤/ ٨٦٦).

[٣] "الطبقات" (٢/ ١١٨) بإسناد مرسل فيه الواقدي.

[٤] أطلّاح بالحاء المهملة: موضع من وراء ذات القرى إلى المدينة. "معجم البلدان" لياقوت الحموي

(١/ ٢٥٩).

[٥] "الطبقات" (٢/ ١١٩) بإسناد مرسل فيه الواقدي.

وَأَسْتَشْهِدُ وَمَنْ مَعَهُ ① ، وَقِيلَ: عَمَرُو بَنُ الْعَاصِ إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ ② ، ثُمَّ أَمَدَّهُ
النَّبِيُّ ﷺ بِعَصَابَةِ الْمُهَاجِرِينَ ، فِيهِمْ: أَبُو بَكْرٍ ، وَعَمْرٌ ، وَأَمْرٌ عَلَيْهِمْ أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَلَمَّا
التَّحَقُّوا بِهِمْ سُلِّمَتِ الْإِمْرَةُ لِعَمْرٍو وَبَنِ الْعَاصِ

① إلا الذي أفلت منهم جريحًا.

② وهي وراء وادي القرى، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت في جمادى
الآخرة سنة ثمان من مهاجر رسول الله ﷺ.

قالوا: بلغ رسول الله ﷺ أن جمعًا من قضاة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى
أطراف رسول الله ﷺ ① ، فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص، فعقد له لواءً
أبيض، وجعل معه رايةً سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار،
ومعهم ثلاثون فرسًا، وأمره أن يستعين بمن يمر به من بلي وعُدرة وبلقين، فسار
الليل، وكمن النهار، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعًا كثيرًا، فبعث رافع بن
مكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في
مائتين، وعقد له لواءً، وبعث معه سراة المهاجرين والأنصار، وفيهم أبو بكر
وعمر، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعًا ولا يختلف، فلحق بعمرو، فأراد
أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: إنما قدمت عليّ مددًا، وأنا الأمير. فأطاع له
بذلك أبو عبيدة، وكان عمرو يصلي بالناس حتى وطئ بلاد بلي ودوخها حتى أتى

① هو كذا في "الطبقات" (٢/١٢١-١٢٢)، وفي "عيون الأثر" (٢/٢٠٢): إلى أطراف.

إلى أقصى بلادهم وبلاد عُذرة وبلقين، ولقي في آخر ذلك جمعًا، فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد، وتفرقوا، ثم قفل وبعث عوف بن مالك الأشجعي بريدًا إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بقولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم. (١)

(١) «الطبقات» (٢/١٢١-١٢٢) بدون سند، «عيون الأثر» (٢/٢٠٢).

وَفِيهَا تَيَمَّمَ عَنِ الْجَنَابَةِ لِشِدَّةِ الْبُرْدِ، وَصَلَّى بِهِمْ، فَأَقَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ ^(١) ثُمَّ سَرِيَّةَ أَبِي عُبَيْدَةَ إِلَى سَيْفِ ^(١) الْبَحْرِ، وَفِيهَا قِصَّةُ حُوتِ الْعَنْبَرِ ^(٢)، وَكُلُّهَا قَبْلَ الْفَتْحِ.....

^(١) قصة تَيَمُّمِهِ ﷺ، وهو جُنُبٌ رواها أبو داود برقم (٣٣٤)، وصححها الألباني رحمته الله في "صحيح سنن أبي داود" (١٥٤-١٥٦).

^(٢) وكانت في رجب سنة ثمانٍ من مهاجر رسول الله ﷺ. ^(٢)
قال جابر رضي عنه: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَتَلَّقِي عِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، قَالَ ^(٣): قُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمْصُهَا كَمَا يَمْصُ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرِبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعَصِينَا الْخَبَطَ ^(٤)، ثُمَّ نَبْلُهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ، قَالَ: وَأَنْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرَفَعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فِإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرُ، قَالَ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ. ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَدْ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا. قَالَ: فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتَنَا نَعْتَرِفُ مِنْ

(١) سَيْفُ الْبَحْرِ، أَي: سَاحِلُهُ. "النهاية" (٨٣٥ / ١) مادة: (سَيْف).

(٢) "الطبقات" (١٢٢ / ٢).

(٣) أي: الراوي عن جابر.

(٤) الْخَبَطُ: ورق الشجر. وانظر "غريب الحديث" (٣٩٤ / ١) لابن قتيبة، و"النهاية" (٤٦٩ / ١) مادة: خَبَطَ.

وَقَبٍ ^(١) عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنِ، وَنَقَطَتْ مِنْهُ الْفِدْرَ ^(٢) كَالثَّوْرِ، أَوْ كَقَدْرِ ^(٣) الثَّوْرِ، فَلَقَدَ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقَبِ عَيْنِهِ، وَأَخَذَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا، فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَاتِقٍ ^(٤)، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟»، قَالَ: فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ. ^(٥)

(١) الوَقْبُ: هو الثُّقْرَةُ التي تكون فيها العين. "النهاية" (٢/٨٦٩).

(٢) الفِدْرَةُ: القطعة من كل شيء، وجمعها: فِدْرٌ. "النهاية" (٢/٣٤٩).

(٣) قال النووي رحمته الله: (كَقَدْرِ الثَّوْرِ) رويناه بوجهين مشهورين في نسخ بلادنا، أحدهما: بقاف مفتوحة، ودال ساكنة، أي: مثل الثور. والثاني: كَقَدْرِ الثَّوْرِ، جمع فِدْرَةٍ، والأول أصح.

(٤) جمع وشيقة، والشيقة أن يؤخذ اللحم فيغلى قليلاً ولا يُنضج، ويحمل في الأسفار. وقيل: هي القديد. "النهاية" (٢/٨٥١).

(٥) رواه البخاري برقم (٤٣٦٠) و(٤٣٦١)، ومسلم برقم (١٩٣٥)، واللفظ له.

وَفِيهَا سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَدِيْمَةَ^(١) ، فَقَالُوا: صَبَأْنَا. وَلَمْ يُحْسِنُوا:
أَسْلَمْنَا؛ فَوَقَعَ بِهِمْ قِتْلًا وَأَسْرًا.

وبنو جديمة كانوا بأسفل مكة على ليلة، ناحية يللمم.^(٢)

وقيل: إن يللمم جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث^(٣) ، وقيل: هو واد.^(٤)

وكان مع الذين ذهبوا مع خالد عبد الله بن عمر، وقد قصَّ صلى الله عليه هذه
الحادثة، فقال: بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَدِيْمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى
الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا. فَجَعَلَ
خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ، وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِمَّنْ أَسِيرُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ أَمْرِ خَالِدٍ
أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ رَجُلٍ مِمَّنْ أَسِيرُهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي، وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ
أَصْحَابِي أَسِيرَهُ، حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَذَكَرْنَا، فَرَفَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَدَهُ فَقَالَ:
«اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ بِمَا صَنَعَ خَالِدٌ» مَرَّتَيْنِ.^(٥)

[١] في المخطوط: [خزيمة]، والتصويب من كتب السير والمغازي.

(٢) "الطبقات" (١٣٦/٢).

(٣) "معجم البلدان" (٥١٤/٨).

(٤) انظر "معجم معالم الحجاز" (١٠/١٨٦٢).

(٥) رواه البخاري برقم (٤٣٣٩).

فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَوَدَى قَتْلَاهُمْ، وَرَدَّ أَمْوَالَهُمْ ، وَبَعْدَهَا أَرْسَلَهُ لَهُدْمِ الْعَزَى ^(ب) وَكِلَاهُمَا فِي مُدَّةٍ مَا بَيْنَ الْفَتْحِ وَهَوَازِنَ.

قصة إرسال النبي ﷺ علي بن أبي طالب رواها ابن إسحاق ^(١)، بإسناد مرسل حسن، صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث.

فائدة:

قال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٧١ / ٨): قوله (فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا) هذا من ابن عمر راوي الحديث يدل على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة، ويؤيده فهمه أن قريشاً كانوا يقولون لكل من أسلم: صبأ. حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الدم، ومن ثم لما أسلم ثمامة بن أثال وقدام مكة معتمراً قالوا له: صبأت. قال: لا، بل أسلمت. فلما اشتهرت هذه اللفظة بينهم في موضع أسلمت استعملها هؤلاء، وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها؛ لأن قولهم صبأنا، أي: خرجنا من دين إلى دين، ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام. وقال الخطابي: يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام؛ لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولاً قولهم. اهـ

لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَةَ بَعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى نَخْلَةَ وَكَانَتْ بِهَا ^(ب)

(١) كما في "السيرة" لابن هشام (٢ / ٩٠٤).

العُزَّى، فأَتاها خالد بن الوليد وكانت على تلالِ السَّمَرَاتِ، فقطع السَّمَرَاتِ وَهَدَمَ البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «ارجع؛ فإنك لم تصنع شيئاً»، فرجع خالد، فلما نظرت إليه السَّدَنَةُ - وهم حُجَّابُهَا - أَمَعُوا فِي الجبل وهم يقولون: يا عَزَّى خَبْلِيهِ، يا عَزَّى عَوْرِيهِ، وإلا فموتي برغم. فأَتاها خالدُ فإذا امرأة عُريانة ناشرةُ شعرها تحثو التراب على رأسها، فعممها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره، قال: «تلك العزَّى».^(١)

قال شيخ مشايخنا حافظ الحكمي رحمته الله في منظومته عن أحداث السنة الثامنة للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم:

أَسْلَمَ فِيهَا عَمْرُؤُ بِنُ الْعَاصِ مَعَ	خَالِدِ عُثْمَانَ بِنِ طَلْحَةَ وَوَقَعَ
بَعَثُ شُجَاعِ بِنِ وَهَبِ الْأَسَدِيِّ	إِلَى هَوَازِنٍ فَفَا بِالرَّشَدِ
وَبَعَثُ كَعْبِ بِنِ عُمَيْرِ لِبَنِي	قُضَاعَةَ وَاسْتَشْهَدُوا فَاسْتَبِينَ
وَكَانَ فِي أَوْلَى جُمَادَى مِنْهَا	غَزْوَةٌ مُؤْتَةً فَحَقَّقَتْهَا
وَزَيْدُ مَعَ جَعْفَرٍ فِيهَا اسْتُشْهِدَا	وَابْنُ رَوَاحَةَ فَانِعَمَ الشُّهَدَا
وَأَخْبَرَ الرَّسُولُ بِاسْتِشْهَادِهِمْ	مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجِيءَ عَجْبَرٌ بِهِمْ
وَفَتَحَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَى يَدِ	خَالِدِ سَيْفِ اللَّهِ غَيْرِ مُغْمَدِ

(١) رواه أبو يعلى (١٩٦/٢) برقم (٩٠٢) بإسناد حسن، وحسنه شيخنا رحمته الله في «الصحیح المسند مما ليس في الصحیحین» (٤٥٧/١) برقم (٥٣٥)، وانظر «السيرة» لابن هشام (٢/٩١٠)، و«الطبقات» (٢/١٣٥).

وَبَعَثُ عَمْرٍو وَلَدِ الْعَاصِ إِلَى
وَقَدْ أَمَدَهُ الرَّسُولُ آخِرًا
عَلَيْهِمْ وَأَمِينُ هَذِي الْأُمَّةِ
وَفِيهِمُ الصَّدِيقُ وَالْفَارُوقُ ثُمَّ
وَجُنُبًا صَلَّى بِهِمْ عَمْرٌو لِمَا
وَقَدْ أَقْرَهُ الرَّسُولُ حِينَمَا
ثُمَّ سَرِيَّةٌ لِسَيْفِ الْبَحْرِ
وَكَانَ فِيهَا قِصَّةُ الْحُوتِ كَمَا
هَذَا وَلَلَّهَا أَنْ أَرَادَ اللَّهُ
بِفَتْحِ مَكَّةَ كَمَا قَدْ أَنْزَلَهُ
عَدَا بَنُو بَكْرٍ عَلَى خِزَاعَةٍ
وَسَاعَدُوهُمْ مِنْ قُرَيْشِ السُّفْهَاءِ
فَأَخْبَرَ الرَّسُولَ عَنْ ذَا الْأَمْرِ
فِي عَشْرَةِ الْأَلْفِ فِيمَا أَثَرَا
مُخْرَجُهُ لِلَيْتَيْنِ خَلَّتَا
وَتَبَّتَ الْفِطْرُ بِأَثْنَاءِ السَّفَرِ
وَاللَّهُ أَخْفَى عَنْ قُرَيْشِ الْخَبْرِ

ذَاتِ السَّلَاسِلِ هُنَا قَدْ نَقَلَا
بِعُضْبَةِ الْمُهَاجِرِينَ أُمَّرًا
أَبُو عُيَيْدَةَ بِنَصِّ السُّنَّةِ
إِذْ لِحِقُوا عَمْرًا غَدَا أَمِيرُهُمْ
كَانَ مِنَ الْبَرِّ شَدِيدًا مُؤَلِمًا
أَخْبَرَهُ بِعُذْرِهِ فَلَيْفُهَا
عَلَيْهِمْ وَأَبُو عُيَيْدَةَ فِي الْأَمْرِ
جَافِي الصَّحِيحِينَ بِإِسْنَادِ سَمَا
إِنْجَازَ وَعُدِهِ لِمُصْطَفَاهُ
فِي سُورَةِ (الْفَتْحِ) بِأَلَا مُجَادَلَهُ (١)
وَنَكَّثُوا الْمِيثَاقَ تِلْكَ السَّاعَةِ
بَغِيًّا وَعَدُوا لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ نَهَى
ثُمَّ غَزَاهُمْ وَجَزَاءَ الْغَدْرِ
وَقِيلَ: بَلْ قَدْ سَارَ فِي اثْنَيْ عَشْرًا
مِنْ رَمَضَانَ هَكَذَا قَدْ تَبَّتَا
مِنْ فِعْلِهِ ثُمَّ بِهِ الْجَيْشَ أَمْرُ
حَتَّى آتَاهُمُ النَّبِيُّ عَلَى قَدَرِ

(١) كما في الآية رقم [٢٧] من سورة الفتح.

وَدَخَلَ الرَّسُولُ فِيهَا سَاجِدًا
وَرَكَزَ الرَّايَةَ بِالْحَجُونِ
فَتَحَّابِهِ كُتِرَتِ الْأَضْنَامُ
فَتَحَّابِهِ اسْتَبَشَرَ أَجْمَعُ الْأَنَامُ
وَخَطَبَ النَّبِيُّ ثُمَّ أَطْلَقَا
وَدَخَلُوا فِي السَّلْمِ مُنْقَادِينَ
وَكَوْلُ أَمْرِ جَاهِلِيٍّ وَضَعَهُ
وَأَخْبَرَ الْأُمَّةَ أَنَّ الْحَرَمَ مَا
وَلِلنَّبِيِّ مَا حَلَّ إِلَّا سَاعَهُ
وَأَرْسَلَ الرَّسُولُ خَالِدًا إِلَى
بَلِّ دَاعِيًا فَلَمْ يَعُوا الْإِسْلَامَا
ضَرْبًا وَأَسْرًا فَانْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى
هُمَّ عَلَيْهِ فَوَدَى مَنْ قُتِلَا
وَقَدْ تَبَرَّأَ الرَّسُولُ مُعَلِنَا
وَبَعْدَ ذَا أَرْسَلَهُ لِيَهْدِمَا
وَعُقِرَتْ شَيْطَانُهُ ثُمَّ [١] غَنِمَ
وَمَكَثَ الرَّسُولُ بَاقِي الشَّهْرِ

شُكْرًا لِذِي الْعَرْشِ عَلَى فَتْحِ بَدَا
وَكَانَ فَتْحًا فُرَّةَ الْعُيُونِ
وَالشُّرْكَ ذَلَّ وَعَلَا الْإِسْلَامُ
وَطَهَّرَ اللَّهُ بِهِ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
فُرَيْشًا إِذْ ذَاكَ وَسُمُوا الطَّلَقَا
لِكُلِّ حُكْمِهِ وَمُذْعِنِينَا
وَرَدَّ حُكْمَهُ إِلَى مَا شَرَعَهُ
حُرْمَتُهُ عَادَتْ كَمَا تَقَدَّمَا
وَهُوَ حَرَامٌ لِقِيَامِ السَّاعَةِ
جَذِيمَةٍ لَيْسَ لَهُمْ مُقَاتِلَا
قَالُوا صَبَابًا فَاسْتَبَاحَ الْهَامَا
مُحَمَّدِ الرَّسُولِ ثُمَّ أَرْسَلَا
مِنْهُمْ وَرَدَّ مَا لَهُمْ وَأَكْمَلَا
مِنْ صُنْعِ خَالِدٍ بِهِمْ وَمَا جَنَى
لِصَنَمِ الْعُزَيِّ فَلَمَّا هُدِمَا
مَا كَانَ مِنْ مَالِ بَيْتِهِ عُلِمَ
بِمَكَّةَ مَعَ قَضْرِهِ وَالْفِطْرِ

كَذَاكَ لَا عُذْرَ مِنَ الصَّيَامِ
كَمَا اسْتَبَانَ فِي الْحَدِيثِ الْمُسْنَدِ
بَعْدَ بُلُوغِهَا الْإِمَامَ فَاسْتَبَانَ
ذَلِكَ حَتَّى نَا يَوْمَهُ غَيْرُ خَفِي
فَانْجَفَلُوا عَنِ الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى
مُتَّسِبًا أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ
مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
يَا آخِذِي الْبَيْعَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ
وَأَثَرُوا عَلَيَّ الْحَيَاةِ الْمَوْتَا
وَأَشْتَدَّ فِي مَعْرَكِهِ الْمُزْدَحِمِ
وُجُوهُهُمْ أَيُّ أَوْجِهَةِ الْأَعْدَاءِ
وَتَرَكَوْا الْأَمْوَالَ وَالْأَهْلِيْنَ
وَالْخِيُولَ وَالرَّجَالَ أَسْهُمًا
وَلَمْ يَكُنْ فَتَحْ لِأَمْرِ قُدْرًا
جَمِيعُهُمْ سَعِيًّا إِلَيَّ الْإِسْلَامِ
سَبِيَّ هَوَا زَيْنَ كَمَا قَدْ حُقِّقَا
قَوْمًا تَأَلَّفَا لَهُمْ بِمَا يَرَى
بِحَيْثُ كَانُوا أَعْنِيَاءَ عَنْهَا

وَأَمَرَ الْمُقِيمِ بِالْإِتِمَامِ
وَلِلْفِرَاشِ قَدْ قَضَى بِالْوَلَدِ
وَحَرَمْتُ شَفَاعَةَ الْحُدُودِ مِنْ
وَبَعْدَهَا غَزَا هَوَا زَيْنًا وَفِي
وَكَانَ فِيهَا بَعْضُ مَنْ تُوَلَّفَا
وَقَوْلُهُ: أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ
وَمَعَهُ أَكْبَابُ الْأَخْيَارِ
نَادَاهُمُ الْعَبَّاسُ حِينَ أَمَرَهُ
فَانْحَدَرُوا كُلُّ يَوْمٍ الصَّوْتَا
فَعِنْدَ ذَلِكَ الْوَطِيسُ قَدْ حَمِي
ثُمَّ رَمَى الرَّسُولُ بِالْحَضْبَاءِ
فَانْهَزَمُوا إِذْ ذَاكَ مُدْبِرِينَ
وَأَضْبَحَتْ لِلْمُسْلِمِينَ مَغْنَمًا
وَبَعْدَهَا الطَّائِفُ شَهْرًا حُوصِرَا
وَهُوَ قَدْ وُجِدَ بِثَانِي الْعَامِ
وَفِي رُجُوعِهِ الرَّسُولُ أَطْلَقَا
وَقَسَمَ الْأَمْوَالَ ثُمَّ أَثَرَا
لَمْ يَنْتَلِ الْأَنْصَارُ شَيْئًا مِنْهَا

فَالنَّاسُ يَرْجِعُونَ بِالْحُطَامِ وَهُمْ بِحَوْزِ سَيِّدِ الْأَنَامِ
وَاعْتَرَضَ الْمُتَأَفِّقُونَ وَالْجُفَاءَ عَلَيْهِ فِي قِسْمَتِهِ بِمَا رَأَى
لَكِنَ عَلَيَّ أَذَاهُهُمْ وَقَدْ صَبِرَا وَمَا إِلَيْهِ نَسَبُوا مِنْهُ بَرَا
وَبَعْدَهَا أَهْلٌ بِالْعُمْرَةِ مِنْ جِعْرَانَةٍ وَسُمِّيَتْ بِهَا فِدْنُ
فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ غَيْرِ مَرَا وَلَمْ يُحَلِّقِ النَّبِيُّ بَلْ قَصَّرَا
ثُمَّ انْتَهَى مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ فِيمَا بَقِيَ مِنْ بَعْضِ شَهْرِ الْحِجَّةِ

س٦٢/ مَا الَّذِي وَقَعَ مِنَ الْغَزَوَاتِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ؟

ج/ وَقَعَ فِي رَجَبٍ مِنْهَا غَزْوَةٌ تَبُوكَ، وَهِيَ غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ.

لذا بَوَّبَ الإمام البخاري في "صحيحه" (٨/ ١٣٨) مع "الفتح"، فقال: باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة.

قال الحافظ رحمته الله: مأخوذ من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾

[التوبة: ١١٧]، وهي تبوك. اهـ

لما أنزل الله عز وجل على رسوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم
أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب إلى الجهاد، وأعلمهم بغزو الروم، وذلك
في رجب من سنة تسع. (١)

وَحَمَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ عَلَى ثَلَاثِ مِائَةٍ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا ،
وَأَقْتَابَهَا ،^(١) وَاسْتَخْلَفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَدِينَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ^(٢)

^(١) الأحلاس: جمع حِلْس، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب.

^(٢) جمع قَتَب، وهو: الرَّحْل. ^(٢)، والحديث بهذا التفصيل رواه أحمد (٧٥ / ٤)،
وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢١٢ / ٤)، وهو حديث ضعيف؛ في سنده:
الوليد بن أبي هشام وشيخه فرقد بن أبي طلحة، وهما مجهولا حال.

لكن لا يشك مسلمٌ في أن عثمان رضي الله عنه هو الذي قام بتجهيز هذا الجيش كما
جاء ذلك في «صحيح البخاري» برقم (٢٧٧٨): أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه حَيْثُ حُوصِرَ
أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: أَنْشِدْكُمْ اللَّهَ، وَلَا أَنْشِدْ إِلَّا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَلَسْتُمْ
تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ»؟ فَحَفَرْتُهَا، أَلَسْتُمْ
تَعْلَمُونَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ»؟ فَجَهَزْتُهُ، قَالَ ^(٣): فَصَدَّقُوهُ.

^(٤) ثبت أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استخلف علياً رضي الله عنه فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصَّبِيانِ وَالنِّسَاءِ؟
قَالَ: «أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ، مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ
بَعْدِي» ^(٤).

(١) «النهاية» (١ / ٤١٤).

(٢) انظر «الفائق في غريب الحديث» (٣ / ٦٦).

(٣) القائل: هو الراوي.

(٤) رواه البخاري برقم (٤٤١٦)، ومسلم برقم (٢٤٠٤).

وَكَانَ ﷺ قَلَمًا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَىٰ بِغَيْرِهَا، حَتَّىٰ كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّىٰ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ. (١)

وفي طريقه ﷺ مرَّ بِالْحِجْرِ وَقَالَ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ؛ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ». (٢)

وكان الصحابة رضوان الله عليهم استنقوا من بئرِ ثمودَ، واعتجنوا به، فأمرهم رسولُ الله ﷺ أن يهريقوا ما استنقوا من بئرِها، وأن يعلفوا الإبلَ العجيينَ، وأمرهم أن يستنقوا من البئرِ التي كانت تردُّها النَّافَةُ. (٣)

وأصاب الصحابة ﷺ في هذه الغزوة مجاعة، يقول شاهد عيان: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَذْنَتْ لَنَا فَنَحْرَنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَهْنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْعَلُوا»، فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظُّهْرُ (٤)، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَاتِ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَدَعَا

(١) رواه البخاري برقم (٢٩٤٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩)، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٤١٩)، ومسلم برقم (٢٩٨٠) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري برقم (٣٣٧٩)، ومسلم برقم (٢٩٨١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) الظهر: الإبل التي يحمله عليها، وتُرْكَبُ، يقال: عند فلان ظهر. أي: إبل. "النهاية" (١٤٧/٢).

بِنَطْعٍ^(١)، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَّةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخِرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، وَيَجِيءُ الْآخِرُ بِكَسْرَةٍ^(٢) حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ»، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكَوا فِي الْعَسْكَرِ وَعَاءً إِلَّا مَلَأُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ»^(٣).

(١) النَّطْعُ: هي السفرة. "مشارك الأنوار" (١١ / ٢).

(٢) الكِسْرَةُ: هي القطعة من الشيء. "مختار الصحاح" مادة: كسر.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٧)، وانظر "صحيح البخاري برقم (٢٩٨٢)، ومسلم برقم (٧٠٦).

وَصَالِحٍ فِيهَا أَهْلُ أَيْلَةٍ^(١)، وَأَذْرَحٍ^[١]، وَأَكْيَدَرٍ^(٢) دَوْمَةٌ.....

قال أبو حميد الساعدي رضي الله عنه: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَبُوكَ، وَأَهْدَى مَلِكُ

أَيْلَةٍ^(٢) لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَغْلَةً بَيْضَاءَ، وَكَسَاهُ بُرْدًا، وَكَتَبَ لَهُ بِحَرِّهِمْ^(٣).

قال ابن إسحاق في "السيرة" (ص ٦٠٤): ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك أتاه يُحَنَّةُ بن ربيعة صاحب أيلة، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح^(٤) فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابًا فهو عندهم... إلخ. اهـ^(٥)

قال قيس بن النعمان رضي الله عنه: خَرَجْتُ خَيْلٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَسَمِعَ بِهَا أُكْيَدَرَ دَوْمَةَ الْجَنْدَلِ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلِّغْنِي أَنَّ خَيْلِكَ انْطَلَقَتْ، وَإِنِّي خِفْتُ عَلَى أَرْضِي وَمَالِي، فَارْتَبِ لِي كِتَابًا لَا يُتَعَرَّضُ لَشَيْءٍ هُوَ لِي؛ فَإِنِّي مُقَرَّبٌ بِالَّذِي عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ. فَكَتَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.^(٦)

[١] في المخطوط: [أذرحا]، وهو خطأ؛ فإنه معطوف على ما قبله، وهو: أيلة، وأيلة مضاف إلى أهل؛

فيكون أيلة مجرور بالإضافة، أو بالمضاف، على خلاف بين النحاة.

(٢) أيلة: بلد فيما بين مصر والشام. "النهاية" (٩٣/١) مادة: أَيْلٌ.

(٣) رواه البخاري برقم (٣١٦١)، ومسلم برقم (١٣٩٢).

(٤) جرباء وأذرح هما قرينتان بالشام بينهما ثلاث ليالٍ، أما جربة بالهاء فقرية بالمغرب. "النهاية"

(١/٢٤٩) مادة: جَرَبٌ.

(٥) وانظر "فتح الباري" (٦/٣٢٨).

(٦) رواه أبو يعلى كما في "المطالب العلية" (١٧/٥٠٤)، وابن قانع في "معجم الصحابة" (٢/٣٥١)

بإسناد صحيح رجاله ثقات كلهم، وقواه الحافظ في "فتح الباري" (٥/٢٧٤).

وَقَالَ مِنْ تَبُوكَ بَعْدَ عِشْرِينَ يَوْمًا أَقَامَهَا ، وَفِي رُجُوعِهِ مِنْهَا كَانَتْ
فَضِيحَةُ الْمُنَافِقِينَ^(ب)

جاء ذلك من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك
عشرين يوماً يقصر الصلاة.^(١)

لأنهم أهل خسة، وإرجاف، ومكر، وخديعة؛ ففضحهم الله، طعنوا في حملة
كتاب الله العظيم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الأجلاء النبلاء رضي عنهم.

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأيت
مثل قرأنا هؤلاء، لا أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء. فقال
رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم، ونزل القرآن، قال عبد الله: فأنا رأيت متعلقاً بحَقَبِ^(٢) ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب. ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿أَيُّ اللَّهِ وَعَآئِنُهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].^(٣)

بل إنَّ أهل النفاق والشقاق أرادوا أن يطرحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضاً.

(١) رواه أحمد (٢٩٥/٣) وغيره، وصححه الألباني في "الإرواء" (٢٢/٣) برقم (٥٧٤)، ولكنه أُعِلَّ
بالإرسال كما في "التلخيص الحبير" (٥٣٢/٢)، وانظر "العلل" للدارقطني (٢٢٥-٢٢٦).
(٢) الحَقَبُ: هو الحبل الذي يشد على حَقْوِ البعير. "النهاية" (٤٠٢/١) مادة: حَقَبَ.
(٣) رواه ابن أبي حاتم في "التفسير" (١٨٣٠/٦) برقم (١٠٤٠١) بسند حسن، وانظر "الصحيح
المسند من أسباب النزول" (ص ١٢٣) لشيخنا الوادعي رحمته الله.

يقول أبو الطفيل رضي الله عنه: لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ الْعَقَبَةَ فَلَا يَأْخُذْهَا أَحَدٌ، فَيَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبْغُودُهُ حُدَيْفَةُ وَيَسُوقُ بِهِ عَمَّارٌ إِذْ أَقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمُونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ غَشَوْا عَمَّارًا وَهُوَ يَسُوقُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِلِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحُدَيْفَةَ: «قَدْ قَدْ» ^(١) حَتَّى هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ وَرَجَعَ عَمَّارٌ فَقَالَ: «يَا عَمَّارُ، هَلْ عَرَفْتَ الْقَوْمَ؟»، فَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُ عَامَّةَ الرَّوَاحِلِ وَالْقَوْمَ مُتَلَثِّمُونَ. قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَرَادُوا أَنْ يَنْفِرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَطْرَحُوهُ»، قَالَ: فَسَأَلَ عَمَّارٌ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَقَالَ نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ، كَمْ تَعْلَمُ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ؟ فَقَالَ: أَرْبَعَةٌ عَشَرَ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ فِيهِمْ، فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ. فَعَدَّدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ ثَلَاثَةً قَالُوا: وَاللَّهِ، مَا سَمِعْنَا مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا عَلِمْنَا مَا أَرَادَ الْقَوْمُ. فَقَالَ عَمَّارٌ: أَشْهَدُ أَنَّ الْإِثْنِي عَشَرَ الْبَاقِينَ حَرَبٌ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ. ^(٢)

(١) قَدْ قَدْ: بمعنى حسب، وتكرارها للتأكيد. «النهاية» (٢/ ٤٢٠).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٤٥٣) بإسناد حسن عالٍ، وانظر الحديث رقم (٢٧٧٩) من «صحيح مسلم».

الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿يَجْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أَوْبَاءُ لِمَا نَالُوا﴾ [التوبة: ٧٤] الآيات ، وَفِيهَا هَدْمُ مَسْجِدِ الضَّرَارِ

انظر تفسيرها عند ابن كثير.

أقبل النبي ﷺ حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إننا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشتوية، وإننا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه. فقال: «إني على جناح سفر وحال شغل -أو كما قال- ولو قد قدمنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا فيه»، فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف، ومعن ابن عدي أو أخاه: عاصم بن عدي أخا بني العجلان، فقال: «انطلقا إلي هذا المسجد الظالم أهله فأهدماه وحرّاه»، فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك: لمعن: أنظرنني حتى أخرج إليك بناير من أهلي. فدخل إلى أهله فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً، ثم خرجا يشدان حتى دخلاه وفيه أهله، فحرّاه وهدماه، وتفرقوا عنه، ونزل فيهم من القرآن ما نزل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧]، إلى آخر القصة. (١)

(١) "السيرة" لابن إسحاق (٦٠٨) بدون سند.

فائدة:

ذكر ابن القيم رحمته الله في "زاد المعاد" (٣/ ٥٧١) فوائد تضمنتها غزوة تبوك، فقال: ومنها: تحريق أمكنة المعصية التي يعصى الله ورسوله فيها وهدمها، كما حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد الضرار، وأمر بهدمه، وهو مسجد يصلّى فيه، ويذكر اسم الله فيه؛ لَمَّا كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين، ومأوى للمنافقين، وكُلُّ مكان هذا شأنه، فواجب على الإمام تعطيله، إما بهدم وتحريق، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وُضِعَ له، وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار، فمشاهد الشرك التي تدعو سدنتها إلى اتخاذ مَنْ فيها أنداداً من دون الله أحق بالهدم وأوجب.

وكذلك محال المعاصي والفسوق، كالحانات، وبيوت الخمارين، وأرباب المنكرات.

وقد حرق عمر بن الخطاب قرية بكمالها يُباع فيها الخمر، وحرقت حانوت رُوَيْشِد الثقفى وسماه فويسقاً، وحرقت قصر سعد عليه لما احتجب فيه عن الرعية، وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحريق بيوت تاركي حضور الجماعة والجمعة، وإنما منعه مَنْ فيها من النساء والذرية الذين لا تجب عليهم كما أخبر هو عن ذلك. اهـ

وَتَابَ اللَّهُ عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا^(١)، وَهُمْ: كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَمَرَارَةُ بْنُ الرَّيِّعِ، وَهَلَالُ بْنُ أُمِيَّةَ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسْتِطَاعَةِ [إِلَّا مِنْ عُدْرٍ].^[١]

أي: أُرْجِي أمرهم؛ لذا قال كعب رضي الله عنه - في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ [التوبة: ١١٨]-: وليس الذي ذكر الله مما خَلَفْنَا تَخَلَّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيْفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرًا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ.^(٢)

وقصة الذين خُلِفُوا جاء فيها حديث طويل رواه لنا أحدهم وهو كعب بن مالك رضي الله عنه، وَلِمَا فِيهِ مِنْ فَوَائِدَ أُسُوْقِهِ بِطَوْلِهِ:

قال كعب رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عَيْرَ فُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ^(٣)، حِينَ تَوَاتَقْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَا أَحْبَبُّ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ، أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبْرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الْغَزَاةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاِحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى

[١] ما بين المعقوفتين كلمة غير واضحة في المخطوط، واجتهدت فيما أثبت بعد التأمل والنظر في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عندما تخلف في هذه الغزوة؛ فإنه قال رضي الله عنه: يحزنني أن لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء...

(٢) رواه البخاري برقم (٤٤١٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩)، وسيأتي قريباً بطوله.

(٣) انظر ذلك في التعليق على جواب السؤال رقم (٣١).

جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرِّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفْرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزَوْهُمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ، وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيَانَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيُخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتِمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَعَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ عَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أُرْتَحِلَ فَأُدْرِكُهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدِّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنِي أَنِّي لَا أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النَّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَدَرَ اللَّهُ مِنْ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ.

فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِيمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا

قُلْتُ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَ نِي هَمِّي، وَطَفِقتُ أَتَذَكُرُ الكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرَجَ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرَجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالمَسْجِدِ، فَيَرُكِعُ فِيهِ رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَدِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضِعَّةٍ وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَ»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ»، فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنَّ سَاخِرُجَ مِنْ سَخَطِهِ بَعْدِي، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لِيَنَّ حَدِيثُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِطَكَ عَلَيَّ، وَلِيَنَّ حَدِيثُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لِأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لَا وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُدْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلَا أَيَسَّرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتَ عَنكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَمَنْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ»، فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذُوبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَدَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا

اعْتَدَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبِكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ، فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنَّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَّ هَذَا مَعِيَ أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلَانِ، قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهَيْلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسُوءَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ.

فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَكَ شَفَتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ عَلَيَّ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أَصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَّفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعَلَّمَنِي أَحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَشَدَّتْهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَشَدَّتْهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاصَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ، إِذَا نَبْطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ^(١)، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَيَّ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارِ هَوَانٍ، وَلَا مَضِيعَةٍ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا.

حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أَطَلَّقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزَلْهَا وَلَا تَقْرَبْهَا.

وَأَرْسَلَ إِلَيَّ صَاحِبِي مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكَ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ هَالِكِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ هَالِكَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ صَاحِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبُكَ». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَيَّ شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، مَا كَانَ إِلَيَّ يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أُذِنَ لِامْرَأَةِ هَالِكِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا اسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتَهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟

(١) من أنباط أهل الشام، نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه وهؤلاء كانوا في ذلك الوقت أهل الفلاحة، وهذا النبطي الشامي كان نصرانياً. "فتح الباري" (٨/ ١٥٢).

فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلْتُ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلَامِنَا، فَلَمَّا صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَيَّ جَبَلٍ سَلَعٍ ^(١) بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ أَبْشُرْ، قَالَ: فَخَرَزْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَأَذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلِ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَيَّ الْجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَأَنْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لَتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ.

قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يَهْرُولٌ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ الشَّرُورِ: «أَبْشُرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمَّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟

(١) هو جبل متصل بالمدينة، وشهرته فيها كشهرة أحد، يحيط به عمرانها اليوم. ينظر "معجم معالم الحجاز" ٤/ (٨٢٨).

قَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَّارَ وَجْهَهُ، حَتَّى كَانَتْهُ قِطْعَةً فَمَرَّ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيْتُ.

فَوَاللَّهِ، مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيْتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ رَسُولَهُ ﷺ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧] إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذْبَتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَّبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَّبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرًّا مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ [التوبة: ٩٥] إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦].

قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخْلَفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى

اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا﴾ [التوبة: ١١٨]، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ
اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيْفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ
وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ. (١)

(١) رواه البخاري برقم (٤٤١٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩)، واللفظ للبخاري، وانظر فوائده في شرح
الحديث نفسه للحافظين ابن حجر والنووي رحمهما الله، وكتاب "إتحاف السالك بفوائد حديث
المخلفين من رواية كعب بن مالك" للشيخ سليم الهلالي.

س٦٣/ مَنَ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الْحَجِّ هَذِهِ السَّنَةِ؟

ج/ أَمَرَ عَلَى الْحَجِّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ، وَأَرَدَفَهُ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مُؤَذِّنًا
بِصَدْرٍ (براءة) فِي الْمَوْسِمِ، وَأَلَّا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكًا، وَلَا يَطُوفَ
بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا ①، وَسُمِّيَتْ هَذِهِ السَّنَةُ: سَنَةُ الْوُفُودِ؛ لِكَثْرَتِهِمْ فِيهَا.

① روى البخاري، ومسلم من طريق حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة
رضي الله عنه، قال: بعثني أبو بكرٍ في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون
بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: ثُمَّ أَرَدَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ ① بِبِرَاءَةٍ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيُّ يَوْمَ النَّحْرِ فِي أَهْلِ مِنَى بِبِرَاءَةٍ، «وَأَنْ لَا يَحْجَّ
بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكًا، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا» ②.

① المراد بالتأذين هنا: الإعلام، وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلَّهِ وَسُؤْلُهُ﴾ [التوبة: ٣]، أي: إعلام. قاله الحافظ رحمه الله في "فتح الباري" (٨/ ٤٠٥).

قال في "النهاية" (١/ ٤٦): يقال: أذن يؤذن إيداناً. وأذن يؤذن تأذينا، والمشدد مخصوص في الاستعمال بإعلام وقت الصلاة. اهـ

② البخاري برقم (٤٦٥٥)، ومسلم برقم (١٣٤٧)، وهذا لفظ البخاري.

س٦٤/ اذْكُرْ جُمْلَةَ الْوُفُودِ ① فِيهَا مَعَ بَيَانِ الْمُتَقَدِّمِ عَنْهَا وَالْمُتَأَخِّرِ

ج/ وَفُدُّ تَمِيمٍ، وَفِيهَا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾
[الحجرات: ٤]،^(١) وَفُدُّ عَبْدِ الْقَيْسِ^(٢) وَهُمْ قَبْلَ الْفَتْحِ. وَفُدُّ بَنِي حَنِيفَةَ^(٣)،
وَفِيهِمْ مُسَيِّمَةُ الْكَذَّابِ. وَفُدُّ نَجْرَانَ^(٤)، وَفِيهِمْ نَزَلَتْ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ آيَةً
مِنْ صَدْرِ آلِ عِمْرَانَ. وَفُدُّ بَنِي عَامِرٍ.^(٥) وَفُدُّ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ② أَحِي
بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ. وَفُدُّ طَيِّئٍ^(٦) مَعَ زَيْدِ الْخَيْلِ.....

① تواترت الوفود هذه السنة وما بعدها على رسول الله ﷺ مُدْعِنَةً بِالْإِسْلَامِ
دَاخِلِينَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ
النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ
تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣].^(٧)

② قصة وفد ضممام بن ثعلبة رواها ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام

(١) انظر "صحيح البخاري" برقم (٤٣٦٧).

(٢) "صحيح البخاري" برقم (٤٣٦٨)، و"صحيح مسلم" برقم (١٧)، و(١٨).

(٣) "صحيح البخاري" برقم (٤٣٧٢)، و(٤٣٧٣).

(٤) "صحيح البخاري" برقم (٤٣٨٠)، و"صحيح مسلم" برقم (٢٤٢٠).

(٥) "صحيح البخاري" برقم (٤٠٩٢).

(٦) "السيرة" لابن هشام (٢/١٠٢٣) بدون سند.

(٧) "النهاية" (ص ١٩٦).

(١٠٢١/٢)، وأحمد (٢٦٥/١)، وفي السند عندهما: محمد بن الوليد بن نويفع،
مجهول حال، لكنه توبع عند أبي داود برقم (٤٨٧)، تابعه سلمة بن كهيل؛ فيكون
الإسناد حسناً، وابن إسحاق صرح بالتحديث.

وَفَدُ عَدِيَّ بْنِ حَاتِمٍ. (١) وَفَدُ دَوْسٍ بِخَيْبَرَ، وَكَانَ سَيِّدَهُمُ الطُّفَيْلُ وَفَدَا قَبْلَ
وَأَسْلَمَ. وَفَدَا الْأَشْعَرِيِّينَ (٣) فِي أَهْلِ الْهَجْرَتَيْنِ. وَفَدَا فَرَوَةَ بْنَ مُسَيْكٍ (٤) الْمُرَادِيَّ
عَنْ قَوْمِهِ. وَفَدَا الْأَزْدِ. (٥) وَفَدَا الْأَشْعَثِ بْنَ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ. (٦) رُسُلُ مُلُوكِ حَمِيرَ
بِإِسْلَامِ قَوْمِهِمْ مَعَ كِتَابِ ذِي يَزْنٍ (٧)، وَكَتَبَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابَ عَمْرِو بْنِ حَزْمِ
الْمُسْتَفِيضِ. (٨) وَفَدَا جَرِيرَ الْبَجَلِيِّ. (٩) وَفَدَا وَائِلَ بْنَ حُجْرٍ. (١٠) وَفَدَا أَبِي رَزِينِ
الْعُقَيْلِيِّ. (١١) وَفَدَا صَدَاءً. [١٢]

(١) رواه ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام (٢/١٠٢٤-١٠٢٦) بدون سند، وانظر "السيرة"
لابن كثير (٤/١٢٦-١٣٠).

(٢) رواه ابن إسحاق كما في "السيرة" لابن هشام (٢/١٠٢٥-١٠٢٩) بدون سند، وانظر "صحيح
البخاري" برقم (٤٣٩٢)، و"صحيح مسلم" برقم (٢٥٢٤).

(٣) "صحيح البخاري" برقم (٣١٣٦)، و"صحيح مسلم" برقم (٢٥٠٢).

(٤) رواه ابن إسحاق في "السيرة" (ص ٦٥٣-٦٥٤) بدون سند.

(٥) "الطبقات" (١/٢٨٣) من طريق: الواقدي، والطبري في "التاريخ" (٣/٨-٩) بإسناد مرسل، وفيه:
محمد بن إسحاق لم يصرح بالتحديث.

(٦) رواه ابن إسحاق في "السيرة" (ص ٦٥٥-٦٥٦) عن الزهري مرسلًا، وهو كذلك عند ابن سعد في
"الطبقات" (١/٢٨٣-٢٨٤)، لكنه من طريق الواقدي.

(٧) "السيرة" لابن إسحاق (ص ٦٥٨-٦٥٩) بدون سند، و"الطبقات" (١/٣٠٦) من طريق الواقدي.

(٨) انظر "التلخيص الحبير" (٤/١٧).

(٩) انظر "صحيح البخاري" برقم (٢٧١٤)، و"صحيح مسلم" برقم (٥٦).

(١٠) انظر "الطبقات" (٧/٣٠٠) بدون سند، و"الإصابة" (٣/٦٢٨-٦٢٩).

(١١) انظر وفد عقيل بن كعب من "الطبقات" (١/٢٦١) بإسناد ضعيف.

[١٢] في المخطوط: [صدى]، والتصويب من كتب المغازي والسير، ووفد صداء في "الطبقات" (١/٢٨٢)
بإسنادين الأول منهما فيه الواقدي وإبهام، والثاني فيه الواقدي وعبد الرحمن بن زياد الإفريقي.

تُرُ الْجَوَاهِرِ الْمُضِيَّةِ عَلَى أَمَالِي فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ

وَفُدُّ الْحَارِثِ الْبُكْرِيِّ. (١) وَفُدُّ ابْنِ أَبِي عَقِيلٍ. (٢) وَفُدُّ أَشْجَعٍ. (٣) وَفُدُّ فَرْوَةَ
الْجُدَامِيِّ (٤) الَّذِي قَتَلْتَهُ الرُّومُ. وَفُدُّ تَمِيمِ بْنِ أَوْسِ الدَّارِيِّ. (٥) وَفُدُّ فَزَارَةَ. (٦) وَفُدُّ
أَسَدٍ. (٧) وَفُدُّ بَنِي عَبْسٍ (٨) ، وَكَانَ قَبْلَ الْفَتْحِ ، بَلْ قَبْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ. وَفُدُّ بَنِي مُرَّةٍ. (٩)
وَفُدُّ بَنِي ثَعْلَبَةَ (١٠) بِالْجِعْرَانَةِ. وَفُدُّ بَنِي الْحَارِثِ (١١) سَنَةَ عَشْرِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ.
وَفُدُّ بَنِي كِلَابٍ. (١٢) وَفُدُّ بَنِي رُوَاسٍ (١٣) مِنْهُمْ أَيْضًا. وَفُدُّ بَنِي الْبُكَائِيِّ. (١٤) وَفُدُّ بَنِي
عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ. (١٥) وَفُدُّ بَنِي فُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ. (١٦)

(١) رواه أحمد (٤٨٢/٣) بإسناد حسن.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في "السنة" برقم (٨٢٤)، وصححه الألباني رحمته الله.

(٣) "الطبقات" (٢٦٤/١) بدون سند.

(٤) "السيرة" لابن إسحاق (ص ٦٦٠) بدون سند.

(٥) انظر "صحيح مسلم" برقم (٢٩٤٢)، و"السيرة" لابن كثير (٤/١٤٥).

(٦) "الطبقات" (٢٥٧/١).

(٧) "الطبقات" (٢٥٣-٢٥٤/١) من طريق الواقدي، وانظر "تفسير ابن كثير" (١٣/١٧٦) فقد ذكر

أثرًا بإسناد صحيح إلى ابن عباس يتعلق بوفد بني أسد، وعزاه للبخاري.

(٨) "الطبقات" (٢٥٦/١)، من طريق: هشام بن محمد الكلبي، ومن طريق الواقدي.

(٩) "الطبقات" (٢٥٧-٢٥٨/١) من طريق الواقدي.

(١٠) "الطبقات" (٢٥٨/١) من طريق الواقدي.

(١١) "السيرة" لابن إسحاق (ص ٦٦١) بدون سند، و"الطبقات" (٢٥٨/١).

(١٢) "الطبقات" (٢٥٩/١) من طريق الواقدي.

(١٣) "الطبقات" (٢٥٩-٢٦٠/١) بإسناد ضعيف.

(١٤) "الطبقات" (٢٦٢-٢٦٣/١) من طريق الواقدي.

(١٥) "الطبقات" (٢٦٠-٢٦١/١) بإسناد ضعيف.

(١٦) "الطبقات" (٢٦٢/١) وفيه انقطاع.

وَفُدُّ كِنَانَةَ. (١) وَفُدُّ بَاهِلَةَ. (٢) وَفُدُّ بَنِي سُلَيْمٍ (٣) قَبْلَ الْفَتْحِ، وَشَهْدُوهُ. وَفُدُّ بَنِي هِلَالِ
ابْنِ عَامِرٍ. (٤) وَفُدُّ بَنِي بَكْرِ (٥)، وَفُدُّ تَغْلِبِ. (٦) وَفُدُّ تُجَيْبِ (٧) مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ (٨).
وَفُدُّ خَوْلَانَ (٩) فِي الْعَاشِرَةِ. وَفُدُّ جُعْفِي. (١٠) وَفُدُّ الْأَزْدِ. (١١) وَفُدُّ بَنِي سَعْدِ
هُذَيْمٍ. (١٢) وَفُدُّ بَهْرَاءِ. (١٣) وَفُدُّ عَذْرَةَ. (١٤) وَفُدُّ بِلْيِ (١٥)، وَفِيهِمُ السَّائِلُ عَنْ حُكْمِ
اللُّقْطَةِ. وَفُدُّ عَسَّانَ (١٦) فِي الْعَاشِرَةِ. وَفُدُّ غَامِدِ (١٧) فِي الْعَاشِرَةِ أَيْضًا. وَفُدُّ
النَّخَعِ (١٨)، وَهُوَ آخِرُ الْوُفُودِ فِي شَهْرِ مُحَرَّمِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ.

(١) "الطبقات" (٢٦٣/١-٢٦٤) بسند ضعيف.

(٢) "الطبقات" (٢٦٥/١) بسند ضعيف.

(٣) "الطبقات" (٢٦٥/١) بسند ضعيف.

(٤) "الطبقات" (٢٦٧/١) بسند ضعيف.

(٥) "الطبقات" (٢٧٢/١) بدون سند.

(٦) "الطبقات" (٢٧٣/١) من طريق الواقدي.

(٧) "الطبقات" (٢٧٩/١) من طريق الواقدي، و"عيون الأثر" (٢/٢٠٨).

(٨) انظر "عيون الأثر" (٢/٢٠٨).

(٩) "الطبقات" (٢٨٠/١) بإسناد ضعيف جداً.

(١٠) "الطبقات" (٢٨٠/١) بإسناد ضعيف جداً.

(١١) "الطبقات" (٢٩١/١)، من طريق الواقدي.

(١٢) "الطبقات" (٢٨٤/١) من طريق الواقدي.

(١٣) "الطبقات" (٢٨٥/١) من طريق الواقدي.

(١٤) "الطبقات" (٢٨٦/١) من طريق الواقدي.

(١٥) "الطبقات" (٢٨٥/١) من طريق الواقدي.

(١٦) "الطبقات" (٢٩٢/١) من طريق الواقدي.

(١٧) "الطبقات" (٢٩٨/١) من طريق الواقدي.

(١٨) "الطبقات" (٢٩٨/١) من طريق الواقدي.

قال الشيخ حافظ رحمته الله في منظومته عن أحداث السنة التاسعة:

كَانَ بِهَا غَزْوُ تَبُوكٍ فِي رَجَبٍ
مَعَهُ ثَلَاثُونَ مِنْ الْأَلْفِ
وَابْنُ سَلُولٍ عَنْهُ قَدْ تَخَلَّفَا
عُنْدَهُمُ الْحَاجَةُ إِذْ لَمْ يَجِدُوا
لَكِنْ لِيُطَيَّئَ نِيَّةً تَأَخَّرُوا
وَأَخْرُورُونَ أَغْنَيْنَا فَاخْتَارُوا
وَرَعَّابَ النَّبِيِّ ذَوِي السَّارِ
وَقَدْ أَتَى أَنْ ابْنَ عَفَّانَ عَلَى
كُلَّامِعِ الْأَحْلَاسِ وَالْأَقْتَابِ
وَلِعَلِّي الرَّسُولُ اسْتَخَلَّفَا
أَنْزَلَهُ الرَّسُولُ ذُو التَّكْوِيمِ
لَا فِي النَّبُوَّةِ الَّتِي قَدْ خُتِمَا
فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَمُدَّعِي
وَأَهْلَ أَيْلَةِ الرَّسُولِ صَالِحَا
وَلَا كَيْدِ النَّبِيِّ قَدْ أَرْسَلَا
أَقَامَ عَشْرِينَ وَبَعْدَهَا قَلَّ

وَقَصْدُهُ الرُّومَ فَإِذَا ذَاكَ أَنْتَدَبَ
مُقَاتِلُونَ كُلُّ ذِي خِالَفِ
فِي حَزْبِهِ وَبَعْضُ مَنْ قَدْ خُلِّفَا
نَفَقَةً وَأَخْرُورُونَ وَجَدُوا
مِثْلَ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ ذُكِرُوا
تَخَلَّفَا مَا لَهُمْ اعْتِدَارُ
فِي أَنْ يُجَهَّزُوا ذَوِي الْإِقْتَارِ
ثَلَاثًا نِيَّةً بَعِيرٍ حَمَّالَا
وَكُلُّ لَازِمٍ بِأَلَا أَرْتِيَابِ
فِي أَهْلِهِ مِنْ أَجْلِ ذَا تَخَلَّفَا
مَنْزِلَ هَارُونَ مِنَ الْكَلِيمِ
بِنَاوَاهَا بِأَحْمَدٍ وَتَمَّ مَا
ذَا كَافِرٌ مَعَ مُؤْمِنٍ بِهِ فَعِ
وَأَهْلَ جَرْبَاءَ وَأَهْلَ أَذْرَحَا
خَالِدٌ ثُمَّ صَلْحُهُ قَدْ نَقَلَا
لِدَارِ هِجْرَةَ وَبَأْسًا لَمْ يَنْلِ

وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ قَدْرًا مَوَا
مِنَ الْمُنَافِقِينَ لَكِنْ قَدْ كُفِيَ
وَأَفْضَحُوا فَضِيحَةً لَا تُسْتَرُّ
وَمَسْجِدُ الضَّرَارِ أَيْضًا هُدْمًا
وَتَابَ ذُو الْعَرْشِ عَلَيَّ مَنْ صَدَقَا
وَلِلثَلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا
وَبَعْدَهَا فِي رَمَضَانَ قَدِمُوا
وَبَعَثَ الرَّسُولُ مَعَهُمْ مَنْ هَدَمَ
وَأَمَرَ النَّبِيَّ عَلَيَّ الْحَجَّ أَبَا
مُبَلِّغًا عَنِ الرَّسُولِ أَوْلَا
جَمَاعِ النَّاسِ لَدَى الْمَوَاسِمِ
وَلَا يَحِلُّ أَنْ يَطُوفَ أَبَدًا
وَكُنْزَ الْوُفُودِ فِي ذَا الْعَامِ
فَلِنَسْرِدِ الْآنَ الَّذِي نَسَّ رَا
وَقَدْ تَمِيمٌ ثُمَّ فِيهِمْ نَزَلَتْ
أَصْوَاتُهُمْ عَلَيَّ النَّبِيِّ بِالنَّدَا
أَنْ قُدُّوهُمْ عَلَيَّ الْأَصْحَحَّ

غَدْرًا [١] بِهِ الْأَخَابِثُ اللَّئَامُ
مِنْهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ذِي الْوَعْدِ الْوَفِيِّ
وَلَعَذَابٌ فِي الْجَحِيمِ أَكْبَرُ
لَأَمْرِهِ بِذَلِكَ حِينَ قَدِمَا
مِنَ الْمُخَلْفِينَ لَا مَنْ نَاقَقَا
طُولَ حَدِيثٍ فِي الصَّحِيحِ يُعْرَفُ
وَقَدْ ثَقِيفَ لِلنَّبِيِّ فَأَسْلَمُوا
طَاغُوتُهُمْ وَبَيَّتَ مَالِهِ قَسَمَ
بِكُفْرٍ وَبَعْدَهُ عَلَيَّ صَحْبًا
سُورَةَ (تَوْبَةٍ) لِيَتْلُوَهَا عَلَيَّ
وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ غَيْرِ مُسْلِمٍ
بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ كَذَلِكَ أَسْنِدًا
لِرَغْبَةِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ
مُبِينٌ سَابِقٍ وَمَا تَأَخَّرَا
فِي (الْحُجْرَاتِ) آيَتَانِ إِذْ عَلَتِ
وَوَفَدُ عَبْدِ الْقَيْسِ لَكِنْ قَدْ بَدَا
عَلَيَّ النَّبِيِّ كَانَ قَبْلَ الْفَتْحِ

[١] في المخطوط: [فتكًا] بدل: (غدرًا)، والغدر أبلغ في الدم من الفتك، وهو كذا في المطبوع.

ثُمَّ بُوِّحِنِفَةَ وَفِيهِمْ مَو
 بِيَعَتُهُمْ مَعَ اتِّخَاذِ الْمَسْجِدِ
 وَوَفْدِ نَجْرَانَ وَفِيهِمْ نَزَلَ
 رَأْسِ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ وَقَدْ
 وَفَدُ بَيْبِي عَامِرٍ فِيهِمْ عَامِرُ
 وَمَعَهُ أَرْبَعٌ فِي الْمَشَافِقَةِ
 فَأَهْلَكَ جَزَاءً مَا قَدْ أَجْرَمَا
 وَأَنْزَلَتْ فِي ذَلِكَ الْآيَاتُ
 ثُمَّ ضَمَّامُ ذُو الْفَلَاحِ وَإِفْدَا
 أَبْرَكَ وَإِفْدِ بِحَيْثُ أَسْلَمُوا
 وَوَفْدُ طَيِّءٍ مَعَ زَيْدِ الْخَيْلِ
 قُدُومِ نَجْلِ حَاتِمٍ وَهُوَ عَدِي
 وَوَفْدُ دَوْسٍ وَهُوَ فَيَا ثَبَّأ
 إِلَى النَّبِيِّ بِمَكَّةٍ وَأَسْلَمَا
 كَذَا قُدُومِ الْأَشْعَرِيِّينَ الْغُرَزُ
 إِذْ هَاجَرُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ أَوْلَا
 وَابْنِ مُسَيْكٍ فَزُرَّةَ الْمُرَادِي
 وَوَفْدُ عَمْرٍو بْنِ مَعْدٍ يَكْرَبَا
 كَذَابُهُمْ وَأَمْرُوا أَنْ يَهْدِمُوا
 مَكَانَهَا لِلصَّلَاةِ فَاقْتَدِ
 مِنْ ابْتِدَاءِ (آلِ عِمْرَانَ) إِلَى
 صَالِحِهِمْ نَبِيَّنَا كَمَا وَرَدُ
 أَصَابَهُ الطَّاعُونَ وَهُوَ غَادِرُ
 فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الصَّاعِقَةَ
 وَأَسْلَمَ الْبَاقُونَ مِنْ قَوْمِهَا
 مِنْ سُورَةِ (الرَّعْدِ) مُبَيَّنَاتُ
 عَنْ قَوْمِهِ سَعْدِ بْنِ بَكْرِ فَعَدَا
 مِنْ يَوْمِهِمْ كُلاً وَمَا تَلَعَثُوا
 وَأَسْلَمُوا لَللَّهِ دُونَ مَيْلِ
 بَعْدَ فِرَارِهِ إِلَى الْحَقِّ هُدًى
 بِخَيْرٍ حَيْثُ الطَّفِيلُ قَدْ أَتَى
 ثُمَّ دَعَا دَوْسًا إِلَى أَنْ تُسَلِّمَا
 وَهُمْ أَهْيَلُ الْهَجْرَتَيْنِ بِالْأَنْزِ
 ثُمَّ لَيْثَرِبَ بِخَيْرٍ تَلَا
 أَيُّ وَإِفْدَا عَنْ قَوْمِهِ مُرَادِ
 خُلْفًا لَنَا فِي كَوْنِهِ قَدْ صَحِبَا

وَوَفْدُ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ الْكِنْدِيِّ
قَدْ أَسْلَمُوا بِأَبِي الْأَمْتِرَاءِ كُلِّهِمْ
تَبُوكَ وَالْكَاتِبُ عَنْهُمْ ذُو يَزَنَ
وَبَيْنَ الْأَحْكَامِ وَالنَّصَابَا
وَذَاكَ أَصْلُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ
كَذَاكَ مَقْدَمُ ابْنِ حُجْرٍ وَإِثْلِ
وَهُوَ رَاوِي النَّبِيِّ الطُّوبِيلِ
فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ
وَفَدَا أَتَى عَنْ قَوْمِهِ ضِدَاءِ
وَابْنُ أَبِي عَقِيلٍ جَاءَ فِي الْمَلَا
مَعَ قَوْمِهِ فَأَسْلَمُوا لِلَّهِ
وَقَتَلَتْهُ الرُّومُ لَمَّا أَسْلَمَا
إِذْ جَاءَ مُسْلِمًا بِأَبِي أَنْكَارِ
وَمِنْهُمْ مَوَاطِنٌ وَابْصَةُ بْنُ مَعْبُدِ
بَلْ إِنَّهُمْ لَا شَكَّ قَبْلَ الصُّلْحِ
لَهُمْ لِكَوْنِهِمْ بِأَرْضِ جَدِبِ

كَذَا قُدُومُ صُرْدٍ فِي الْأَزْدِ
رُسُلٌ مُلُوكٌ حَمِيرٌ بِأَنْهَمُ
وَذَاكَ حِينَ قَدِمَ الرَّسُولُ مِنْ
وَكَتَبَ النَّبِيُّ لَهُمْ كِتَابًا
وَهُوَ كِتَابُ عَمْرِو بْنِ حَزْمِ
وَجَاءَ مُسْلِمًا جَرِيرُ الْبَجَلِيِّ [١١]
وَفَدَا أَبِي رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ
وَهُوَ حَدِيثٌ وَاضِحٌ التَّبَيُّينِ
زِيَادُ ابْنِ الْحَارِثِ الصُّدَائِيِّ
وَالْحَارِثُ الْبَكْرِيُّ إِذْ يَشْكُو الْعَلَا
قُدُومُ طَارِقِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ
قُدُومُ فَرُوزَةَ الْجُدَامِيِّ مُسْلِمًا
كَذَا تَمِيمُ ابْنِ أَوْسِ الدَّرِيِّ
وَفَدَا فَزَارَةَ وَوَفْدَ أَسَدِ
وَفَدَا بَنِي عَبْسٍ قُبَيْلَ الْفَتْحِ
وَفَدَا بَنِي مُرَّةٍ وَاسْتَسْقَى النَّبِيُّ

[١١] في المخطوط: [البعيل]، وهو خطأ.

وَفَدُ بَيْي ثَعْلَبَةَ فِي سَنَةِ
 وَفَدُ بَيْي مُحَارِبٍ فِي عَشْرِ
 وَفَدُ بَيْي كِلَابٍ ثُمَّ سَلَّمُوا
 وَفَدُ بَيْي رُوَاسٍ مِنْ كِلَابٍ
 وَفَدُ بَيْي عَقِيلِ ابْنِ كَعْبٍ
 وَفَدُ كِنَانَةَ وَوَفَدُ أَشْجَعِ
 وَفَدُ بَيْي سُلَيْمٍ قَبْلَ الْفَتْحِ ثُمَّ
 وَفَدُ بَيْي هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ
 وَفَدُ تَحِيْبٍ مِنْ أَهْمِلِ الْيَمَنِ
 وَوَفَدُ جُعْفِيٍّ وَوَفَدُ الْأَزْدِ
 وَفَدُ بَيْي سَعْدِ هَذِيمٍ وَفَدُ
 وَفَدُ بَلِيٍّ وَفِيهِمُ السَّائِلُ عَنْ
 وَوَفَدُ غَسَّانِ بَعَامِ الْعَاشِرِ
 وَوَفَدُ غَامِدٍ بَعَشْرِ قَدِمُوا
 فِي حَادِي الْعَشْرَةِ فِي الْمُحَرَّمِ
 ثَمَانَ وَالرَّسُولُ بِالْجِعْرَانَةِ [١٧]
 فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ دُونَ نُكْرٍ
 عَلَى النَّبِيِّ تَحِيَّةً وَأَسْلَمُوا
 ثُمَّ بَيْي الْبُكَاءِ بِأَلَا أَرْتِيَابِ
 كَذَا بَنُو قُشَيْرٍ بِنِ كَعْبٍ
 بِأَهْلَهُ هُمْ عَقَبَ الْفَتْحِ فَعِ
 قَدْ شَهِدُوهُ وَحَنِينًا كُلَّهُمْ
 وَفَدُ بَيْي بَكْرٍ وَتَغْلَبِ دُرِيٍّ
 وَوَفَدُ خَوْلَانَ بَعَشْرِ فَاظُنِ
 وَكَانَ فِيهِمْ مِنْ خِصَالِ الرُّشْدِ
 بِهِرًا وَوَفَدُ عُنْدَرَةَ وَبَعْدُ
 مُلْتَقَطٍ مَا حُكِّمَهُ وَمَا يُسْنِ
 وَكَتَمُوا إِيْمَانَهُمْ فِي الْأَثَرِ
 وَالنَّخَعِ أَخْرَ الْوُفُودِ يُعْلَمُ
 وَأَسْلَمُوا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ فَاعْلَمُ

س٦٥/ مَاذَا وَقَعَ فِي سَنَةِ عَشْرٍ مِنَ الْبُعُوثِ وَالسَّرَايَا؟

ج/ فِيهَا سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى نَجْرَانَ، فَجَاءَ بِهِمْ مُسْلِمِينَ فِي صَدْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَفِيهَا بَعَثَ ﷺ عَلِيًّا إِلَى الْيَمَنِ ^(١) قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدِمَ بِبَقِيَّةِ الْهَدْيِ مَعَهُ.

وَفِيهَا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ عَامِلَيْنِ عَلَى أَرْضِ الْيَمَنِ، وَأَمْرَهُمَا ^[١] أَنْ يُسِّرَا وَلَا يُعَسِّرَا، وَيُسِّرَا وَلَا يُنْفِرَا، وَأَنْ يَتَطَاوَعَا وَلَا يَخْتَلِفَا ^(٢)، وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَانَتْ حَجَّةُ الْوَدَاعِ الَّتِي بِهَا كَمَلَتْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ.

^(١) قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رضي الله عنه: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا بَعْدَ ذَلِكَ مَكَانَهُ فَقَالَ: «مُرْ أَصْحَابَ خَالِدٍ، مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ أَنْ يُعَقَّبَ مَعَكَ فَلْيُعَقَّبْ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُسْبَلْ» ^(٣).

^(٢) كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ الطَّوِيلِ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِرَقْمِ (١٢١٨)، وَفِيهِ: وَقَدِمَ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُذُنِ النَّبِيِّ ﷺ... الْحَدِيثُ، وَسَيَأْتِي قَرِيبًا.

قَالَ الشَّيْخُ حَافِظُ رحمته الله عَنِ وَقَائِعِ وَأَحْدَاثِ السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ لِلْهِجْرَةِ:

[١] فِي الْمَخْطُوطِ: [أَمْرُهُمْ] بِضَمِيرِ الْجَمْعِ، وَمَا أَثْبَتَهُ أَصُوبٌ؛ لِأَنَّهَا اثْنَانِ، فَيُؤْتَى بِضَمِيرِ التَّنْيَةِ.

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ (٣٠٣٨)، وَمُسْلِمٌ بِرَقْمِ (١٧٣٣).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْمِ (٤٣٤٩).

فِيهَا النَّبِيُّ أَرْسَلَ خَالِدًا إِلَى
 خَالِدٍ مَعَهُ وَفَدَاهُمُ فَآبُوا
 وَبَعَثَ النَّبِيُّ عَلِيًّا لِلْيَمَنِ
 وَأَدْرَكَ الْحَجَّ مَعَ النَّبِيِّ ثُمَّ
 كَذَا أَبُو مُوسَى بْنُ قَيْسِ الْأَشْعَرِيِّ
 لِلْيَمَنِ الْمَيْمُونِ ثُمَّ أَمْرًا
 وَأَنْ يُسَّ رَا وَلَا يُنَّ رَا
 نَجْرَانَ ثُمَّ أَسْلَمُوا وَأَقْبَلَا
 فِي صَدْرِ ذِي الْقَعْدَةِ لَا ارْتِيَابُ
 مِنْ قَبْلِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَأَعْلَمَنْ
 عَادَ لِصَاحِبِهِ لِيَسْتَقْبِلَهُمْ
 مَعَهُ مُعَاذَ عَامِلَيْنِ فَأَثِرِ
 بِأَنْ يُسَّ رَا وَلَا يُعَسَّ رَا
 وَيَتَطَاوَعَا عَلَى مَا أَمَّرَا

س٦٦ / كيف صفة حجة الوداع؟

ج / قَالَ الْإِمَامُ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ فِي حَجِّهِ ^(١): حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، جَمِيعًا عَنْ حَاتِمٍ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: حَدَّثَنَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَدَنِيُّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، فَسَأَلْنَا عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا مُحَمَّدُ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَيَّ رَأْسِي فَنَزَعَ زُرِّي الْأَعْلَى، ثُمَّ نَزَعَ زُرِّي الْأَسْفَلَ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ ثَدْيَيْ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ شَابٌّ، فَقَالَ: مَرَحَبًا بِكَ، يَا ابْنَ أَخِي، سَلْ عَمَّا شِئْتَ ^[١]، فَسَأَلْتُهُ، وَهُوَ أَعْمَى ^[٢]، وَحَضَرَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَقَامَ فِي نَسَاجَةٍ ^[٣] مُلْتَحِفًا بِهَا، كُلَّمَا وَضَعَهَا عَلَى مَنْكِبِهِ رَجَعَ طَرَفَاهَا إِلَيْهِ مِنْ صِغَرِهَا، وَرَدَاؤُهُ إِلَيَّ جَنْبِهِ، عَلَى الْمَشْجَبِ، فَصَلَّى بِنَا، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَ: بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ ^(٢) سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَدَانَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَاجٌّ. ^[٤].....

أَي: فِي حَجِّ النَّبِيِّ ﷺ.

أما متى فُرض الحج؟ فانظر التعليق على جواب السؤال رقم (٥٢).

[١] في المخطوط: [شيت]، والتصويب من "صحيح مسلم".

[٢] في المخطوط: [عمي]، والتصويب من "صحيح مسلم".

[٣] في المخطوط: [نساچه] بالحاء المهملة، والتصويب من "صحيح مسلم".

[٤] في المخطوط: [حج]، والتصويب من "صحيح مسلم".

نُتِرَ الْجَوَاهِرُ الْمُضِيَّةَ عَلَى أَمَالِي فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشْرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَعْمَلُ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَيْنَا ذَا [١] الْحَلِيفَةِ ①، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ: «اغْتَسِلِي، وَاسْتَشْفِرِي ② بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي»، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ ③، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرَتْ إِلَى مَدِّ بَصْرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمَلْنَا بِهِ، فَأَهْلٌ بِالتَّوْحِيدِ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ، لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ، وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ»....

① ذو الحليفة قرية بينها وبين المدينة ستة أميال، أو سبعة، ومنها ميقات أهل المدينة. "معجم البلدان" (٢/ ٣٤٠).

② الاستشفار: هو أن تشد في وسطها شيئاً، أو تأخذ خرقةً عريضةً تجعلها على محال الدم، وتشد طرفيها من قدامها، ومن ورائها في ذلك المشدود في وسطها، وهو شبيهةً بثفر الدابة بفتح الفاء، وفيه صحة إحرام النفساء، وهو مجمع عليه، والله أعلم. قاله النووي رَحِمَهُ اللهُ (٨/ ٤٠٥).

③ القصواء: هي بفتح القاف، وبالمد، وهو اسم لناقَةِ النبي ﷺ، وذكروا لها أسماءً أخرى. "شرح النووي" (٨/ ٤٠٥).

[١] في المخطوط: [ذو]، والتصويب من "صحيح مسلم".

وَأَهْلَ النَّاسِ بِهَذَا الَّذِي يُهْلُونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ،
وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَلِيَّتَهُ، قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَسْنَا نُنْوِي إِلَّا الْحَجَّ، لَسْنَا نَعْرِفُ
الْعُمْرَةَ، حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ (١) مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ.

إشارة إلى ما روي من زيادة الناس فيها في الثناء على الله والذكر، كما روي
في ذلك عن عمر، وذلك أنه كان يزيد: لبيك ذا النعماء والفضل الحسن، لبيك
مرهوبا منك ومرغوبا إليك. وعن ابن عمر: لبيك وسعديك، والخير بيدك،
والرغبة إليك والعمل. وعن أنس: لبيك حقًا تعبدًا ورقًا. والاستحباب عند أكثر
العلماء أن تلي بما لبي به النبي ﷺ، قال مالك: وإن اقتصر عليها فحسن، وإن
زاد فحسن. وقال الشافعي: الأفضل الاقتصار عليها إلا أن يزيد ألفاظًا رويت عن
النبي ﷺ، مثل قوله: «لبيك إله الحق» ونحوه. اهـ (٢)

السُّنَّةُ فِي الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ تَقْبِيلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَتَسَرَّ اسْتَلَمَهُ بِيَدِهِ وَقَبَّلَهَا، وَإِلَّا اسْتَلَمَهُ
بِنَحْوِ عَصَا وَقَبَّلَهَا، وَإِلَّا أَشَارَ إِلَيْهِ، وَلَا يَشْرَعُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فِي الْأَرْكَانِ الْأُخْرَى إِلَّا
الرُّكْنَ الْيَمَانِي؛ فَإِنَّهُ يَحْسَنُ اسْتِلَامَهُ فَقَطْ، وَيَسُنُّ التَّكْبِيرَ عِنْدَ الرُّكْنِ الْأَسْوَدِ فِي كُلِّ
طُوفَةٍ؛ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَيْتِ عَلَى بَعِيرِهِ كَلَّمَا أَتَى الرُّكْنَ
أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ كَانَ عِنْدَهُ، وَكَبَّرَ. (٣)

(١) انظر "الشرح الممتع" (٧/ ٢٧٩-٢٨٠) للعثيمين.

(٢) "إكمال المعلم" (٤/ ٢٧٠) للقاضي عياض.

(٣) رواه البخاري برقم (١٦١٢).

وأما التسمية فلم أرها في حديث مرفوع، وإنما صحَّ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا استلم الحجر قال: باسم الله والله أكبر.

أخرجه البيهقي (٧٩ / ٥)، وغيره بسند صحيح كما قال النووي، والعسقلاني، ووهب ابن القيم رحمته الله فذكره من رواية الطبراني مرفوعاً، وإنما رواه موقوفاً كالبيهقي كما ذكر الحافظ في "التلخيص"، فوجب التنبيه عليه حتى لا يلصق بالسنة الصريحة ما ليس منها. اهـ^(١)

(١) من "حجة النبي ﷺ كما رواها جابر" (ص ٥٧) للعلامة الألباني رحمته الله.

فَرَمَلَ ﴿١٠﴾ ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَكَانَ أَبِي يَقُولُ -وَلَا أَعْلَمُهُ ذَكَرَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿وَقُلْ يَتَّيَبُهَا الْكُفْرُوتُ﴾، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ ﴿١١﴾ فَاسْتَلَمَهُ.....

﴿١٠﴾ الرَّمَلُ هُوَ إِسْرَاعُ الْمَشْيِ مَعَ تَقَارُبِ الْخَطَا...، وَلَا يَسْتَحِبُّ الرَّمْلَ إِلَّا فِي طَوَافٍ وَاحِدٍ فِي حَجٍّ، أَوْ عِمْرَةٍ، أَمَا إِذَا طَافَ فِي غَيْرِ حَجٍّ، أَوْ عِمْرَةٍ فَلَا رَمْلَ بِلَا خِلَافٍ. اهـ. (١)

قلت: وقوله: (ولا يستحب الرمل إلا في طواف واحد في حج أو عمرة... إلخ) هو طواف القدوم.

قال ابن عثيمين رحمته الله في "الشرح الممتع" (٢٤٣/٧): كان الرمل في حجة الوداع من الركن إلى الركن، أي: في كل الأشواط الثلاثة حتى ما بين الركنين رَمَلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي عمرة القضاء من الركن إلى الركن اليماني فقط. اهـ. ﴿١١﴾ القائل: فكان أبي. هو جعفر بن محمد.

﴿١٢﴾ عند أحمد زيادة: ثم ذهب إلى زمزم فشرب منها، وصبَّ على رأسه، ثم رجع إلى الركن. (٢)

(١) "شرح صحيح مسلم" للنووي (٤٠٦/٨).

(٢) انظر "حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" للألباني رحمته الله (ص ٥٨).

ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨] «أَبْدَأُ^[١] بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ»، فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِي^[٢] عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ^[٣] إِلَى الْمَرْوَةَ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى آتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةَ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرَ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةَ، فَقَالَ: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسْقِ الْهَدْيَ، وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ، وَلْيَجْعَلْهَا عُمْرَةً».....

يدعو بما أحب، ثم يعيد الذكر مرة ثانية، ثم يدعو بما أحب، ثم يعيد الذكر مرة ثالثة وينزل متجهاً إلى المروة. (٤)

فيه أنه يسن عليها من الذكر والدعاء والرقي مثل ما يسن على الصفا، وهذا متفق عليه. (٥)

[١] في المخطوط: [ابدءوا] بلفظ الأمر، والتصويب من "صحيح مسلم"، نعم، ورد بلفظ: «ابدءوا» عند النسائي برقم (٢٩٦٢)، والدارقطني (٢/٢٥٤)، لكن ذلك شاذ، وانظر "التلخيص الحبير" (٢/٨٧٧)، و"حجة النبي ﷺ" (ص ٥٩) للألباني.

[٢] في المخطوط: [فرقا] والتصويب من "صحيح مسلم".

[٣] في المخطوط: [نزع] بدل: [نزل]، والتصويب من "صحيح مسلم".

(٤) "الشرح الممتع" (٧/٢٦٨).

(٥) "شرح النووي" (٨/٤٠٩).

فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلْعَامِنَا هَذَا أَمْ لَا أَبَدٍ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصَابِعَهُ وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ: «دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ - مَرَّتَيْنِ - لَا بَلَّ لِأَبَدٍ أَبَدٍ» [١]، وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ بِبُذْنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَمَّنْ [٢] حَلَّ، وَكَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا، وَانْتَحَلَتْ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا. قَالَ: فَكَانَ عَلَيَّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ: فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُحَرِّشًا عَلَيَّ فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعْتُ، مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «صَدَقْتُ صَدَقْتُ، مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ؟» قَالَ قُلْتُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَهْلُ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُكَ. [٣] قَالَ: «فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ»، قَالَ: فَكَانَ جَمَاعَةٌ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ [٤] عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِائَةً، قَالَ: فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَقَصَّرُوا، إِلَّا النَّبِيَّ ﷺ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ تَوَجَّهُوا إِلَيَّ مِنْى، فَأَهْلُوا بِالْحَجِّ.....

يوم التروية هو اليوم الثامن من ذي الحجة؛ سمي بذلك لأن قريشاً كانت

تحمل الماء من مكة إلى منى تسقيهم، وتطعمهم، فيرووا منه... (٥)

[١] في المخطوط: [لأبد الأبد]، والمثبت من "صحيح مسلم".

[٢] في المخطوط: [فمن]، والمثبت من "صحيح مسلم".

[٣] في المخطوط: [رسول الله ﷺ] بدل: (رسولك)، والتصويب من "صحيح مسلم".

[٤] في المخطوط: [بهم] بدل: (به)، والتصويب من "صحيح مسلم".

(٥) "إكمال المعلم" (٤/ ٢٧٤).

نُتِرَ الْجَوَاهِرُ الْمُضِيئَةُ عَلَى أَمْالِي فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ، وَالْعَصْرَ، وَالْمَغْرِبَ، وَالْعِشَاءَ، وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعْرِ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمْرَةَ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا تَشْكُ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمْرَةَ، فَنَزَلَ [بِهَا]^[١]، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصَوَاءِ، فَرَحِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي، فَخَطَبَ [النَّاسَ]^[٢]، وَقَالَ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَفَقَلْتُهُ هُذَيْلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلَ رَبَا أَضَعُ رَبَانَا^[٣] رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ.....»

معناه: الزائد على رأس المال، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رُوْسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٩]، وهذا الذي ذكرته إيضاح، وإلا فالمقصود مفهوم من نفس لفظ الحديث؛ لأن الربا هو الزيادة، فإذا وضع الربا، فمعناه: وضع الزيادة، والمراد بالوضع: الرد والإبطال. اهـ^(٤)

(١) زيادة من "صحيح مسلم".

(٢) زيادة من "صحيح مسلم".

[٣] في المخطوط: [من ربانا] بزيادة: (من)، وليست موجودة عند مسلم؛ لذا حذفها.

(٤) "شرح النووي" (٨/ ٤١٢).

فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النَّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ، وَاسْتَحَلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ
بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرُّهُنَّ؛ فَإِنْ فَعَلَنَ ذَلِكَ
فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ،
وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَصِلُوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ
عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ
بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكِتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ،
اللَّهُمَّ، اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَدَّنَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى
العَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى آتَى الْمَوْقِفَ،
فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءَ إِلَى الصَّخْرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ ^(١) الْمَشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ،
وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلًا،
حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ شَنَّقَ
لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّى إِنْ رَأَسَهَا لِيُصِيبَ مَوْرِكَ رَحْلِهِ.

^(١) روي: حبل، بالحاء المهملة، وإسكان الباء، وروي حبل، بالجيم وفتح
الباء، قال القاضي عياض رحمته الله: الأول أشبه بالحديث، وحبل المشاة، أي:
مجتمعهم، وحبل الرمل ما طال منه وضخم، وأما بالجيم فمعناه: طريقهم،
وحيث تسلك الرجاله. ^(١)

^(١) معنى: شَنَّقَ: ضَمَّ وَضَيَّقَ، وهو بتخفيف النون، ومورك الرحل، قال

(١) «شرح النووي» (٨/ ٤١٤).

الجوهري: قال أبو عبيد: المورك والموركة يعني بفتح الميم وكسر الراء، هو: الموضع الذي يثني الراكب رجله عليه قدام واسطة الرحل إذا مل من الركوب. وضبطه القاضي بفتح الراء قال: وهو قطعة أدم يتورك عليها الراكب تجعل في مقدم الرحل شبه المخدة الصغيرة. وفي هذا استحباب الرفق في السير من الراكب بالمشاة وبأصحاب الدواب الضعيفة.^(١)

(١) النووي (٨/٤١٥).

وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «أَيُّهَا النَّاسُ، السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ»^(١) ، كَلَّمَا أَتَى حَبَلًا مِنْ
الْحِبَالِ^(٢) أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا، حَتَّى تَصْعَدَ، حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّى بِهَا
الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ^(٣)

مرتين، بالنصب، أي: الزموا السكينة، وهي: الرفق، والطمأنينة، ففيه أن
السكينة في الدفع من عرفات سنة، فإذا وجد فرجةً يُسرِعُ، كما ثبت في الحديث.^(١)
الhibال هنا -بالحاء المهملة المكسورة-: جمع حبل، وهو التلُّ اللطيف^(٢)
من الرمل الضخم.^(٣)

قال ابن القيم رحمته الله في «الزاد» (٢/٢٤٧): والصحيح أنه صلاهما بأذان
وإقامتين كما فعل بعرفة. اهـ

قال الألباني رحمته الله في «حجة النبي صلى الله عليه وسلم» (ص ٧٥): وهذا هو الصحيح، فما في
بعض المذاهب أنه يقيم واحدة خلاف السنة، وإن ورد ذلك في بعض الطرق؛ فإنه
شاذُّ، كما أن الأذان لم يرد أصلاً في بعض الأحاديث، انظر «نصب الراية»
(٣/٦٩-٧٠). اهـ

(١) «شرح النووي» (٨/٤١٥).

(٢) «شرح النووي» (٨/٤١٥).

وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا ^(١) ، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ،
وَصَلَّى [الْفَجْرَ] ^(١) حِينَ ^(٢) تَبَيَّنَ [لَهُ] ^(٣) الصُّبْحُ ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ ، ثُمَّ رَكِبَ
الْقُصَوَاءَ ، حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ ^(٤) ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ، فَدَعَاهُ ^(٥) ، وَكَبَّرَهُ ،
وَهَلَّلَهُ ، وَوَحَّدَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا ، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ ،
وَأَرَدَفَ الْفُضْلَ ابْنَ عَبَّاسٍ ، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ أَيْضًا وَسِيمًا

^(١) قال ابن القيم رحمته الله في "الزاد" (٢/٢٤٧): ولم يحي تلك الليلة، ولا صح عنه في إحياء ليلتي العيد شيء. اهـ

قال الألباني رحمته الله في "حجة النبي ﷺ" (ص ٧٦): وهو كما قال، وقد بينت حال تلك الأحاديث في "التعليق الرغيب على الترغيب والترهيب".

^(٢) بفتح الميم، هذا هو الصحيح، وبه جاء القرآن، وتظاهرت به روايات الحديث، ويقال أيضًا بكسر الميم، والمراد هنا: فُزِحَ -بضم القاف وفتح الزاي وبحاء مهملة- وهو جبل معروف في المزدلفة، وهذا الحديث حجة الفقهاء في أن المشعر الحرام هو فُزِحَ، وقال جماهير المفسرين وأهل السير: المشعر الحرام جميع مزدلفة... ^(٥).

[١] ساقطة عن المخطوط، واستدركتها من "صحيح مسلم".

[٢] في المخطوط: [بعد] بدل: (حين)، والتصويب من "صحيح مسلم".

[٣] ساقطة عن المخطوط، واستدركتها من "صحيح مسلم".

[٤] في المخطوط: [دعا الله]، والتصويب من "صحيح مسلم".

(٥) "شرح النووي" (٨/٤١٧).

فَلَمَّا دَفَعَ [١] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّتَ [٢] بِهِ ظُعْنٌ ① يَجْرِينِ [٣] ، فَطَفِقَ الْفُضْلُ يَنْظُرُ
إِلَيْهِنَّ ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَيَّ وَجْهَ الْفُضْلِ ، فَحَوَّلَ الْفُضْلُ وَجْهَهُ إِلَيَّ
الشَّقَّ الْآخَرَ يَنْظُرُ ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ عَلَيَّ وَجْهَ
الْفُضْلِ ، يَصْرِفُ [٤] وَجْهَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرَ يَنْظُرُ ، حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسَّرٍ ② ،
فَحَرَكَ قَلِيلًا ③ ، ثُمَّ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَيَّ الْجَمْرَةَ الْكُبْرَى
حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ

① الظعن - بضم الظاء والعين، ويجوز إسكان العين - جمع ظعينة، كسفينة
وسفن، وأصل الظعينة البعير الذي عليه امرأة ثم تسمَّى به المرأة مجازاً؛
لملابستها البعير. (٥)

② محسّر - بضم الميم وفتح الحاء وكسر السين المشددة المهملتين - سُمِّيَ
بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حُسِرَ فيه، أي: أعْيِي وكَلَّ... (٦)

③ قال النووي رَحِمَهُ اللهُ (٨/ ٤١٨): فهي سنة من سنن السَّيْرِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ. اهـ

[١] فِي الْمَخْطُوطِ: [دَخَلَ] بَدَلَ (دَفَعَ)، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ "صَحِيحِ مُسْلِمٍ".

[٢] فِي الْمَخْطُوطِ: [مَرَّ]، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ "صَحِيحِ مُسْلِمٍ".

[٣] فِي الْمَخْطُوطِ: [الْبَحْرَيْنِ]، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ "صَحِيحِ مُسْلِمٍ".

[٤] فِي الْمَخْطُوطِ: [وَصَفَّ]، وَالتَّصْوِيبُ مِنْ "صَحِيحِ مُسْلِمٍ".

(٥) "النَّوَوِيُّ" (٨/ ٤١٧).

(٦) "شَرْحُ النَّوَوِيِّ" (٨/ ٤١٨).

قال ابن القيم رحمته الله في «الزاد» (٢/٢٥٦): وهذه كانت عادته في المواضع التي نزل فيها بأس الله بأعدائه؛ فإن هنالك أصاب أصحاب الفيل ما قص الله علينا؛ ولذلك سُمِّي ذلك الوادي وادي محسر؛ لأن الفيل حُسِر فيه. اهـ

قال ابن عثيمين رحمته الله: وتعليل إسراع النبي صلى الله عليه وسلم في وادي محسر بذلك فيه نظر؛ لأن أصحاب الفيل لم يهلكوا هنا، بل في مكان يقال له: المغمس حول الأبطح، وفي هذا يقول الشاعر الجاهلي:

حبس الفيل بالمغمس حتى ظل يجبو كأنه مكسور^(١)

(١) «الشرح الممتع» (٧/٣١٦).

يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا، مِثْلَ [١] حَصَى الْخَذْفِ ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، ثُمَّ
انصَرَفَ إِلَى الْمُنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ [٢] بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا، فَنَحَرَ مَا
عَبَّرَ ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدِيهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ، فَجُعِلَتْ فِي قَدْرِ،
فَطُبِخَتْ، فَأَكَلَا [٣] مِنْ لَحْمِهَا وَشَرِبَا [٤] مِنْ مَرَقِهَا.....

قال النووي رحمته الله في شرح الحديث (٤١٩ / ٨): منها حصى الخذف، هكذا هو في النسخ، وكذا نقله القاضي عياض عن معظم النسخ، قال: وصوابه: مثل حصى الخذف. قال: وكذلك رواه غير مسلم، وكذا رواه بعض رواة مسلم. هذا كلام القاضي، والذي في النسخ من غير لفظة: مثل. هو الصواب، بل لا يتجه غيره ولا يتم الكلام إلا كذلك، ويكون قوله: حصى الخذف. متعلقاً بحصيات، أي: رماها بسبع حصيات حصى الخذف يكبر مع كل حصاة، فحصى الخذف متصل بحصيات واعتراض بينهما يكبر مع كل حصاة، وهذا هو الصواب والله أعلم. اهـ
قلت: أما المخطوط ففيه: (منها مثل حصى الخذف)؛ فجمع بين: (منها)، و: (مثل).

أي: ما بقي. قاله النووي رحمته الله (٤١٩ / ٨).

[١] كذا في المخطوط: [منها مثل].

[٢] في المخطوط: [ستون]، وهو خطأ واضح.

[٣] في المخطوط: [فأكل]، والتصويب من "صحيح مسلم"، وهو في النظم على الصواب.

[٤] في المخطوط: [شرب]، والتصويب من "صحيح مسلم".

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَقَاصَ إِلَى الْبَيْتِ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ ①، فَاتَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَسْقُونَ عَلَى زَمْزَمَ، فَقَالَ: «انزِعُوا، بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» [١]، فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ عَلَى سِقَاتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ»، فَنَاوَلُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ [مِنْهُ]. [٢] هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ جَلِيلٌ جَامِعٌ لِلْمَنَاسِكِ، وَلِكَثِيرٍ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ وَأُمُورِ الْإِيمَانِ، يَنْبَغِي لِكُلِّ طَالِبٍ عِلْمٍ صَحِيحٍ أَنْ يَحْفَظَهُ، وَيَكْرِرَهُ [وَيَتَعَقَّلَ مَعْنَاهُ] [٣]، وَيَعْمَلْ بِهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

① في هذا الحديث أنه ﷺ صلى الظهر بمكة، وجاء أنه ﷺ صلى الظهر بمنى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. (٤)

قال النووي رحمته الله (٨ / ٤٢٠): ووجه الجمع بينهما أنه ﷺ طاف للإفاضة قبل الزوال، ثم صلى الظهر بمكة في أول وقتها، ثم رجع إلى منى فصلى بها الظهر مرة أخرى بأصحابه حين سأله ذلك؛ فيكون متنفلاً بالظهر الثانية التي بمنى. اهـ

وقال الشوكاني رحمته الله في "نيل الأوطار" (٣ / ١٤١) بهذا الجمع، إلا أنه جعله رحمته الله مأموماً والنووي جعله إماماً.

قال الشيخ حافظ رحمته الله ناظماً صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم:

- [١] في المخطوط تقديم وتأخير، والمثبت من "صحيح مسلم".
 [٢] زيادة من "صحيح مسلم" لا توجد في المخطوط، والحديث عند مسلم برقم (١٢١٨).
 [٣] كلمة غير واضحة في المخطوط، وبعد التأمل ظهر لي ما أثبت.
 (٤) رواه مسلم برقم (١٣٠٨).

سِتُّ أَتَى الْأَمْرُ بِهِ، وَقِيلَ فِي
وَقِيلَ: قَبْلَ هِجْرَةٍ وَذَا عَرِي
عَنْ وَصْفِ حَجَّةِ النَّبِيِّ كَالْعِيَانِ
يُفْرَضُ فِي الشَّرْعِ بَيَانًا مُحْكَمًا
يَحْتَاجُ تَبَيُّنًا سِوَى الْحَجِّ أَفْهَمِ
فِي مِثْلِهِ مَنْ قَبْلُ فِيمَا أُثِرَا
مَنْ شَهْرٍ ذِي الْقَعْدَةِ بِالسَّبْتِ ثَبَتَ
وَالْعَصْرَ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ دَفْعَا
وَفِيهِ صَلَّى الْخَمْسَ دُونَ مِرْيَةٍ
كَذَاكَ مَعَ رُكُوبِهِ مِنْ بَعْدِهِ
أَهْلٌ ثَالِثًا بِأَلَا مِرَاءِ
كُلِّ لِمَا شَاهَدَهُ مِنْهُ نَقَلَ
عَلَى رِوَايَاتٍ ثَلَاثٍ فَانْتَبَهَ
وَكُونُهُ تَمْتَعًا قَدْ أُسْنِدَا
نَحْوُ ثَلَاثِينَ حَدِيثًا فِيهِ صَحَّ
وَطَافَ فِي نِسَائِهِ وَاغْتَسَلَا
وَأَشْعَرَ الْهَدْيَ وَتَقْلِيدَ يَلِي

تَقَدَّمَ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْحَجَّ فِي
تَسْعِ، وَقِيلَ: بَلْ بَعَامِ عَاشِرِ
عَنْ حُجَّةٍ وَقَضَدْنَا الْآنَ الْبَيَانَ
فَبَعْدَ أَنْ قَدْ بَلَغَ الرَّسُولُ مَا
وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنَ الدَّعَائِمِ
سَارَ النَّبِيُّ لَهُ بِجَمْعٍ لَمْ يُرَ
فِي عَامِ عَاشِرٍ لِحَمْسٍ بَقِيَتْ
وَالظُّهْرَ فِي يَثْرَبَ صَلَّى أَرْبَعَا
لِوَادِي الْعَقِيقِ ذِي الْحَلِيفَةِ
وَمِنْهُ قَدْ أَهْلَ مَنْ مَسْجِدِهِ
حَتَّى إِذَا اسْتَوَى عَلَى الْبَيْدَاءِ
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اخْتَلَفُوا أَيَّنَ أَهْلُ
وَاخْتَلَفَ النَّقْلُ لِمَا أَهْلَ بِهِ
فَجَاءَ أَنَّهُ أَهْلُ مُفْرِدَا
وَجَاءَ فِيهِ قَارِنَا وَهُوَ الْأَصْحَحُ
وَالطَّيِّبُ لِلْإِحْرَامِ كَانَ [١] اسْتَعْمَلَا
وَرَأْسُهُ لَبَّادَهُ بِالْعَسَلِ

[١] في المخطوط: [كال] بدل: (كان)، وهو خطأ.

وَيَأْمُرُ الصَّحْبَ بِدُونِ مَرِيَّةٍ
وَفِيهِ صَلَّى الصُّبْحُ مُسْلِمٌ رَوَى
وَكَانَ مِنْ قَبْلِ الدُّخُولِ اغْتَسَلَا
وَطَافَ بِالْبَيْتِ وَبِالرُّكْنِ ابْتَدَا
وَمَا بَقِيَ فِيهِ مَشَى مَا رَمَلَا
مُسْتَلِمًا فِي كُلِّهَا لِلْحَجْرِ
يَمْشِي جَمِيعَهَا بِدُونِ مَيْنٍ
وَمَشِيهِ كَانَ لِذَلِكَ فَافْهَمُوا
أَنْ يُؤْذِيَ الضَّعِيفَ بِازْدِحَامِ
زَحْمَةٍ اسْتَقْبَلَهُ وَكَبَّرَا
جَاءَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ
سُورَتِي التَّوْحِيدِ مِنْ غَيْرِ مَرَا
ثُمَّ أَتَى الصَّفَا كَمَا فِي الْأَثْرِ
ثُمَّ عَلَيْهِ قَدْ رَقِيَ فَاذْتَبِهَ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَبَعْدَ ذَا سَعَى
كَفَعَلِهِ عَلَى الصَّفَا مُكَمَّلَا
بَطْنَ الْمَسِيلِ وَمَشَى فِيهَا خَلَا
يَمْشِي وَلَا التَّفَاتَ لِلْخِلَافِ

وَكَانَ يُعْلِي الصَّوْتَ بِالتَّلْيِيَةِ
وَبَاتَ فِي قُدُومِهِ بِذِي طَوَى
وَبَعْدَ ذَلِكَ مَكَّةَ قَدْ دَخَلَا
وَبِالطُّهُورِ فِي قُدُومِهِ بَدَا
سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ثَلَاثًا رَمَلَا
مُضْطَبِعًا كَانَ يُبْرِدُ أَخْضَرَ
وَبَيْنَ رُكْنَيْهِ الْيَمَانِيِّينَ
لَأَنَّهُ كِلَيْهِمَا يَسْتَلِمُ
وَقَدْ نَهَى الْقَوِيَّ فِي اسْتِلَامِ
فَلَيْسَتْ تَلْمُهُ خَالِيًا وَإِنْ يَرَى
وَبَعْدَ أَنْ نَمَّه تَتَمِّيَا
وَفِيهِ صَلَّى رُكْعَتَيْنِ وَقَرَا
وَعَادَ بَعْدَ لاسْتِلَامِ الْحَجْرِ
ثُمَّ تَلَا الْآيَةَ وَابْتَدَا بِهِ
مُهَلَّلًا مُكَبَّرًا ثُمَّ دَعَا
مِنْهُ إِلَى الْمَرْوَةِ ثُمَّ فَعَلَا
سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ جَمِيعًا رَمَلَا
وَكَانَ فِي ذَا السَّعْيِ وَالطَّوْفِ

هَذَا وَلَمَّا أَنْ أَتَمَّ السَّعْيَا
بِالْحَلْقِ [١] وَالتَّقْصِيرِ وَوَجَّهُوا
فَقِيلَ: هَلْ هَذَا لَنَا أَوْ لِلْأَبْدِ
وَكَانَ ذَلِكَ رَابِعَ الْأَيَّامِ
وَقَدْ أَقَامَ أَرْبَعًا لَمْ يَطُفِ
وَالْقَصْدُ ذَكَرُ فِعْلِهِ لَا الْمَنْعُ مِنْ
وَيَوْمَ ثَامِنٍ إِلَى مَنَى دَفَعُ
مَعَ كُلِّ مُحْرَمٍ وَمَنْ قَدْ كَانَ حَلَّ
وَالظُّهْرَ ثُمَّ الْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ بِهِ
وَدَفَعَهُ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي
وَقَالَ فِي نَمْرَةٍ إِلَى الزَّوَالِ
خُطِبَتْهُ هُنَاكَ ثُمَّ أَذَّنَا
كَانَ انْتِهَاءُهَا مَعَ انْتِهَاءِ
ثُمَّ أَقَامَ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ
ثُمَّ أَتَى مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْمَوْقِفَا

أَذَنَ مَنْ لَمْ يَكُ سَاقِ الْهَدْيَا
وَمَا بِالْأَحْرَامِ حَرَامٌ حَلٌّ
أَجَابَهُمْ نَبِيَّنَا: بَلْ لِلْأَبْدِ
مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ لَا إِيَّاهُمْ
بِالْبَيْتِ غَيْرَ ذَا الطَّوَافِ فَاعْرِفِ
طَوَافٍ مَنْ شَاءَ مَتَى شَاءَ فِدِنْ
بَعْدَ الزَّوَالِ فِي الْحَمِيسِ ذَا وَقَعُ
أَمْرُهُ إِذْ ذَاكَ بِالْحَجِّ أَهْلُ [٢]
صَلَّى كَذَا الْعِشَاءَ وَفَجَّرَ فَاَنْتَبَهَ
تَاسِعِ ذِي الْحِجَّةِ غَيْرِ مُتَّفٍ
ثُمَّ أَتَى الْوَادِي رَاكِبًا فَقَالَ
بِلَالُ وَابْتَدَأَ بِأُخْرَى فَهَنَا
مِنْ الْأَذَانِ دُونَمَا مِرَاءِ
ثُمَّ أَقَامَ بَعْدَهَا لِلْعَصْرِ
وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ مِنْ غَيْرِ [خَفَا] [٣]

[١] في المخطوط: [الحق] بدل: (الحلق).

[٢] في المخطوط: [أمره بالحج بالحج أهل]، وانظر المصدر السابق.

[٣] غير واضحة في المخطوط، ولكن عند التأمل ظهر ما أثبت، ثم وجدتها في نسخة شيخنا الفيضي

وَكَانَ عِنْدَ الصَّخْرَاتِ جَاعِلًا
وَرَاكِبًا كَانَ وَكَانَ مُقْطِرًا
وَأُنزِلَتْ عَلَيْهِ إِذْ ذَلِكُمْ سُو
وَلَمْ يَزَلْ وَقُوفُهُ مَعَ الدُّعَا
مِنْ عَرَفَاتٍ مُرَدِّفًا أَسَامَهُ
وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِأَنْ لَا يُسْرِعُوا
حَتَّى إِذَا مَا جَاءَ جَمْعًا نَزَلَا
وَبِالْأَذَانِ عِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَا
وَوَضَعُوا رِحَالَهُمْ ثُمَّ أَقَامَ
وَلَمْ يَكُنْ يُبْنِيهَا قَدْ سَبَّحَا
فِيهِ بِتَأْذِينٍ لِكُلِّ مِنْهُمَا
لَكِنَّهُ عَلَى ابْنِ مَسْعُودٍ وَقِفَ
وَقَدَّمَ النَّبِيُّ بَعْضَ الثُّقَلِ
وَلَمْ يَكُنْ لِيُغَيِّرَ ثِقَلِ رَحْصَا
هَذَا وَقَدْ صَلَّى النَّبِيُّ الْفَجْرَ مَعَ
وَرَكِبَ الْقَصُوَى وَجَاءَ الْمَشْعَرَا
وَكَانَ فِي مَوْقِفِهِ مُسْتَقْبِلًا

بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الْوُقُوفِ الْجَبَلَا
لِشُرْبِهِ الْجِلَابَ فِيمَا أَثْرَا
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)
حَتَّى إِذَا كَانَ الْغُرُوبُ دَفَعَا
وَشَانِقًا مَرَّ كَبَّهُ زِمَامَهُ
وَقَالَ: لَيْسَ الْبَرِّيَّ أَنْ تُوَضِعُوا
وَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ نَصًّا نَقْلًا
ثُمَّ أَقِيمَ مَغْرِبًا بِلَا مِرَا
أَيَّ لِلْعِشَاءِ ثَانِيًا بِلَا مَلَامَ
وَجَاءَ نَصٌّ فِي الْبُخَارِيِّ أَفْصَحَا
وَذَكَرَ التَّسْبِيحَ مَا يُبْنِيهَا
وَالرَّاجِحُ الْمَرْفُوعُ فَاجْزِمُ لَا تَقِفُ
لِيَقِفُوا وَبَدَعُوا بِاللَّيْلِ
فِي ذَلِكَ لَكِنْ بِهِمْ قَدْ خُصَّصَا
بِزَوْغِهِ مُبَادِرًا حِينَ طَلَعُ
مَا زَالَ وَاقِفًا إِلَى أَنْ أَسْفَرَا
مُحْمَدًا لَمْ يَكِبَّ رَأً مُهْلَا

وَحِينَمَا أَسْفَرَ جِدًّا دَفَعَا
حِينَ أَتَى مُحَسَّرًا وَكَانَ قَدْ
وَلَحَصَى الرَّمِي هُنَاكَ قَدَّرَا
وَسَلَكَ النَّبِي الطَّرِيقَ الْوَسْطَى
ثُمَّ رَمَى بِالْحَصَيَاتِ السَّيِّعِ مَعَ
مِنْ بَاطِنِ الْوَادِي يَمِينُهُ مِنْى
وَبَعْدَ أَنْ رَمَى لِئُدُنِهِ نَحَرُ
بِنَحْرِ بَاقِيهَا عَلِيًّا وَلَهُ
عَلَى اللَّحُومِ وَالْحِلَالِ مِنْهَا
شَيْئًا لِحَزَارٍ وَقَدْ أَعْطَاهُ
وَكَانَ قَدْرُ ذَلِكَ الْهَدْيِ مِثْلَهُ
وَمِنْ جَمِيعِهَا بَبْضَعَةٍ أَمْرُ
فَأَكَلَا مِنْهَا وَبَعْدَ نَحْرِهِ
فَرَّقَهُ فِي الصَّحْبِ مُسْلِمٌ رَوَى
وَبَعْدَ ذَلِكَ لَبَسَ الثِّيَابَا
ثُمَّ أَفَاضَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْكَعْبَةِ

قَبْلَ طُلُوعِ^(١) الشَّمْسِ ثُمَّ أَسْرَعَا
أَرْدَفَ مَعَهُ الْفَضْلَ فَأَفْهَمَ مَا وَرَدَ
مِثْلَ حَصَى الْخَذْفِ لَهُمْ مَفْسَّرَا
لِلْجَمْرَةِ الْكُبْرَى كَمَا قَدْ خُطَا
كُلَّ حَصَاةٍ مِنْهُ تَكْبِيرٌ وَقَعُ
وَالْبَيْتُ عَنْ يَسَارِهِ تَقْنَنَا
سِتِّينَ بَعْدَهَا ثَلَاثًا وَأَمْرُ
أَشْرَكَ فِي الْهَدْيِ وَقَدْ وَكَّلَهُ
تَقْسِيمُهَا كُلاًّ وَلَيْسَ مِنْهَا
مِنْ عِنْدِهِ الْأَجْرَةَ أَخْرَجَاهُ
مِنْ إِبِلٍ قَدْ صَحَّ فَاغْلَمَ [نَبَأُهُ]^[٢]
تُطْبَخُ كَيْ يَأْكُلَ مِنْهَا فِي أَنْزُرٍ
حَلَّقَ رَأْسَهُ فَنِصْفُ شَعْرِهِ
ذَا وَأَبُو طَلْحَةَ نِصْفُهُ حَوَى
مُسْتَعْمَلًا لِلطَّيِّبِ لَا اِزْتِيَابَا
وَطَافَ رَاكِبًا بِدُونِ مَرِيَّةٍ

(١) في المخطوط: [الطلوع].

[٢] غير واضح في المخطوط، ووثوب من نسخة شيخنا الفيغي الخطيب، وانظر "صحيح البخاري" برقم

ثُمَّ بِمَاءِ زَمْزَمٍ تَصَلَّعَا
 وَهَكَذَا مَنْ كَانَ مَعَهُ قَارِنَا
 أَمَا أَوْلُوا الْمَسْخِ وَمَنْ تَمَتَّعَا
 ذَا صَحَّ عَنْ عَائِشَةَ فِي مُسَلِّمٍ
 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ حَدِيثٌ آخَرُ
 وَالظَّهْرَ صَلَّاهَا بِمَكَّةَ عَلَى
 كِلَاهُمَا نَصُّ الصَّحِيحِ قَدْ عَلَا
 بَيْنَ مُرَجِّحٍ لِإِحْدَى تَيْنِ
 وَخَطَبَ النَّبِيُّ يَوْمَ النَّحْرِ
 وَقَالَ مَوْقِفٌ جَمِيعٌ عَرَفَهُ
 كَذَا مِنْى صَارَتْ جَمِيعًا مَنَحَرًا
 وَتَرَكَ تَرْتِيبَ لِمَنْ لَمْ يَشْعُرْ
 كَحَالِقِ وَالْهَدْيِ لِمَا يُنْحَرُ
 هَذَا وَقَدَبَاتِ النَّبِيِّ فِي مِنْى
 يَرْمِي الثَّلَاثَ الْجَمَرَاتِ كُلَّهَا
 وَعِنْدَ أَوْلَاهَا وَوَسَطَاهَا وَقَفَ
 وَأَوْسَطَ الْأَيَّامِ مِنْ مِنْى خَطَبَ
 وَقَدْ رُوِيَ بِأَنَّ فِيهِ نَزَلَتْ
 وَفِيهِ بَيْنَ الْمَرُوتَيْنِ مَا سَعَى
 أَوْ مُفْرِدًا وَكَانَ بِالْهَدْيِ اعْتَنَا
 فَإِنَّهُ مَعَ ذَا الطَّوَافِ قَدْ سَعَى
 وَفِي الْبُخَارِيِّ وَلَدَيْهِ فَاغْلَمَ
 لِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ مُفَسَّرُ
 رَوَايَةٍ وَفِي مِنْى الْأُخْرَى أَنْجَلَا
 مِنْ أَجْلِ ذَا كَانَ اخْتِلَافٌ مَنْ خَلَا
 وَقَائِلِ صَلَاةٍ مَرَّتَيْنِ
 وَوَدَعَ الْأُمَّةَ نَصًّا فَادِرِ
 كَذَاكَ جَمْعٌ لَا يُخْصُّ مَوْقِفَهُ
 لَا بِمَكَانِ نَحْرِهِ مُنْحَصِرًا
 لَمْ يَأْتِ فِيهِ حَرَجٌ فَاغْتَبِرِ
 وَالنَّحْرُ قَبْلَ الرَّمِيِّ بِالْجَهْلِ اعْذِرِ
 لِيَالِي التَّشْرِيقِ نَصًّا بَيْنَنَا
 فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلزَّوَالِ فَادِرِهَا
 يَدْعُو طَوِيلًا وَلَدَى الْأُخْرَى انْصَرَفَ
 مُذَكَّرًا مُودَعًا بِالْأَرْبَابِ
 سُورَةٌ (نَصْرٍ) بِالْوَفَاةِ أَذْنَتْ

مَكَّةَ لِلسَّقْيِ الَّذِي بِهِ حُفِي
يَرْمُوا لِيَوْمَيْنِ يَوْمٍ فَاغْلَمَنَ
وَبَعْدَ ذَا يَرْمُونَ يَوْمَ النَّفْرِ
بَلْ نَفَرُهُ ثَالِثَ يَوْمٍ نَقَلَا
كَذَا الْعِشَاءِ يَنْ أَفْهَمْنَهُ تُصَبِّ
آخِرِ لَيْلَةٍ أَفَاضَ فَاَسْتَبِينَ
سُورَةَ (وَالطُّورِ) أَفْهَمَنَ مَا نَقَلَا
رَاكِبَةً وَرَا الصُّفُوفِ فَاغْلَمَنَهُ
ثُمَّ دَعَا اللَّهَ بِمَا قَدْ قَسَمَا
أَسْفَلَ مَكَّةَ بِضَمٍّ قَدْ بَدَا
غَدِيرِ خُمٍّ عِظَّةً لَهُمْ فَعِ
وَأَهْلَ بَيْتِهِ كَذَا أَوْصَى بِهِمْ
مَوْلَى لَهُ فَلَا تُكُنْ بِمَعْزِلِ
عَنْ صَاحِبِهِ مِنْ طُرُقٍ قَدْ كَثُرَتْ
مِنْ حُجَّةٍ قَطَّ عَلَى مَا قَدْ هَوِيَ

وَاسْتَأْذَنَ الْعَبَّاسُ أَنْ يَبِيتَ فِي
كَذَاكَ لِلرَّعَاةِ قَدْ رَخَّصَ أَنْ
مِنْ بَعْدِ رَمِيهِمْ لِيَوْمِ النَّحْرِ
وَلَمْ يَكُنْ فِي نَفْرِهِ تَعَجُّلًا
وَالْعَصْرَ قَدْ صَلَّى بِالْمَحْضَبِ
وَبَاتَ فِيهَا تَمَّ لَمَّا كَانَ مِنْ
لِلبَيْتِ فِيهِ الصُّبْحَ صَلَّى وَتَلَا
وَطَوَّفَتْ بِالْبَيْتِ أُمُّ سَلَمَةَ
وَطَافَ بَعْدُ وَأَتَى الْمُتَزَمَةَ
وَكَانَ مَخْرَجَ النَّبِيِّ مِنْ كُذَا
وَخَطَبَ النَّاسَ بِمَاءٍ [قَدْ دُعِيَ] [١٩]
وَبَكَتَابِ اللَّهِ أَوْصَى فَاغْتَصِمَ
وَقَالَ مَنْ مَوْلَاهُ كُنْتُ فَعَلِي
وَهَذِهِ الْخُطْبَةُ عَنْهُ اشْتَهَرَتْ
وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا لِشَيْعِيٍّ غَوِي

[١٩] في المخطوط: [بماء يدعى].

س٦٧ / كَمْ جُمْلَةً الْغَزَوَاتُ؟

ج / هِيَ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ غَزْوَةً، أَوْلَاهَا: الْأَبْوَاءُ [Ⓛ]، ثُمَّ بَوَاطُ ^(١)، ثُمَّ عَشِيرَةُ ^(٢)،
ثُمَّ بَدْرُ الْأَوْلَى ^(٣)، ثُمَّ بَدْرُ الْعُظْمَى ^(٤)، ثُمَّ غَزْوَةُ الْكُدْرِ ^(٥)، ثُمَّ السَّوَيْقُ،
ثُمَّ غَطَفَانَ ^(٦) ذُو [٧] أَمْرٍ، ثُمَّ بُحْرَانَ ^(٨)، ثُمَّ أُحُدًا ^(٩)، ثُمَّ حَمْرَاءَ
الْأَسَدِ ^(١٠).....

[Ⓛ] انظر أحداث السنة الثانية من الهجرة، وبدر الأولى هي بدر العظمى، ويقال لها أيضًا: بدر القتال. ويقال أيضًا: بدر الفرقان، أي: لأن الله تعالى فرق فيها بين الحق والباطل. وينظر "السيرة الحلبية" لبرهان الدين الحلبي في الكلام عن هذه الغزوة.

(١) انظر أحداث السنة الثانية من الهجرة.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) انظر المصدر السابق، وغزوة الكدر هي غزوة بني سليم.

(٦) انظر المصدر السابق، وغزوة غطفان هي غزوة ذي أمر.

[٧] في المخطوط: [ذي]، والمثبت هو الصواب.

انظر أحداث السنة الثالثة من الهجرة، وغزوة ذي أمر هي غزوة غطفان، ووقع في المخطوط:

[عطفان ثم ذي أمر]، وهو خطأ.

وذو أمر بفتح أوله وثانيه وتشديد الراء. "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع". (١/١٩٢).

(٨) انظر المصدر السابق، وغزوة بحران هي غزوة الفرع.

(٩) انظر المصدر السابق.

(١٠) انظر المصدر السابق.

ثُمَّ بَنُو [١] النَّضِيرِ، ثُمَّ ذَاتُ الرَّقَاعِ (٢)، ثُمَّ بَدْرُ الْأَخِرَةِ (٣)، ثُمَّ دَوْمَةُ الْجَنْدَلِ (٤)،
ثُمَّ الْخَنْدُقُ (٥)، ثُمَّ بَنُو لِحْيَانَ، ثُمَّ ذُو [٧] قَرْدٍ، ثُمَّ بَنُو [٨] الْمُصْطَلِقِ، ثُمَّ
الْحُدَيْيَّةُ (٩)، ثُمَّ خَيْبِرُ (١٠)، ثُمَّ عَمْرَةُ الْقَضَاءِ (١١)، ثُمَّ الْفَتْحُ (١٢)، ثُمَّ حُنَيْنٌ (١٣) ثُمَّ
الطَّائِفُ (١٤)، ثُمَّ تَبُوكُ (١٥)، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْخِلَافُ فِي بَعْضِ هَذَا التَّرْتِيبِ، وَمَنْ لَمْ
يَعُدِّدِ الْحُدَيْيَّةَ وَالْقَضَاءَ فِي الْغَزَوَاتِ فَهِيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ.

[١] في المخطوط: [بني]، والمثبت هو الصواب، وقد صوبه شيخنا الفيافي رحمته الله تعالى عندما عرضت ذلك عليه ليلة (٧/٧/١٤٣٣هـ).

انظر أحداث السنة الرابعة من الهجرة.

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر أحداث السنة الخامسة من الهجرة.

(٤) ودومة تُضم دالها وتُفتح، يقال: دومة. و: دومة.

(٥) انظر المصدر السابق، وغزوة الخندق هي غزوة الأحزاب.

[٦] في المخطوط: [بني]، والمثبت هو الصواب.

انظر أحداث السنة السادسة، وغزوة بني لحيان هي غزوة عُسفان.

[٧] في المخطوط: [ذي]، والمثبت هو الصواب.

انظر المصدر السابق.

[٨] في المخطوط: [بني]، والمثبت هو الصواب. انظر المصدر السابق.

(٩) انظر المصدر السابق.

(١٠) انظر أحداث سنة سبع من الهجرة.

(١١) انظر المصدر السابق.

(١٢) انظر أحداث سنة ثمان من الهجرة.

(١٣) انظر المصدر السابق.

(١٤) انظر المصدر السابق.

(١٥) انظر أحداث سنة تسع من الهجرة.

س٦٨ / فِي كَمْ قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْغَزَوَاتِ؟

ج / قَاتَلَ ﷺ فِي تِسْعِ غَزَوَاتٍ: بَدْرَ الْكُبْرَى، وَأُحُدٍ، وَالْخَنْدَقِ، وَقَرْيَةَ، وَبَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَخَيْبَرَ، وَالْفَتْحِ، وَحُنَيْنٍ، وَالطَّائِفِ.

س٦٩ / كَمْ جُمْلَةً السَّرَايَا وَالْبُعُوثِ؟

ج / كَانَتْ بُعُوثُهُ ﷺ وَسَرَايَاهُ ثَمَانِيًا وَثَلَاثِينَ، بَيْنَ بَعْثِ وَسَرِيَّةٍ، وَقِيلَ: تِسْعًا وَثَلَاثِينَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ كُلُّ مِنْهَا فِي تَارِيخِهَا مِنَ السَّنِينَ إِلَّا سَرِيَّةَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى تَخُومِ بَالْبَلْقَاءِ فِي سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ. (١)

س٧٠ / كَمْ كَانَتْ كُتُبُهُ إِلَى الْمُلُوكِ؟

ج / ثَبَتَ مِنْ ذَلِكَ كِتَابُهُ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، وَكِتَابُهُ إِلَى كِسْرَى، وَكِتَابُهُ إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ غَيْرُ أَصْحَمَةَ (٢)، وَكِتَابُهُ إِلَى الْمُتَّقِسِ مَلِكِ مِصْرَ (٣)، وَكِتَابُهُ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى، وَكِتَابُهُ إِلَى مَلِكِي عُمَانَ، وَكِتَابُهُ إِلَى صَاحِبِ الْيَمَامَةِ: هُوذَةَ بْنِ عَلِيٍّ، وَكِتَابُهُ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ شَمْرِ الْعَسَانِيِّ، وَكِتَابُهُ إِلَى مُسَيْلِمَةَ، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُهَا مَعَ الرُّسُلِ بِهَا إِلَّا كِتَابَهُ إِلَى مُسَيْلِمَةَ (٤) فَمَعَ رُسُلِ مُسَيْلِمَةَ؛ لِأَنَّهُ جَوَابٌ عَنْ كِتَابِهِ.

(١) انظر "الطبقات" (٢/١٧٠-١٧٢)، و"صحيح البخاري" برقم (٤٤٦٨) و(٤٤٦٩) مع شرح

الحافظ من "فتح الباري" (٨/١٩١).

(٢) انظر المرجحين لهذا القول في التعليق على الجواب عن السؤال رقم (٥٧).

(٣) ملك الإسكندرية.

(٤) انظر لذلك الجواب عن السؤال رقم (٥٧).

س٧١ / اذْكُرْ عَمَالَهُ ﷺ عَلَى الصَّدَقَاتِ؟

ج / بَعَثَ ﷺ الْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَى صَنْعَاءَ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ وَهُوَ بِهَا، وَعَلَى بَنِي أَسَدٍ أَيْضًا، وَمَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي حَنْظَلَةَ، وَفَرَّقَ صَدَقَاتِ بَنِي سَعْدٍ عَلَى الزُّبْرِقَانَ بْنِ بَدْرِ، وَفَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ كُلُّ عَلَى نَاحِيَةٍ، وَالْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ؛ لِيَجْمَعَ صَدَقَاتِهِمْ وَيَقْدَمَ عَلَيْهِ بِحِزْبَتِهِمْ. (١)

س٧٢ / مَا آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ مِنَ السُّورِ التَّامَّةِ؟

ج / قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ: الْمَائِدَةُ، وَالْفَتْحُ (٢) يَعْني: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾، وَمِثْلُهُ قَالَتْ عَائِشَةُ فِي الْمَائِدَةِ (٣)، وَمِثْلُهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (٤)، وَقَالَ الْبِرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بِرَاءَةٍ. (٥)

(١) "السيرة" لابن إسحاق (ص ٦٦٦).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٠٦٣)، وضعفه الألباني في "ضعيف سنن الترمذي" برقم (٥٨٩).

(٣) رواه الحاكم (٣١١ / ٢) بسند حسن.

(٤) رواه مسلم برقم (٣٠٢٤).

(٥) رواه البخاري برقم (٤٦٥٤)، و مسلم برقم (١٦١٨).

س٧٣/ مَا آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْآيَاتِ؟

ج/ قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: آيَةُ الْكَلَالَةِ. ^(١) وَقَالَ عُمَرُ: آيَةُ الرَّبَا. وَقَالَ ابْنُ

شَهَابٍ: آيَةُ الرَّبَا وَآيَةُ الدَّيْنِ. ^[٢] وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: آخِرُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنْ

الْقُرْآنِ: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].....

لم يثبت عن عمر؛ لأنه من رواية الشعبي عنه، والشعبي لم يلقه كما في
"جامع التحصيل" (ص ٢٠٤)، وانظر "فتح الباري" (٨/ ٢٥٨).

ولكن ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا. ^(٣)

وهذا القول ثابت عن ابن عباس، رواه النسائي برقم (٧٧) من "تفسيره"،
وسنده صحيح، وصححه شيخنا الوداعي رحمته الله في تحقيقه لـ "تفسير ابن كثير"
(٦١٤/١).

وقد بوب الإمام البخاري رحمته الله في "صحيحه": باب ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، ثم ذكر قول ابن عباس السابق: آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا.

قال الحافظ رحمته الله في "فتح الباري" (٨/ ٢٥٩): كذا ترجم المصنف...، ولعله
أراد أن يجمع بين قولَي ابن عباس؛ فإنه جاء عنه من هذا الوجه وجاء عنه من وجه

(١) رواه البخاري برقم (٤٦٥٤)، ومسلم برقم (١٦١٨).

[٢] كذا في المخطوط: [عن ابن شهاب]، ولعله مقحم؛ لأن المراد هنا هو كلام من كانوا متواجدين
أثناء نزول القرآن، ولعل في الكلام سقطاً، أو تصحيفاً، والله أعلم.

(٣) رواه البخاري برقم (٤٥٤٤).

آخر: آخر آية نزلت على النبي ﷺ ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وطريق الجمع بين هذين القولين: أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا؛ إذ هي معطوفة عليهن.

وأما ما سيأتي في آخر سورة النساء من حديث البراء: آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] فيجمع بينه وبين قول ابن عباس بأن الآيتين نزلتا جميعاً فيصدق أن كلاً منهما آخر بالنسبة لما عداهما، ويحتمل أن تكون الأخيرة في آية النساء مقيدة بما يتعلق بالمواريث مثلاً بخلاف آية البقرة، ويحتمل عكسه، والأول أرجح؛ لما في آية البقرة من الإشارة إلى معنى الوفاة المستلزمة لخاتمة النزول... اهـ

وَمِثْلُهُ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ ^(١) ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ بَيْنَ نَزُولِهَا وَبَيْنَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ ^[١] يَوْمًا، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ مِثْلَهُ فِي آخِرِ يَتِّهَا، قَالَ: وَعَاشَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ نَزُولِهَا تِسْعًا ^[٢] ، ثُمَّ مَاتَ لَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَّتَا مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ. ^(٣)

لم أجده من رواية أبي سعيد الخدري عن ابن عباس، وإنما من رواية الكلبى عن أبي صالح، عن ابن عباس كما في "تفسير ابن كثير" (١/ ٦١٤) بتحقيق شيخنا الوداعى رحمته الله.

وهي رواية ضعيفة؛ فأبو صالح هو باذان مولى أم هانئ ضعيف، ورواية الكلبى عنه تشتد ضعفًا؛ لأنه متهم، نعم وجدت كما في "تفسير ابن كثير" (١/ ٦١٤) قال: ورواه عطية عن أبي سعيد، قال: آخر آية نزلت: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، فلعل المصنف ظنَّ أبا سعيد هذا هو الخدري؛ فإن كان كذلك فلا نستطيع أن نجزم به؛ لأنه - أعني عطية وهو العوفى - كان يروي عن الكلبى، ويكنيه بأبي سعيد؛ ليوهم أنه الخدري وما هو بالخدري؛ لذا قال الإمام أحمد: بلغني أن عطية كان يأتي الكلبى فيأخذ عنه التفسير وكان يكنى بأبي سعيد، فيقول: قال أبو سعيد.

قال الذهبي رحمته الله: يعني يوهم أنه الخدري. "ميزان الاعتدال" (٣/ ٨٠).

[١] في المخطوط: [ثمانون]، والتصويب من "تفسير ابن كثير".

[٢] في المخطوط: [تسع]، والصواب ما أثبت.

(٣) رواه ابن أبي حاتم "تفسيره" (٢/ ٥٥٤) برقم (٢٩٤٤)، وفي سنده: عبد الله بن لهيعة، وهو ضعيف.

وَأَعْلَلْ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ ابْتِدَاءِ [١] آيَةِ الرَّبِّ إِلَى آخِرِ آيَةِ الدِّينِ نَزَلَتْ دُفْعَةً وَاحِدَةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

س٧٤ / مَتَى تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ؟

ج / تُوفِّيَ فِي شَهْرِ رَيْبَعِ الْأَوَّلِ [٢] مِنَ السَّنَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَلَهُ مِنْ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً. (٣)

س٧٥ / مَتَى اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُ مَوْتِهِ ﷺ؟

ج / اشْتَدَّ بِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَتُوفِّيَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ (٤) ، وَجُهِزَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ. (٥)

س٧٦ / مَن اسْتَخْلَفَ عَلَى الصَّلَاةِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ؟

ج / اسْتَخْلَفَ عَلَى الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ صَاحِبُهُ فِي الْغَارِ، وَرَفِيقُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَأَوَّلَ مُصَدِّقِ بَرِسَالَتِهِ، وَمُنْقَادٍ لِمَا جَاءَ بِهِ، وَالْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ فِي أُمَّتِهِ: أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. (٦)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يوم الخميس ما يوم الخميس، اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه. (٧)

[١] في المخطوط: [الابتداء]، وما أثبت أقوم للسياق.

[٢] ما بين المعقوفتين لا يوجد في المخطوط، وتم استدراكه من كتب السير.

(٣) انظر "صحيح البخاري" برقم (٤٤٦٦).

(٤) انظر "صحيح البخاري" برقم (٦٨٠)، و"صحيح مسلم" برقم (٤١٩).

(٥) انظر "سيرة ابن هشام" (٤/٤١٦)، و"أحكام الجنائز" (ص ١٣٧-١٣٨) للألباني رحمته الله.

(٦) انظر "صحيح البخاري" برقم (٦٨٧)، و"صحيح مسلم" برقم (٤١٨).

(٧) رواه البخاري برقم (٤٤٣١).

س٧٧ / عَنْ كَمِ تُوْفِيٍّ مِنْ زَوْجَاتِهِ ﷺ؟

ج / تُوْفِيٌّ ﷺ عَنْ تِسْعِ نِسْوَةٍ، وَهُنَّ: عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَحَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَأُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَسَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَجُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَصَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيبٍ، وَمَاتَ قَبْلَهُ مِنْ زَوْجَاتِهِ: خَدِيجَةُ ﷺ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ قَبْلَ وَفَاتِهِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهَا: أُمُّ الْمَسَاكِينِ. (١)

س٧٨ / كَمَ لَهُ مِنْ وُلْدٍ؟

ج / لَهُ ﷺ مِنَ الْوَلَدِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الذُّكُورِ: الْقَاسِمُ، وَيُقَالُ: الطَّيِّبُ، وَالطَّاهِرُ ①، وَبِهِ كَانَ يُكْنَى، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ النِّسَاءِ: فَاطِمَةُ، وَزَيْنَبُ، وَرُقِيَّةُ، وَأُمُّ كَلْثُومٍ، وَكُلُّ وَلَدِهِ ﷺ مِنْ خَدِيجَةَ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ (٢)، وَكُلُّهُمْ مَاتَ قَبْلَهُ إِلَّا فَاطِمَةَ ﷺ، فَبَعْدَهُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ. (٣)

① لم أجد من المصادر ما تذكر لنا أن (الطيب، والظاهر) هو القاسم، وإنما هو عبد الله، إلا أن بعضهم جعل (الظاهر) غير (الطيب)، وبعضهم لم يفرق، قال ابن سيد الناس: وهذا هو الصحيح. يعني عدم التفرقة. (٤)

(١) انظر "الطبقات" (١/١٣١)، و"أنساب الأشراف" (١/٣٩٦)، و"عيون الأثر" (٢/٣٨١).

(٢) فإنه من مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس. "الروض الأنف" (٢/١٥٩).

(٣) انظر "الطبقات" (١/١٣٣)، و"عيون الأثر" (٢/٣٦٤)، و"الفصول" لابن كثير (ص ٢٦٦-٢٢٨).

(٤) وانظر "الطبقات" (١/١٣٣)، و"نسب قريش" (ص ٢١)، و"عيون الأثر" (٢/٣٦٤)، و"السيرة النبوية" لابن كثير (١/٢٦٤).

س٧٩/ هَلْ وَرَثَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا؟

ج/ قَالَ ﷺ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةٌ» ، وَإِنَّمَا وَرَثَ ﷺ الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ.

رواه البخاري برقم (٣٠٩٢)، ومسلم برقم (١٧٥٧) بلفظ: «لا نورث؛ ما تركناه صدقة»، أما اللفظ الذي ذكره المؤلف رحمته الله؛ فإنه عند النسائي في «السنن الكبرى» برقم (٦٢٧٥)، لكن بلفظ: «إنا معاشر الأنبياء...» أما لفظ: «نحن» فلا يوجد؛ لذا قال الحافظ رحمته الله في «فتح الباري» (٨ / ١٢): «وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» فقد أنكره جماعة من الأئمة، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ: «نحن»، وفي «موافقة الخبر الخبر» (٤٨٢ / ١) قال: وحاصل هذا أن الخبر لم يوجد بلفظ «نحن» وَوُجِدَ بلفظ: «إنا»، ومفادهما واحد، فلعل من ذكره ذكره بالمعنى، والله أعلم. اهـ

وقال تلميذه السخاوي رحمته الله في «الأجوبة المرضية» (٧٢٨ / ٢) برقم (١٨٧): «...، فلفظة: «إنا معاشر الأنبياء» كذلك هو في «السنن» للنسائي منفردًا به عن سائر أصحاب الكتب الستة، وأما ما وقع في السؤال من لفظ: «نحن» فقد أنكره وروده في كتب الحديث غير واحد من الأئمة، ولم نره كذلك إلا في كتب الأصول ونحوها، وكأنهم أوردوه بالمعنى. اهـ (١)

(١) قال أبو همام - ختم الله له بالحسنى -: كان الفراغ من هذا التعليق في ظهر يوم الأحد الموافق (١ / من شهر ربيع الأول / لعام ١٤٢٩ هـ) بمكة المكرمة زادها الله تشریفًا، بمحلة الجميزة بمنزلي بجبل (أبو سلاسل).

والحمد لله رب العالمين

وَصَلَّى اللهُ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ

وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا آمِينَ

تم بقلم ناسخه من مؤلفه علي بن قاسم المَنَفِيِّ [١]

فِي نِصْفِ شَهْرِ شَوَّالٍ لِعَامِ (١٣٦٦هـ)

غَفَرَ اللهُ لَهُ [٢]، وَلِلْمُؤَلِّفِ، وَلِوَالِدَيْهِمَا،

وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَيَّ خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ النَّبِيِّ الْأَمِينِ،

وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى مَنْ سَارَ عَلَيَّ هُدًى

وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

[١] كَذَا فِي الْمَخْطُوطِ: [الْمَنَفِيِّ]، وَكُنْتُ أَظُنُّهُ تَصْحِيفًا مِنَ (الْفَيْفِيِّ)، ثُمَّ عَرَفْتُ أَنَّهُ صَوَابٌ كَمَا فِي آخِرِ كِتَابِ «السَّمَطِ الْحَاوِي» لِشَيْخِنَا؛ نَسْبَةً إِلَى ذِرَاعِ مَنَفَةَ.

[٢] فِي الْمَخْطُوطِ: [لَنَا بِهِ]، فَأَثْبَتُ: (لَهُ).

قال الشيخ حافظ رحمته الله عن أحداث السنة الحادية عشرة من الهجرة:

قَدِ اسْتَهَلَّتْ فَادِرٍ بَعْدَمَا اسْتَقَرَّ
فِي صَدْرِهَا بَعَثُ أَسَامَةِ إِلَى
أَتْنَاءِ ذَلِكَ بِالرَّسُولِ مَا نَزَلَ
أَتْنَالِيَالٍ قَدْ بَقِيْنَ مِنْ صَفَرٍ
وَزَارَ بِاللَّيْلِ بَقِيْعَ الْعَرْقَدِ
بِهِ وَمَعَ ذَاكَ كَانَ فِي رُؤُجَاتِهِ
وَعِنْدَمَا اشْتَدَّ بِهِ اسْتَأْذَنَهُنَّ
عَائِشَةَ هِيَ ابْنَةُ الصَّدِّيقِ
وَكَانَ فِي أَيَّامِ شَكْوَاهُ يَوْمٌ
حَتَّى إِذَا مَا كَانَ خِفَّةً وَجَدَ
ثُمَّ بِهِمْ صَلَّى إِمَامًا فِي الْأَصْحِ
وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْخَمِيْسِ ثُمَّ لَمْ
حَتَّى إِذَا كَانَ صَلَاةُ الصُّبْحِ مِنْ
بَدَأَ لَهُمْ بِوَجْهِهِ وَقَدْ أَمَرَ
وَكَانَ فِي تِلْكَ الضُّحَى الْوَفَاةُ [١٧]
وَمُلْكُ الْإِيْمَانِ وَأَنْ لَا يُتَّخَذَ

بَطِيْبَةٍ رِحَالٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ
أَرْضِ فَلَسْطِيْنَ وَلَكِنْ نَزَلَا
فَكَانَ عِنْدَ ذَلِكَ الْخَطْبُ الْجَلَلُ
وَقِيلَ: فِي صَدْرِ رِيْعِ الْأَغْرِ
مُسْتَغْفِرًا لَهُمْ وَفِي الصُّبْحِ ابْتُدِيَ
يَدُوْرٌ بِالْقَسَمِ عَلَى عَادَاتِهِ
فِي أَنَّهُ يَكُونُ عِنْدَ خَيْرِهِنَّ
وَقَدْ أَدِنَّ فَادِرٍ بِالتَّحْقِيْقِ
أَصْحَابُهُ بِأَمْرِهِ صَدِّيقُهُمْ
فِي الظُّهْرِ عَنِ يَسَارِ صَدِّيقٍ قَعَدَ
عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ مُبْلَغًا وَضَحَّ
يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ لِلَّذِي بِهِ أَلَمٌ
نَهَارِ الْاِثْنَيْنِ بِنَصِّ لَمْ يَهْنُ
لَهُمْ بِإِتْمَامِ الصَّلَاةِ وَاسْتَتَرَ
وَمِنْ وَصِيَّةِ النَّبِيِّ الصَّلَاةُ
قَبْرُ الرَّسُولِ مَسْجِدًا كَمَا اتَّخَذَ

[١٧] في المخطوط: [الوصلاة]، والتصويب من نسخة شيخنا الفيافي رحمته الله.

قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ جِهَارًا
دِينٌ سِوَى الْإِسْلَامِ فَاحْفَظْهُ تُثْبِتْ
وَوَظَلَّ طَامِعًا بَقَا حَيَاتِهِ
وَصَادِقِ الْعَزْمِ وَالْإِسْتِثْبَاتِ
وَكُلِّ مُشْكِلِ أَرَاخِ عَنْهُمْ
وَسُنَّةِ النَّبِيِّ بِأَلَا أَرْتِيَابِ
وَأَسْنِدِ الْأَمْرِ إِلَى الْأَقْرَابِ
وَالْفُضْلِ مَعَ قَتْمِ بِأَلَا التِّيَّاسِ
وَصَالِحِ مَوْلَى نَبِينَا النَّذِيرِ
وَكَانَ بَدْرِيًّا بِأَلَا إِنْكَارِ
قَدْ عَسَلُوهُ يُدْلِكُونَهُ بِهِ
وَبَعْدُ فِي الْأَكْفَانِ أَدْرَجُوهُ
مِنْ كُرْسُفِ بَيْضِ بِأَلَا أَرْتِيَابِ
عَلَى الْأَصْحَحِّ فَالزَّمِ اتِّتَمَامَهُ
عَلَيْهِ أَفْرَادًا بِأَلَا إِمَامِ
لَيْلًا كَذَا اللَّحْدُ لَهُ تَعَيَّنَا
وَنَصَّبُوا اللَّبْنَ بِأَلَا مُجَادَلَهُ

مَنْ قَبَلْنَا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى
وَلَا يُقَرُّ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ
وَأَرْتَابَ بَعْضِ الصَّحْبِ فِي وَفَاتِهِ
حَتَّى آتَى الصَّادِقُ بِالثَّبَاتِ
فَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيئًا لَهُمْ
وَبَايَعَ النَّاسَ عَلَى الْكِتَابِ
وَشَرَعُوا بَعْدُ بِتَجْهِيزِ النَّبِيِّ
وَهُمْ عَلَيَّ مَعَ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ
كَذَا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدِ الْأَمِيرِ
وَمَعَهُمْ أَوْسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ
وَلَمْ يَجْرُدُوهُ بَلْ فِي ثُوبِهِ
بِالْمَاءِ وَالسَّيِّدِ وَجَفَّفُوهُ
كُفِّنَ فِي ثَلَاثَةِ أَنْوَابِ
بِأَلَا قَمِيصٍ لَا وَلَا عِمَامَةٍ
وَبَعْدَهَا صَلَّوْا بِأَلَا إِنْهَامِ
وَفِي مَكَانِ مَوْتِهِ قَدْ دُفِنَا
وَفَرَّشُوا قَطِيفَةً حَمْرَاءَ لَهُ

وَعَاسِلُوهُ قَبْرَهُ قَدْ نَزَلُوا
وَكَانَ دَفْنُهُ بِمَلَامِرَاءِ
وَعُمُرُهُ ثَلَاثُ مَعِ سِتِّينَا
ثُمَّ ثَلَاثُ بَعْدَهَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ
وَقَامَ بِالتَّبْلِيغِ عِشْرِينَ سَنَةً
وَلَمْ يُورَثْ دِرْهَمًا كَلًّا وَلَا
بَلَّ وَرَثَ الْوُحِيِّينَ نُورًا وَضِيًّا
صَلَّىٰ عَلَيْهِمْ رَبُّنَا وَسَلَّمًا
وَتَمَّ بِالْإِجْمَالِ نَظْمُ السَّيْرَةِ
وَبَعْدَهُ يُنْتَلَوُا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَاللَّهُ أَزْجُوا الْعَوْنَ وَالتَّوْفِيقَا

إِلَّا [١] قُتِمَ أَسَامَةٌ لَمْ يُنْزِلُوا
فِيمَا رُوي لَيْلَةَ الأَرْبِعَاءِ
إِذْ عَاشَ قَبْلَ الْوُحْيِ أَرْبَعِينَ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْرَضَ تَبْلِيغٌ عَلَيْهِ
حَتَّىٰ أَتَمَّ دِينَهُ وَأَحْسَنَهُ
دِينَارًا أَحْفَظَ وَأَفْهَمَ مَنْ مَانُوقًا
كَذَلِكَ عِلْمُ الدِّينِ إِزْثُ الأَنْبِيَا
وَالْأَلِ وَالصَّحْبِ وَتَابِعِ سَمًا
عَلَىٰ اخْتِصَارٍ قَاصِدًا تَيْسِيرَهُ
نَظْمُ شَمَائِلِ النَّبِيِّ الأَوَاهِ
وَدَفَعَهُ المَانِعَ وَالتَّعْوِيقَا

فَهْرَسُ مَوْضُوعَاتِ الْمُقَدِّمَةِ

- ٣ المقدمة
- ٧ توثيق الكتاب وتحقيق اسمه
- ٩ وصف المخطوط
- ١١ كلمة شكر وتقدير
- ١٢ كلمة فضيلة شيخنا علي بن قاسم الفيافي بإثبات المخطوط
- ١٣ صورة لكلمة فضيلة شيخنا علي بن قاسم الفيافي بإثبات المخطوط
- ١٤ التعريف بصاحب الكتاب بقلم شيخنا العلامة زيد بن محمد مدخلي حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى
- ٢١ أسباب نبوغه وتفوقه في العلم على جميع أقرانه بل وعلى سائر علماء زمانه
- ٢٤ أعماله
- ٢٥ مؤلفاته
- ٣١ المخطوط من مؤلفاته
- ٣٤ إسهام شيخنا -علينا وعليه رحمة الله- في الدعوة إلى الله وبذل النصح لعباد الله
- ٣٧ صورة للورقة الأولى من المخطوط
- ٣٨ صورة للورقة الأخيرة من المخطوط
- ٣٩ صورة للصفحة الأولى من منظومة السيرة النبوية
- ٤٠ صورة للصفحة الأخيرة من منظومة السيرة النبوية

فَهْرَسُ أَسْئَلَتِ كِتَابِ أَمَالِي فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

- س ١ / كَيْفَ نَسَبُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ؟ ٤١
- س ٢ / كَيْفَ نَسَبُهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ؟ ٤٣
- س ٣ / مَتَى تُوفِّيَ أَبُوهُ؟ ٤٤
- س ٤ / مَتَى كَانَ مَوْلِدُهُ؟ ٤٤
- س ٥ / مَنْ حَوَاضِنُهُ غَيْرُ أُمِّهِ؟ ٤٦
- س ٦ / مَتَى كَانَتْ حَادِثَةُ شَقِّ الصَّدْرِ؟ ٤٧
- س ٧ / مَتَى تُوفِّيَتْ أُمُّهُ وَمَنْ كَفَلَهُ بَعْدَهَا؟ ٤٨
- س ٨ / مَتَى تُوفِّيَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَمَنْ كَفَلَهُ بَعْدَهُ؟ ٤٨
- س ٩ / مَتَى سَافَرَ مَعَ عَمِّهِ إِلَى الشَّامِ؟ ٤٩
- س ١٠ / مَتَى كَانَ حَرْبُ الْفُجَّارِ؟ ٥١
- س ١١ / مَتَى كَانَ سَفَرُهُ الثَّانِي إِلَى الشَّامِ؟ ٥١
- س ١٢ / مَتَى بَنَتْ قُرَيْشُ الْكَعْبَةَ؟ ٥٣
- س ١٣ / كَمْ عُمُرُهُ ﷺ يَوْمَ بُعِثَ وَإِلَى مَنْ بُعِثَ؟ ٥٥
- س ١٤ / مَا أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ مِنَ الْوَحْيِ؟ ٥٦
- س ١٥ / كَيْفَ كَانَ حَالُهُ قَبْلَ الْوَحْيِ، وَمَا أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ؟ ٥٦

نُتِرُ الْجَوَاهِرَ الْمُضِيئَةَ عَلَى أَمَالِي فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

- س ١٦ / مَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ؟ ٥٨
- س ١٧ / كَمْ كَانَ فَتْرَةُ الْوَحْيِ، وَمَا أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ فَتْرَتِهِ؟ ٥٩
- س ١٨ / مَنْ أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِرِسَالَتِهِ ﷺ؟ ٦٢
- س ١٩ / كَيْفَ كَانَ أَوَّلُ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ؟ ٦٣
- س ٢٠ / بِمَنْ بَدَأَ ﷺ حِينَ جَهَرَ بِالدَّعْوَةِ؟ ٦٧
- س ٢١ / كَيْفَ كَانَ حَالُهُ ﷺ وَمَنْ آمَنَ بِهِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ الْجَهْرِ بِالدَّعْوَةِ؟ ... ٦٨
- س ٢٢ / مَاذَا لَقِيَ ﷺ هُوَ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ؟ ٧٧
- س ٢٣ / مَاذَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ لَمَّا رَأَوْا [ذَلِكَ]؟ ٧٨
- س ٢٤ / مَتَى كَانَ نَقْضُ الصَّحِيفَةِ؟ ٨١
- س ٢٥ / فِي أَيِّ عَامٍ كَانَ ذَلِكَ، وَمَا الَّذِي حَدَثَ فِي هَذَا الْعَامِ؟ ٨٥
- س ٢٦ / مَتَى كَانَ الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ؟ ٨٩
- س ٢٧ / مَتَى كَانَ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ؟ ٩٥
- س ٢٨ / مَتَى كَانَ ذَهَابُهُ ﷺ إِلَى ثَقِيفٍ، وَكَيْفَ كَانَ حَالُهُ مَعَهُمْ وَرَجُوعُهُ؟ ٩٨
- س ٢٩ / مَتَى كَانَ اسْتِمَاعُ الْجِنِّ لِقِرَاءَتِهِ ﷺ، وَفِي أَيِّ مَكَانٍ كَانَ ذَلِكَ؟ ١٠٠
- س ٣٠ / كَيْفَ كَانَ ﷺ يَصْنَعُ بَعْدَ ذَلِكَ؟ ١٠٣
- س ٣١ / كَمْ كَانَ وَفْدُ الْأَنْصَارِ؟ ١٠٥
- س ٣٢ / كَمْ كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَوْسِ، وَكَمْ مِنَ الْخَزْرَجِ؟ ١١١
- س ٣٣ / مَنْ أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ ١١٢
- س ٣٤ / مَتَى أُذِنَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي الْهَجْرَةِ؟ ١١٣

- س ٣٥ / كَيْفَ صِفَةُ خُرُوجِهِ ﷺ وَمَنْ خَرَجَ مَعَهُ؟ ١١٥
- س ٣٦ / مَتَى قَدِمَ ﷺ قُبَاءً؟ ١٢٧
- س ٣٧ / كَمْ أَقَامَ فِيهِمْ؟ ١٣١
- س ٣٨ / أَيْنَ نَزَلَ ﷺ بِالْمَدِينَةِ؟ ١٣٢
- س ٣٩ / إِلَى كَمْ انْقَسَمَ النَّاسُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ؟ ١٣٩
- س ٤٠ / مَاذَا شُرِعَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ مِنَ الْعِبَادَاتِ؟ ١٤١
- س ٤١ / كَمْ وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا؟ ١٤٦
- س ٤٢ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْحَوَادِثِ؟ ١٤٧
- س ٤٣ / مَاذَا شُرِعَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْعِبَادَاتِ؟ ١٥٠
- س ٤٤ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْغَزَوَاتِ؟ ١٥٤
- س ٤٥ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا؟ ١٦٧
- س ٤٦ / مَاذَا وَقَعَ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْغَزَوَاتِ؟ ١٧١
- س ٤٧ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا؟ ١٨٢
- س ٤٨ / كَمْ وَقَعَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنَ الْغَزَوَاتِ؟ ١٨٧
- س ٤٩ / كَمْ وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا؟ ١٩٣
- س ٥٠ / مَاذَا وَقَعَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْهِجْرَةِ؟ ٢٠١
- س ٥١ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْحَوَادِثِ؟ ٢١٦
- س ٥٢ / مَا الَّذِي شُرِعَ فِي سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الْعِبَادَاتِ؟ ٢٢٤
- س ٥٣ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْغَزَوَاتِ؟ ٢٣٦

- س ٥٤ / كَيْفَ صِفَةُ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ؟ ٢٥٦
- س ٥٥ / مَاذَا أُنزِلَ فِي نَسْخِ بَعْضِ الْآيَاتِ؟ ٢٥٨
- س ٥٦ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا؟ ٢٦٤
- س ٥٧ / كَمْ كَتَبَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمُلُوكِ؟ ٢٦٨
- س ٥٨ / مَاذَا وَقَعَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ؟ ٢٧٩
- س ٥٩ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا؟ ٢٨٩
- س ٦٠ / مَاذَا وَقَعَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الْهَجْرَةِ مِنَ الْغَزَوَاتِ؟ ٣٠٠
- س ٦١ / مَاذَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ السَّرَايَا؟ ٣١٧
- س ٦٢ / مَا الَّذِي وَقَعَ مِنَ الْغَزَوَاتِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ مِنَ الْهَجْرَةِ؟ ٣٢٩
- س ٦٣ / مَنْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْحَجِّ هَذِهِ السَّنَةِ؟ ٣٤٦
- س ٦٤ / اذْكُرْ جُمْلَةَ الْوُفُودِ فِيهَا مَعَ بَيَانِ الْمُتَقَدِّمِ عَنْهَا وَالْمُتَأَخِّرِ؟ ٣٤٧
- س ٦٥ / مَاذَا وَقَعَ فِي سَنَةِ عَشْرِ مِنَ الْبُعُوثِ وَالسَّرَايَا؟ ٣٥٧
- س ٦٦ / كَيْفَ صِفَةُ حَجَّةِ الْوُدَاعِ؟ ٣٥٩
- س ٦٧ / كَمْ جُمْلَةَ الْغَزَوَاتِ؟ ٣٨٢
- س ٦٨ / فِي كَمْ قَاتَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْغَزَوَاتِ؟ ٣٨٤
- س ٦٩ / كَمْ جُمْلَةَ السَّرَايَا وَالْبُعُوثِ؟ ٣٨٤
- س ٧٠ / كَمْ كَانَتْ كُتُبُهُ إِلَى الْمُلُوكِ؟ ٣٨٤
- س ٧١ / اذْكُرْ عَمَالَهُ ﷺ عَلَى الصَّدَقَاتِ؟ ٣٨٥
- س ٧٢ / مَا آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ مِنَ السُّورِ التَّامَّةِ؟ ٣٨٥

- س ٧٣ / مَا آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْآيَاتِ؟ ٣٨٦
- س ٧٤ / مَتَى تُوفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ؟ ٣٨٩
- س ٧٥ / مَتَى اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُ مَوْتِهِ ﷺ؟ ٣٨٩
- س ٧٦ / مَنِ اسْتَخْلَفَ عَلَى الصَّلَاةِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ؟ ٣٨٩
- س ٧٧ / عَنْ كَمِ تُوفِّيَ مِنْ زَوْجَاتِهِ ﷺ؟ ٣٩٠
- س ٧٨ / كَمَ لَهُ مِنْ وَلَدٍ؟ ٣٩٠
- س ٧٩ / هَلْ وَرَّثَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا؟ ٣٩١

فَهْرَسُ مَوْضُوعَاتِ كِتَابِ أَمَالِي فِي السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

- ٤٣،٤١..... نسب النبي ﷺ من جهة أبيه وأمه
- ٤٤..... وفاة أبيه
- ٤٥،٤٤..... مَوْلِدُهُ ﷺ
- ٤٦..... حواضنه ﷺ
- ٤٧..... حَادِثَةُ شَقِّ الصَّدْرِ
- ٤٨..... وفاة أمه وجده
- ٤٩..... سفره ﷺ إلى الشام مع عمه
- ٥١..... حَرْبُ الْفَجَارِ
- ٥١..... سفره ﷺ إلى الشام مرة أخرى
- ٥٣..... بناء الكعبة
- ٥٥..... عُمُرُهُ ﷺ يَوْمَ بُعِثَ
- ٥٦..... بداية الوحي
- ٥٦..... أول ما أنزل عليه ﷺ
- ٥٩..... فِتْرَةُ الْوَحْيِ
- ٦٢..... أول من آمن برسالته ﷺ
- ٦٣..... بداية الدعوة

- ٦٧ بِمَنْ بَدَأَ ﷺ حِينَ جَهَرَ بِالدَّعْوَةِ
- ٦٨ حاله ﷺ ومن معه بعد الجهر بالدعوة
- ٦٩ أذية المشركين له ﷺ
- ٧١ الهجرة الأولى إلى الحبشة
- ٧٨ اجتماع المشركين على قطيعة بني هاشم
- ٨١ نقض الصحيفة
- ٨٥ في أي عام كان نقض الصحيفة
- ٨٩ الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ
- ٩٥ انْشِقَاقُ الْقَمَرِ
- ٩٨ ذهابه ﷺ إلى ثقيف
- ١٠٠ استماع الجن لقراءته ﷺ
- ١٠٣ عرضه نفسه ﷺ في المواسم
- ١٠٥ وفد الأنصار وعدد الأوس والخزرج
- ١٠٩ بيعة العقبة الثانية
- ١١١ الأذن بالهجرة
- ١١٥ خروجه ﷺ إلى المدينة
- ١٢٧ قدومه ﷺ إلى قباء
- ١٣١ مدة مكثه ﷺ عند أهل قباء
- ١٣١ أين كانت أول جمعة صلاها ﷺ؟
- ١٣٢ وصوله ﷺ إلى المدينة
- ١٣٩ انقسام الناس بعد الهجرة

- ١٤١ ماذا شرع في السنة الأولى من الهجرة؟
- ١٤١ استقبال بيت المقدس
- ١٤٤ فرضية الجهاد
- ١٤٤ إتمام الرباعية في الحضر
- ١٤٤ الأذان لمواقيت الصلاة

ما وقع فيها من السرايا:

- ١٤٦ سرية حمزة، وسرية أبي عبيدة بن الحارث، وسرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

ما وقع فيها من الحوادث:

- ١٤٧ بناء المسجد
- ١٤٧ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
- ١٤٧ بناؤه ﷺ بعائشة رضي الله عنها
- ١٤٨ اعتقال المهاجرين بالحمى

١٥٠ السنة الثانية

- ما شرع فيها من العبادات
- ١٥٠ استقبال الكعبة
- ١٥٢ صيام رمضان
- ١٥٢ زكاة الفطر
- ١٥٢ صلاة العيد
- ١٥٢ زكاة الأموال

ما وقع فيها من الغزوات:

- ١٥٤ غزوة الأبواء

- ١٥٤ غزوة بواط
- ١٥٥ غزوة العشيبة
- ١٥٥ غزوة بدر الأولى
- ١٥٥ غزوة بدر الكبرى
- ١٦٦ غزوة بني سليم
- ١٦٦ غزوة السويق

ما وقع فيها من السرايا:

- ١٦٧ سرية عبد الله بن جحش
- ١٧١ السنة الثالثة

ما وقع فيها من الغزوات:

- ١٧١ غزوة ذي أمر
- ١٧١ غزوة الفُرْع
- ١٧١ غزوة بني قينقاع
- ١٧٢ غزوة أُحُدٍ

ما وقع فيها من السرايا:

- ١٨٢ سرية زيد بن حارثة
- ١٨٢ سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف
- ١٨٧ السنة الرابعة

ما وقع فيها من الغزوات:

- ١٨٧ غزوة بني النضير
- ١٩١ غزوة ذات الرقاع

١٩٢ غَزْوَةُ بَدْرِ الْمَوْعِدِ

ما وقع فيها من السرايا:

١٩٣ سَرِيَّةُ أَبِي سَلَمَةَ

١٩٣ سَرِيَّةُ الرَّجِيعِ

١٩٦ سَرِيَّةُ عَمْرِو الصَّمْرِيِّ

١٩٧ سَرِيَّةُ الْقُرَاءِ

٢٠١ **السنة الخامسة**

ما وقع فيها من الغزوات:

٢٠١ غَزْوَةُ دُومَةَ الْجَنْدَلِ

٢٠٢ غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ

٢١٢ غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ

ما وقع فيها من الحوادث:

٢١٦ موت سعد بن معاذ

٢١٦ قتل ابن أبي الحقيق

٢١٩ قتل خالد بن نبيح الهذلي

٢١٩ زواجه ﷺ بزَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ

٢١٩ نزول آيات من سورة الأحزاب

٢٢٤ **السنة السادسة**

ما شرع فيها من العبادات:

٢٢٤ صلاة الخوف

٢٢٤ اعتماد النبي ﷺ عمرة الحديبية وصدّه المشركون

٢٣٤ فرض الحج في قولٍ

ما وقع فيها من الغزوات:

٢٣٦ غَزْوَةُ بَنِي لِحْيَانَ، وَهِيَ غَزْوَةُ عُسْفَانَ

٢٣٧ غَزْوَةُ ذِي قَرْدٍ

٢٤٢ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

٢٤٨ وفيها قضية الإفك

٢٥٦ صلح الحديدية

٢٥٨ نسخ بعض الآيات

ما وقع فيها من السرايا:

٢٦٤ سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ

٢٦٦ سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ

٢٦٦ سرية إلى بني ثعلبة

٢٦٧ سرية لعير أبي العاص

كتب النبي ﷺ إلى الملوك

٢٦٨ كتاب النبي ﷺ إلى قيصر ملك الروم

٢٧٢ كتاب النبي ﷺ إلى كسرى ملك فارس

٢٧٣ كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة

٢٧٤ كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس ملك الإسكندرية

٢٧٤ كتاب النبي ﷺ إلى جيفر وعبد ابني الجَلَنْدِي

٢٧٥ كتب النبي ﷺ لبعض الملوك والأعيان

٢٧٩ **السنة السابعة**

ما وقع فيها من الغزوات:

٢٧٩ غَزْوَةُ ذِي قَرَدٍ

٢٧٩ غَزْوَةُ خَيْبَرَ

ما وقع فيها من السرايا:

٢٨٩ سَرِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

٢٩٠ سَرِيَّةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

٢٩٠ سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ

٢٩٢ سرية أسامة بن زيد

٢٩٤ سَرِيَّةُ أَبِي الْحَدَرْدِ

٢٩٦ سرية الذي أمر الصحابة بدخول النار

٢٩٦ سَرِيَّةُ إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ

٣٠٠ **السنة الثامنة**

ما وقع فيها من الغزوات:

٣٠٠ غَزْوَةُ مُؤْتَةَ

٣٠٢ غَزْوَةُ الْفَتْحِ

٣١٤ غَزْوَةُ الطَّائِفِ

ما وقع فيها من السرايا:

٣١٧ سَرِيَّةُ شُجَاعِ بْنِ وَهَبٍ

٣١٧ بَعَثُ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ قُضَاعَةَ

٣١٨ بَعَثُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ

سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ٣٢٢

السنة التاسعة ٣٢٩

ما وقع فيها من الغزوات:

غَزْوَةُ تَبُوكَ ٣٢٩

مَنْ أَمَرَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى الْحَجِّ هَذِهِ السَّنَةِ؟ ٣٤٦

ذكر جملة الوفود فيها مع بيان المتقدم فيها والمتأخر ٣٤٧

السنة العاشرة ٣٥٧

ما وقع فيها من البعوث والسرايا:

سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ٣٥٧

بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ عَلِيًّا إِلَى الْيَمَنِ ٣٥٧

بَعَثُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَامِلَيْنِ عَلَى أَرْضِ الْيَمَنِ ٣٥٧

كيفية صفة حج النبي ﷺ ٣٥٩

جملة الغزوات المتقدمة ٣٨٢

الغزوات التي قاتل فيها النبي ﷺ ٣٨٤

جملة السرايا والبعوث المتقدمة ٣٨٤

ما الذي ثبت من كُتْبِهِ ﷺ إِلَى الْمَلُوكِ ٣٨٤

عدد عماله ﷺ عَلَى الصَّدَقَاتِ ٣٨٥

آخر ما نزل من القرآن ٣٨٥

آخر ما نزل من الآيات ٣٨٦

استخلافه ﷺ أَبَا بَكْرٍ عَلَى الصَّلَاةِ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ ٣٨٩

عن كم تُوفِّيَ ﷺ مِنْ زَوْجَاتِهِ ٣٩٠

- ٣٩٠ عدد أولاده ﷺ
- ٣٩١ لم يورث النبي ﷺ شيئاً إنما ورث العلم
- ٣٩٦ فهرس موضوعات المقدمة
- ٣٩٧ فهرس أسئلة كتاب أمالي في السيرة النبوية
- ٤٠٢ فهرس موضوعات كتاب أمالي في السيرة النبوية